

جهود الإمام الألباني

ناصر السنة والدين

في بيان عقيدة السلف الصالحين

في الإيمان بالله رب العالمين

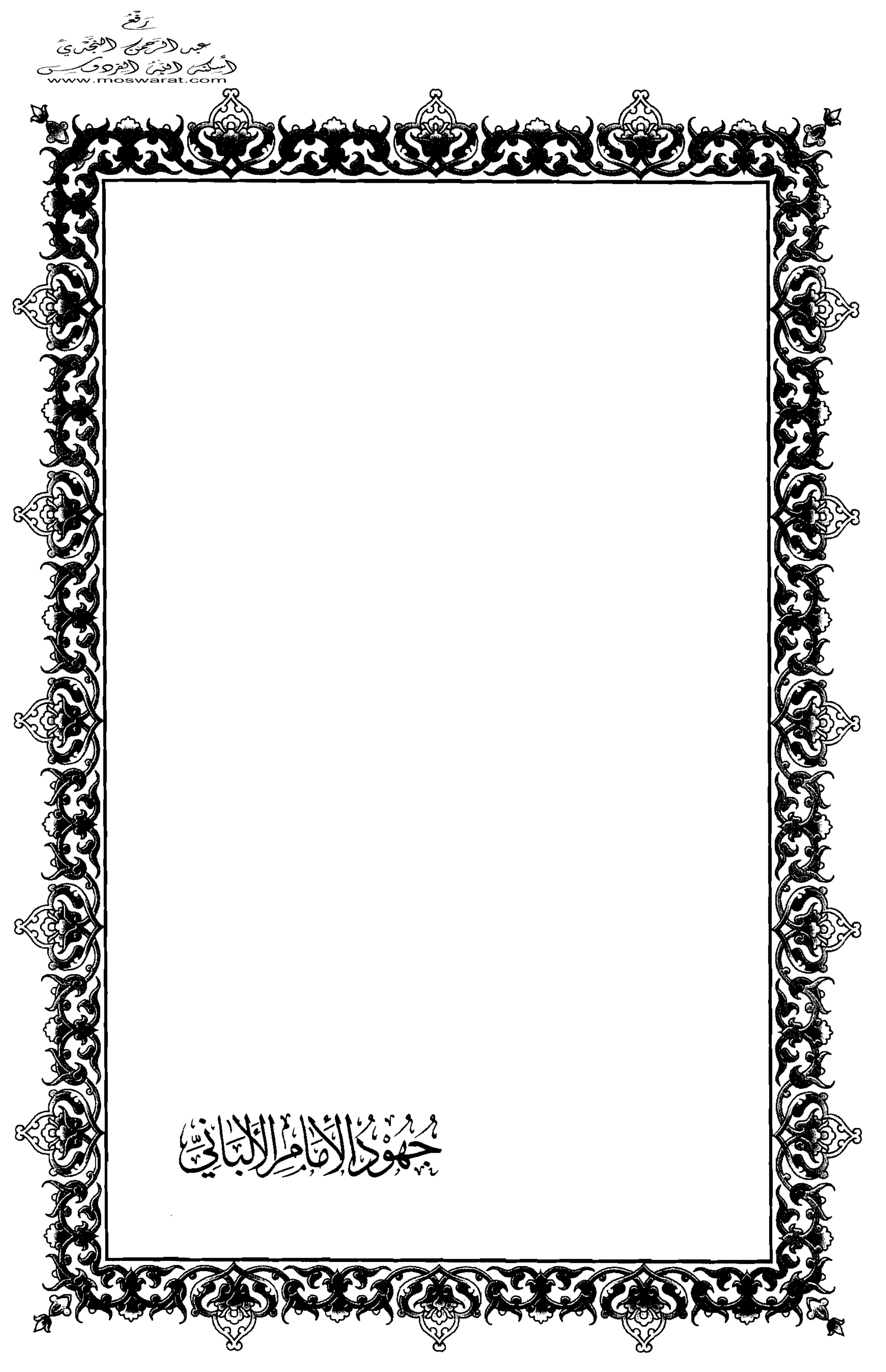
رسالة تقدم بها

أحمد صالح حسين الجبوري

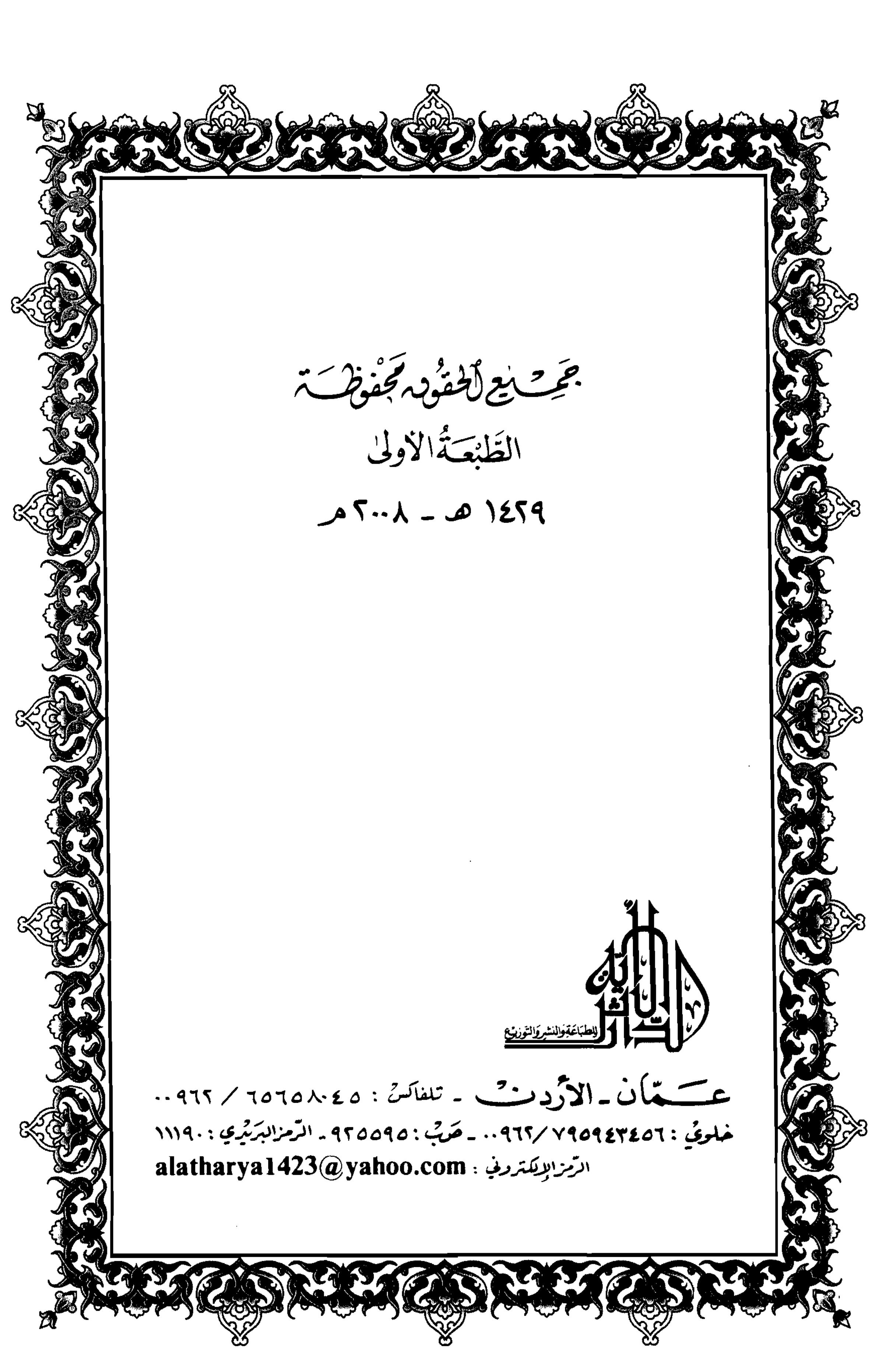
إلى مجلس كلية التربية في جامعة تكريت العراق،

لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية

الدار الأثرية



جهود الإمام الألباني



الطبعة الأولى

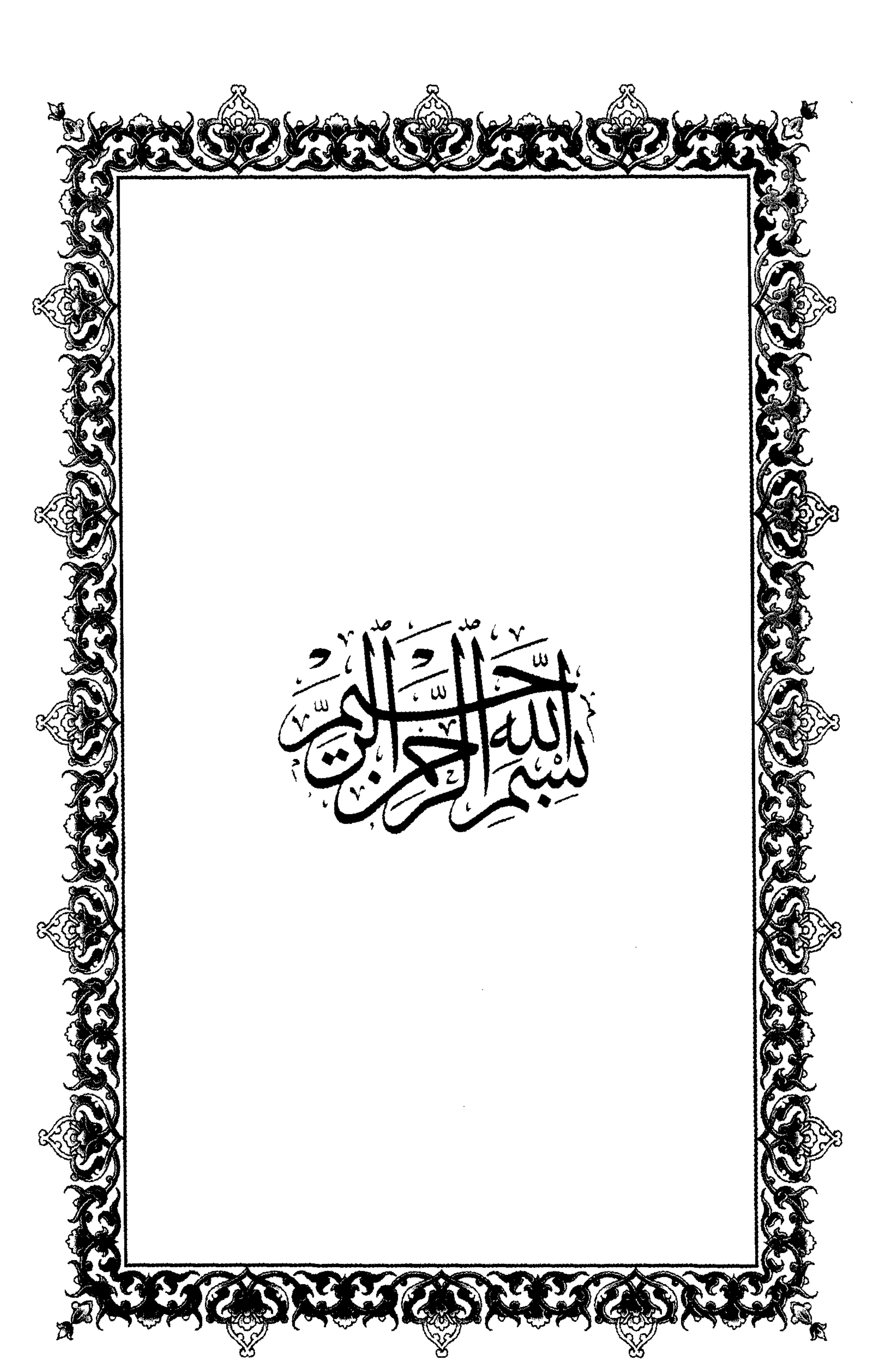
١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

الدار الأثرية للطباعة والنشر والتوزيع

عمان - الأردن - تلفاكس : ٦٥٦٥٨٠٤٥ / ٩٦٢ ٠٠

خلوي : ٧٩٥٩٤٣٤٥٦ / ٩٦٢ ٠٠ - ص.ب : ٩٢٥٥٩٥ - الرمز البريدي : ١١١٩٠

الرمز الإلكتروني : alatharya1423@yahoo.com


بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة فضيلة الشيخ
مشهور بن حسن آل سلمان

ـ حفظه الله تعالى ـ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فطالما سمعنا شيخنا العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ يقول: «عندما يموت الألباني، فستعلمون من الألباني»!

وكانت هذه الكلمة تمر على أسماعنا مرور الكرام، ولا ندرك أبعادها ومراميها، وبعد وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ برزت الفتن، وماجت، وذاعت، وشاعت، ونالت من بعض المحسوبين على العقيدة الصحيحة، والمنهج السليم، وتمكَّنت منهم، وظهر لأمواجها صدى على أفواههم وأسنَّة أقلامهم، كانت تتردد بين الفينة والفينة، هنا وهناك، في المجالس العامة والخاصة، والصوت يقوى ويضعف، وتشتد نبرته وترتخي! ويتلون ـ كالباطل ـ على حسب البيئة التي تلقى فيه الشبهة (المتولِّدة من الفتنة). ومدارها: النيل من عقيدة ذاك الجبل الأشم، الذي أُوذي وعُودي بسبب معتقده الصحيح، ومنهجه السليم.

⋆ وزاد الطين بلّةً:

وزاد الطين بلة! والأسى حسرة! أن بعض المقرَّبين[١] من الشيخ في حياته، انقلب عليه بعد وفاته، وأخذ ينفخ في تلك الفتنة، بل يترنّم على تلك النغمة، لفواته مصالح مرتقبة بعد الوفاة، كاد لسانه أن يُصَرِّحُ بها على قبر الشيخ، ممَّا عمَّق الفتنة في نفوس قلقلة، وقلوب مريضة، وعقول غير رجيحة!

وكثر تداول تلك الأُكذوبة، بعبارات صريحة، خطتها الأقلام، ولاكتها الألسن بتبجُّح وكذب، حتى كاد يصدّقها بعض السذج، أو تنطلي على بعض أنصاف المتعلمين!

والذي يرقب أحوال الشيخ الألباني، ويقرب من أنفاسه، ويراقب تقريراته، ويدرس اختياراته، ويقف على ترجيحاته، ويلحظ استدلالاته؛ يعلم علم اليقين تعظيمه للدليل، ومتابعته للسلف الصالح في جميع المسائل: كبيرها وصغيرها، دقيقها وجليلها، جَلِيِّها وخَفيِّها.

والعلامة الألباني ليس كسائر العلماء ـ على فضلهم ومكانتهم ـ، فهو ممن جمع له الله قوة في الحق، وظهوراً فيه، ودعوة إلى ما يعتقد، بعبارات صريحة من غير خفاء ولا لبس، ولا تردد ولا تلكؤ!

ويظهر لكل من يقرب من الشيخ، أو يسمع دروسه، أو يطَّلع على مؤلفاته؛ أن همَّ الشيخ في حياته: تصحيح معتقد الناس، ومحاربة الشرك بجميع صوره، وتصفيته ما علق في قلوبهم من ترهات وخرافات

---

(١) فيما يظهر للناس، وقد ظهرت الحقيقة ـ في آخر حياة الشيخ ـ خلاف ذلك، وللتفصيل مناسبة ومكان آخر، والله الموعد.

وبواطيل، والمناداة بقوة للوقوف على الصحيح من الدليل دون الواهي والضعيف، وأي خير في حديث أنت لا تفلّيه، ولا تبحث عن ناقليه.

وكم من معتقدٍ فاسد شاع وذاع في البيئة التي كان يعيش فيها الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ بسبب الأحاديث الواهية والموضوعية، مثل: حديث الأوعال، وحديث الأبدال، واعتنى الشيخ بردهما وكثير مما هو على شاكلتهما، حرصاً على سلامة المعتقد، ونصرة لما كان عليه السلف الصالح.

والكلام على نصرة الشيخ الألباني ـ عليه الرحمة ـ للعقيدة السلفية متشعب ولاحب، ولم يقتصر الشيخ على المناداة به في دروسه ومؤلّفاته، وإنما عايشه: تطبيقاً عمليًّا، ودعوة صريحة، في ظروف حرجة شديدة، تنبىء ـ والله حسيبه ـ على صدقه في ذلك، والأدلة عليه كثيرة، أجتزىء منها موقفاً وشهادة ممن عاين وسمع، وليس الخبر كالمعاينة!

٭ مشاهدة تلميذ حريص:

يقول فضيلة الشيخ علي خشان ـ حفظه الله ـ في مقالة له بعنوان «ناصر الحديث ومجدد السنة ناصر الدين الألباني» (ص ٣):

«والله ما أبصرت عيناي» ـ فيما أعلم ـ أحداً أحرص على السُّنة وأشد انتصاراً لها وأتبع لها من الألباني.

لقد انقلبت به السيارة ما بين جدة والمدينة النبوية وهرع الناس وهم يقولون: يا ستار، يا ستار!

فيقول لهم ناصر الحديث ـ وهو تحت السيارة المنقلبة ـ: «قولوا: يا ستير، ولا تقولوا: يا ستار، فليس من أسمائه تعالى الستار»، وفي

الحديث: «إن الله حيي ستير يحب الستر».

أرأيتم من ينصر السنة والحديث في مثل هذا الموطن في عصرنا هذا؟! اللهم لا! إلا ما سمعنا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأحمد بن حنبل، وغيرهما من سلف هذه الأمة» انتهى.

هذه المشاهدة، وأما الشهادة فهي:

★ شهادة مؤرخ نجدي:

قال الشيخ المؤرخ عبد الله بن محمد بن خميس ـ حفظ الله تعالى ـ في كتابه «شهر في دمشق» (ص ٨٢ ـ ٨٤) تحت عنوان (السلفية بين صفوف الجامعة وحلق العلماء):

«قلت في غير مناسبة: إن الفكر الإسلامي الآن متَّجه لتصفية الإسلام مما علق به من أدران الشبهات والخرافات والتضليل، والأخذ به نقيًّا خالصاً كيوم جاء به محمد بن عبد الله، وكما عرفه صحابته وسلف هذه الأمة الذين مثلوا الإسلام أصدق تمثيل، وفهموه كما ينبغي أن يفهم، أما حينما لطَّخه خلف هذه الأمة بكل مشين، ووصموه بكل نقص وتضليل؛ بغية التحقيق لأهدافهم والدعاية لمبادئهم والتعظيم لعمائمهم والحفظ لمصالحهم.. فهنالك شالت كفة الإسلام وهان عند أعدائه، وظلت الأجيال تحمل إسلاماً أجوف خالياً من كل روح، بعيداً عن كل تقدم، ويومئذ قال أعداؤه: إنه دين يصلح لزمانه الذي شرع فيه!! ولا يتمشى وانطلاقات هذا العصر وتحليقاته، ولا يواكب عصر الرادار والتلفزيون وتحطيم الذرة... قالوا هذا ومثله ومثله، ودللوا على ذلك بواقع أهله المشين! فجاء بعض شباب الإسلام الناشىء، ووجدها قضية

مدعومة بدليل، فصفق لها وحلق وغرب وشرق، وزعم أنه قبض على خاتم سليمان أو عصا موسى، وما علم أن الدعوى باطلة وأن الدليل ملغوم، وأن تفاهة واقع المسلمين انحدرت إليهم من أنفسهم لا من دينهم، وأن الصارم البتار لم يزل ولن يزال يحمل جوهره وفعاليته، ولكن اليد التي تحمله هزيلة شلَّاء لا تستطيع حمله ولا التدليل على مدى تأثيره.. هكذا واقع المسلمين مع إسلامهم..

فأدرك هذا الغُيَّرُ على الإسلام في كافة الأقطار الإسلامية، فأعلنوها سلفية نقية، وراحوا يدعون إليها ويعملون بها، وإذا قيل لهم: أنتم وهابية! وأنتم أتباع ابن تيمية! قالوا: نعم؛ تجمعنا السنة المحمدية والرسالة الإسلامية.

وهكذا وجدت السلفية في دمشق بين صفوف الجامعة وفي حلقات العلماء، يحملها شباب مُثَقَّفٌ مستنير يدرس الطب والحقوق والآداب.

قال لي شاب منهم: ألا تحضر درسنا اليوم؟ فقلت: يشرفني ذلك. فذهبت مع الشاب لأجد فضيلة الشيخ ناصر الألباني محدِّث دمشق الكبير، وحوله ما يزيد على الأربعين طالباً من شباب دمشق المثقف، **وإذا الدرس جارٍ في باب حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده طرق الشرك. ومن كتاب «التوحيد»، وشرحه «فتح المجيد»[1] للمجدد الإمام محمد بن عبد الوهاب وحفيده ـ رحمهما الله ـ فعجبت أشد العجب لهذه المصادفة الغريبة!**

(١) درَّسه الشيخ بناء على اقتراح الأستاذ عبد الحليم محمد أحمد، وهو مدرس مصري، درّس في الشام ثم في عمان، وقد قدَّم له الشيخ بقراءة رسالة «تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد».

وأنصتُّ لأسمع درس الشيخ، وإذا بي **أسمع التحقيق والتدقيق والإفاضة في علم التوحيد وقوة الضلع فيه**، وإذا بي أسمع مناقشة الطلبة الهادئة الرزينة واستشكالاتهم العميقة، حتى انتهى درس التوحيد، وبدأوا في درس الحديث بـ«الروضة الندية»، وهنا سمعت علماً جَمًّا وفقهاً وأصولاً وتحقيقاً، وهكذا حتى انتهى الدرس.

ولم أزل طيلة مقامي بدمشق محافظاً على درس الشيخ، وقد انتهوا في علم التوحيد من كتاب «فتح المجيد»، وبدأوا في كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم» لشيخ الإسلام ابن تيمية؛ وفي كل حين يزداد عددهم، وتتجدَّد رغبتهم، ويكتبون وينشرون. ومن تتبع مجلة «التمدن الإسلامي» وقف على ما لهذا الشيخ وتلامذته من نشاط وجهود، ولقد لمستُ بنفسي لهم تأثيراً كبيراً على كثير من الأوساط ذات التأثير في الرأي العام، مما يبشر بمستقبل جد كبير لهذه الدعوة المباركة» انتهى.

قال أبو عبيدة: وهاتان الحكايتان جاءتا في سياق المشاهدات، لا تكلف فيهما ولا تحتملان المبالغة ولا التهويل، فضلاً عن الكذب والتزوير، إذ خرجتا من صاحبيهما عفو الخاطر! ومن المعلوم أن أصدق ما يحدثنا عن الماضي، هو ما يرد في غير الكتب التاريخية؛ فهذه الكتب قد يعتريها التزييف والتحريف، لأسباب مختلفة، نصَّ عليها علماء المنهج النقلي، ولا مجال لتفصيل القول فيها، ومن ثم لا تصور الأحداث الخالية، نقيَّة من شوائب الأهواء، بيد أن ما يكتب في المشاهدات والرحلات يكون غالباً بمنجاة من التزييف وقلب الحقائق، لأنه يُسجَّل عرضاً، وكأنه خاطرة انبثقت من تداعي المعاني، ولذا كان احتمال التحريف فيه بعيداً، وكان أصدق في الدلالة على القضايا التاريخية، من كتب التاريخ نفسها.

ومما يؤكد ما قاله صاحب المشاهدة الثانية: نقولات عديدة شهيرة وردت في كتب الشيخ نفسه[١]، تبيِّن موقفه ـ بل نُصرتُه ـ من المعتقد الصحيح، الذي أصبح ـ ويا للأسف ـ في بيئات التمشعر والتصوف والتحزب سُبَّةً، وأصبح أهله يُنْبَزُونَ بـ(الوهابيين)!

وهاكم حشداً لنقولات الشيخ من مصنفاته، كتبها في أوقات متباعدات، وأماكن مختلفات، وظروف متعدِّدات، وهي على سياقة

(١) إضافة إلى شهادات عديدة، يعسر في هذا المقام حصرها، ولا يفوتني في هذا المقام ما قاله فضيلة الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق في كتابه «أعلام وعلماء عايشتهم» (ص ١١٢ ـ ١١٣) عن شيخنا الألباني: «وقد ضمّني مجلس لعلماء حمص أرباب العمائم والطرابيش التركية، فنالوا في مجالسهم من الشيخ ناصر، **وأنه وهابي أشد من الوهابية**. .».

وقال في (ص ١١٤) عن الشيخ الألباني: «ذكَّرته بلقائي به في حلب عام ١٣٨٠ هـ وما جرى بينه وبين من ينكر الاستواء وقولك له: إما أن تعترف بأن الله في جهة أو لا تعترف، فإن اعترفت فالجهة هي جهة العلو، وإن لم تعترف فأنت تعبد عدماً، فتذكر الشيخ وقال: بهذا الجدل والمنطق نضرب أدمغة أهل التأويل والتعطيل، فليس لنا قوة السلطان، ولكنه المنطق والجدل المبني على الدليل والعقل السليم».

قال أبو عبيدة: منذ ذاك الحين (سنة ١٣٨٠هـ) وقبلها بأعوام، والشيخ يُهاجَم ويُحارَب ويُذَم ويُشتَم، وقد عقدت له (محاكمة) من مجموعة من علماء (!!) سورية الرسميين، نشرت في جريدة (العلم) سنة ١٩٥٥م بسبب دعوته للتوحيد والسنة، نشرتها في طبعة المكتبة الأثرية لكتابي «إعلام العابد في حكم تكرار الجماعة في المسجد الواحد»، وفي ترجمتي المطولة عن الشيخ الألباني يسر الله إتمامها، ويأتي هذه الأيام غلمان حدثاء الأسنان لم يمض عليهم في الطلب إلا بضع سنوات يطعنون في معتقد الشيخ، وينالون منه! حمقاً وكبراً وتيهاً وطيشاً ورعونة، وقلّة عقل، وخفة دين، فهلا يرعوون، ويتّقون الله في ألسنتهم وأقلامهم، ويعرفون لعلمائهم حقوقهم!

واحدة، لا عوج فيها، ولا تلجلج ولا اضطراب، لأنها ـ إن شاء الله تعالى ـ وفق السنة والكتاب:

★ مدح الشيخ الألباني لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله تعالى:

أولاً: قال رحمه الله في «الآيات البينات في عدم سماع الأموات» (ص ١٥ ط المكتب الإسلامي أو صـ ٣٠ ـ ط مكتبة المعارف): «وقد قام بذلك خير القيام، **أئمة التوحيد وشيوخ الإسلام**، كالإمام ابن تيمية، وابن قيم الجوزية، ومحمد بن عبد الوهاب، والصنعاني، والشوكاني، وغيرهم من أولي الألباب، وإنما الغرض بيان ارتباط هذه المسألة؛ سماع الموتى..».

ثانياً: وقال في «العقيدة الطحاوية شرح وتعليق» (ص ٣٣ ط المكتب الإسلامي): «... فإنه أهم شيء في العقيدة، فلا جرم أن المصنف رحمه الله بدأ به، ومن شاء التفصيل فعليه بشرح هذا الكتاب وكتب شيوخ الإسلام: ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب، وغيرهم ممن حذا حذوهم واتبع سبيلهم ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]».

ثالثاً: قال في «دفاع عن الحديث النبوي والسيرة في الرد على جهالات الدكتور البوطي في كتابه فقه السيرة» (ص ٩٩) في معرض كلام: «أورد البوطي... وزيني دحلان وأمثاله في محاربته لمجدد دعوة التوحيد محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه ومن تبعهم عليها من المتقدّمين والمتأخّرين».

رابعاً: قال رحمه الله عند حديث أخرجه البخاري في «صحيحه»، وفيه

أن (نجد) فيها «الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان»؛ كما في «مختصر صحيح البخاري» (١/ ٤٧٨ ـ ط المكتب الإسلامي): «أي عراقنا[1]؛ كما في بعض الروايات الصحيحة، وبذلك فسَّره الخطابي والعسقلاني؛ كما بينته في رسالتي «تخريج فضائل الشام» (ص ٩ ـ ١٠ رقم الحديث: ٨) خلافاً لما عليه كثير من الناس اليوم، ويزعمون ـ لجهلهم ـ أن المقصود بـ(نجد) هو الإقليم المعروف اليوم بهذا الاسم، وأن الحديث يشير إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه ـ **حاشاهم؛ فإنهم الذين رفعوا راية التوحيد خفاقة في بلاد نجد وغيرها، جزاهم الله عن الإسلام خيراً**».

خامساً: وقال ـ رحمه الله ـ في الشريط رقم (٨٨٠) من (سلسلة الهدى والنور).

«منهجنا قائم على اتباع الكتاب والسنة، وعلى ما كان عليه سلفنا الصالح، وأعتقد أن البلاد السعودية ـ إلى الآن ـ لا يزال الكثير من أهل العلم فيهم على هذا المنهج، متأثرين بما تأثرنا به نحن مثلهم؛ بدعوة شيخ الإسلام بحق أحمد بن تيمية ـ رحمه الله ـ ثم تلميذه ابن قيم الجوزية، ثم بمن سار على منهجهم، وسلك سبيلهم، كالشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي كان له الفضل الأول بإحياء دعوة التوحيد في بلاد نجد أولاً، وبتفصيل دقيق حتى لمسناه في الصغار قبل الكبار هناك، كما أنه أسس للدعوة وأتباع السنة، وعدم إيثار أي مذهب من مذاهب أهل السنة

(١) **قال أبو عبيدة**: انظر هذا الإجمال مفصَّلاً ـ بما لا مزيد عليه ـ في كتابي «العراق في أحاديث وآثار الفتن» (١/ ١٦٣ ـ ١٧٥) أو مختصره المسمى «التهذيب الحسن» (ص ٦٠ ـ ٦٧) نشر الدار الأثرية.

الأربعة على الكتاب والسنة، وكان له الفضل الثالث بعد الشيخين ابن تيمية وابن قيم الجوزية ـ في اعتقادي ـ، بإحيائه منهج الشيخين في العالم النجدي أولاً، ثم في العالم الإسلامي ثانياً، وله الفضل في عصره في نشر هذه الدعوة المباركة، وقد التزمها كثير من العلماء ليس في نجد ثم الحجاز التي تليها، بل في سائر العالم الإسلامي في الهند والباكستان وفي بلاد أخرى».

سادساً: وقال ـ رحمه الله ـ في «الصحيحة» تحت الحديث (٥/ ٣٠٥) رقم (٢٢٤٦): «وإنما أفضت في تخريج هذا الحديث الصحيح وذكر طرقه وبعض ألفاظه؛ لأن بعض المبتدعة، المحاربين للسنة والمنحرفين عن التوحيد يطعنون في الإمام محمد بن عبد الوهاب مجدد دعوة التوحيد في الجزيرة العربية، ويحملون الحديث عليه باعتباره من بلاد (نجد) المعروفة اليوم بهذا الاسم، وجهلوا أو تجاهلوا أنها ليست هي المقصودة بهذا الحديث، وإنما هي العراق».

سابعاً: وقال في «الضعيفة» (٤/ ٧) المقدمة: «وأما الاتهام بالتوهب؛ فجوابي عليه ما قاله بعض الموحِّدين(١) المتبعين لسنة سيد المرسلين:

---

(١) القائل هو الشيخ عمران بن علي بن رضوان بن مالك الحارثي الشافعي، الشهير بـ(اللَّنجي) نسبته إلى (لنجة) وهي مدينة ساحلية، وميناء ثانوي على الشط الشرقي للخليج العربي من الجانب الفارسي، وهي الآن تابعة لإيران، قالت كاملة القاسمي في «تاريخ لنجة» (١/ ١٩٢) عنه: «كان عالماً فاضلاً، وشاعراً أديباً» توفي سنة ١٢٨٠هـ.

قال أبو عبيدة: وكلمة (وهّابي) ـ على حد تعبير الشانئين النابزين ـ تسمية غريبة، لم تنقل عن أحدٍ، من أئمة الدعوة الأُوَل، وإنما نقلت عن =

إن كان تابع أحمد متوهباً فأنا المقر بأنني وهابي!»

ثامناً: وقال في مقدمة «مختصر العلو» (ص ٦٥) عن عقيدة العلو وجواز السؤال عنه بأين ـ بعد كلام ـ: «وفي الطائفة التي تؤمن بالسؤال والجواب الوارد في الحديث المشار إليه آنفاً: شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه المحقق ابن قيم الجوزية، وجميع إخواننا الحنابلة اليوم الذين هم من أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب».

تاسعاً: وقال في «الصحيحة» عند تخريجه لحديث رقم (٧١) ونصه: «**كان ﷺ إذا قُرِّبَ إليه الطَّعامُ؛ يقولُ: بِسمِ اللَّهِ، فإذا فَرَغَ؛ قالَ: اللهُمَّ! أَطْعَمْتَ، وأَسْقَيتَ، وأَقْنَيْتَ، وهَدَيْتَ، وأَحْيَيْتَ؛ فلكَ الحمدُ على مَا أَعْطَيْتَ**».

قال: وفي هذا الحديث أن التسمية في أول الطعام بلفظ: «بسم الله»؛ لا زيادة فيها، وكل الأحاديث الصحيحة التي وردت في الباب ـ

= خصومهم، ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ ليست مذهباً جديداً، ونبزها بـ(الوهابية) (المذهب الخامس) إنما ظهر من أعدائها، وهي دعوة سلفية خالصة، وتصدى جمع من أهل العلم وطلبته للشبه التي تثار حولها، ورحم الله الشيخ العلامة تقي الدين الهلالي القائل:

نسبوا إلى الوهاب خير عباده ... يا حبذا نسبي إلى الوهاب
أَللَّه أنطقهم بحق واضح ... وهم أهالي فرية وكذابِ
أكرم بها من فرقة سلفية ... سلكت محجّة سنّة وكتابِ
وهي التي قصد النبي بقوله ... (هي ما عليه أنا وكل صِحابي)
قد غاظ عباد القبور ورهطهم ... توحيدنا للَّه دون تحابِ
عجزوا عن البرهان أن يجدوه إذ ... فزعوا لسرد شتائم وسباب

وانظر له: «سبيل الرشاد» (١/٦٦، ٣٩٠ ـ بتحقيقي) نشر الدار الأثرية الأردن.

كهذا الحديث ـ ليس فيها الزيادة، ولا أعلمها وردت في حديث؛ فهي بدعة عند الفقهاء بمعنى البدعة، وأما المقلدون؛ فجوابهم معروف: «شو فيها»؟!

فنقول: فيها كل شيء؛ وهو الاستدراك على النبي ﷺ الذي ما ترك شيئاً يقرِّبنا إلى الله إلا أمرنا به وشرعه لنا، فلو كان ذلك مشروعاً ليس فيه شيء؛ لفعله ولو مرة واحدة، وهل هذه الزيادة إلا كزيادة الصلاة على النبي ﷺ من العاطس بعد الحمد؟! وقد أنكرها عبد الله بن عمر رضي الله عنه؛ كما في «مستدرك الحاكم» (٤/ ٣٦٥)، وجزم السيوطي في «الحاوي للفتاوي» (١/ ٣٣٨) بأنها بدعة مذمومة، وقال ابن عابدين في «الحاشية» (١/ ٥٤١) بكراهيتها؛ فهل يستطيع المقلدون الإجابة عن السبب الذي **حمل السيوطي على الجزم بذلك**؟! قد يبادر بعد المغفَّلين منهم فيتهمه ـ كما هي عادتهم ـ بأنه وهابي! مع أن وفاته كانت قبل وفاة محمد بن عبد الوهاب بنحو ثلاث مئة سنة!

ويذكِّرني هذا بقصة طريفة في بعض المدارس في دمشق؛ فقد كان أحد الأساتذة المشهورين من النصارى يتكلم عن حركة محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية، ومحاربتها للشرك والبدع والخرافات، ويظهر أنه أطرى في ذلك، فقال بعض تلامذته: يظهر أن الأستاذ وهابي!!

وقد يسارع آخرون إلى تخطئة السيوطي، ولكن أين الدليل؟! والدليل معه، وهو قوله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه؛ فهو رد**»، متفق عليه، وهو مخرَّج في «غاية المرام» (رقم ٥). وفي الباب غيره مما سنجمعه في كتابنا الخاص بالمحدثات، والمسمى بـ«قاموس

البدع»[١]، نسأل الله تعالى أن ييسر لنا إتمامه بمنّه وفضله».

وقال أيضاً وهو يتكلم عن بعض مشاكسات المشايخ له: «كانت أولى هذه المشاكسات أن جماعة من المشايخ، وبينهم من كان يتوقع منه نصرة السلفية، قد نظموا عريضة يزعمون فيها أني أقوم بدعوة وهابية تشوش على المسلمين...»[٢].

⋆ شهادات الأئمة الثقات لسلامة معتقد الشيخ وحسن منهجه:

ولم تقتصر الشواهد على هذا، بل أزيدك ـ أخي القارىء ـ دليلاً فوق الأدلة السابقة، وبرهاناً مضافاً إلى البراهين الساطعة، ليذهب أصل الشك من قلبك، ويزول أثر الريب من ذهنك، وتكون على المحجة الواضحة، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا من في قلبه دخل ودخن على أهل السنة جميعاً، بل علمائهم وأئمتهم، فأوردُ لك كلام الأئمة الأعلام، وفرسان الإسلام، والعلماء الجهابذة العظام، وكلهم ممن شاهد الشيخ أو ساجله، ودار بينهم وبينه مناقشات ومباحثات ومساجلات، مع حفظ مقام الجميع من الجميع، دون مهاترات الصِّبيان، ومنازلات الغلمان، ومؤاخذات النسوان، القائمة على حظ النفس، وشهواتها ورعوناتها، بل هي صادرة ممن يُحْكِم الكلام، ويزنه بميزان الشرع العظيم، ويعلم خطورة إطلاق المدح على غير مستحقِّيه، ولا سيما في ميدان العلم والعلماء.

---

(١) لم يبق من كتاب الشيخ إلا بطاقات متفرقة! وقد جهدتُ شديداً في جمع كلام الشيخ في (البدعة) تأصيلاً وتقعيداً، وعملت على تتبع (مفردات البدع) التي نص هو عليها في سائر كتبه في عمل علمي منشور عن دار الإمام البخاري بقطر، بعنوان «قاموس البدع» والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

(٢) «علماء ومفكرون عرفتهم» (٢٨٤).

كيف؟! وقد أطلقه أئمة أجمع الناس على فضلهم وعلمهم وإمامتهم، وآثارهم من مؤلفاتٍ وتلاميذ معلومة، وكلماتهم وتقريراتهم ومدحهم مسموعة ومقبولة، وعلى رأس هؤلاء الكرام الفخام:

⋆ العلامة الشيخ الفقيه عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى، قال عن شيخنا الألباني:

«ما رأيت تحت أديم السماء عالماً بالحديث في العصر الحديث مثل العلامة محمد ناصر الدين الألباني».

وسئل سماحته عن حديث رسول الله ﷺ: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**»، فسُئل: من هو مجدد هذا القرن؟ فقال ـ رحمه الله ـ: «الشيخ محمد ناصر الدين الألباني هو مجدد هذا العصر في ظني والله أعلم».

وقال في «فتاويه» (٢٥/ ٧١) «الشيخ ناصر الدين الألباني من خواصِّ إخواننا الثقات، المعروفين بالعلم والفضل والعناية بالحديث الشريف تصحيحاً وتضعيفاً».

وقال عنه: «الشيخ الألباني معروف أنه من أهل السنة والجماعة، ومن أنصار السنة، ومن دعاة السنة، ومن المجاهدين في سبيل حفظ السنة».

وقال عنه في رسالة كتبها وأرسلها في ٢/ ٥/ ١٣٧٧هـ للشيخ عبد الفتاح الإمام: «وأرجو إبلاغ سلامي لمن حولكم من خواص المشايخ والإخوان، وأخص منهم فضيلة أخينا، ومحبوبنا في الله الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني».

وقال عنه: «الشيخ معروف لدينا بحسن العقيدة، والسيرة، ومواصلة الدعوة إلى الله سبحانه، مع ما يبذله من الجهود المشكورة في العناية بالحديث الشريف، وبيان الصحيح من الضعيف من الموضوع، وما كتبه في ذلك من الكتابات الواسعة كلُّه عمل مشكور، ونافع للمسلمين. نسأل الله أن يضاعف مثوبته، ويعينه على مواصلة السير في هذا السبيل، وأن يكلل جهوده بالتوفيق والنجاح».

وقال عنه: «والشيخ الألباني ـ وفقه الله ـ معروف لدينا بحسن العقيدة والسيرة، وتأييد مذهب السلف الصالح واعتناقه له».

وقال عنه: «من إخواننا الثقات المعروفين، من إخواننا الطيبين، صاحبنا وأخونا العلامة الشيخ محمد ناصر الدين، وهو من المجددين».

وقال مع إخوانه المشايخ العلماء في اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، وهم: فضيلة المشايخ: عبد الله بن قعود، وعبد الله بن غديان، وعبد الرزاق العفيفي: «الرجل معروف لدينا بالعلم والفضل وتعظيم السُّنة وخدمتها، وتأييد مذهب أهل السنة والجماعة في التحذير من التعصُّب والتقليد الأعمى، وكتبه مفيدة». كذا في (المجلد الثاني عشر) من «فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» (ص ٢٢٤).

★ العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله تعالى ـ:

كان العلامة البحر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله ـ الذي ما علم مثله في عصره في علم التفسير واللغة ـ يجلّ الشيخ الألباني إجلالاً غريباً، حتى إذا ما رآه مارّاً في درسه في الحرم المدني يقطع درسه قائماً ومسلماً عليه، إجلالاً له.

⋆ العلامة الشيخ محب الدين الخطيب ـ رحمه الله ـ :

قال عنه: «. . من دعاة السنة الذين وقفوا حياتهم على العمل لإحيائها، وهو أخونا بالغيب الشيخ أبو عبد الرحمٰن محمد ناصر الدين نوح نجاتي الألباني».

⋆ العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ـ رحمه الله ـ :

قال عنه: «وهو صاحب سنة، ونصرة للحق، ومصادمة لأهل الباطل».

⋆ العلامة الفقيه الشيخ محمد بن صالح العيثمين ـ رحمه الله تعالى ـ :

قال عنه: «فالذي عرفته عن الشيخ من خلال اجتماعي به ـ وهو قليل ـ أنه حريص جدًّا على العمل بالسنة، ومحاربة البدعة، سواء كانت في العقيدة أم في العمل».

وقال أيضاً: «أما من خلال قراءاتي لمؤلفاته، فقد عرفت عنه ذلك، وأنه ذو علم جم في الحديث رواية ودراية، وأن الله قد نفع فيما كتبه كثيراً من الناس من حيث العلم، ومن حيث المنهاج، والاتجاه في علم الحديث، وهذه ثمرة كبيرة للمسلمين، ولله الحمد».

وقال: «أما من ناحية التحقيقات؛ فناهيك به».

ووصفه بأنه «طويل الباع، واسع الاطلاع، قوي الإقناع».

ورأى ذات مرة شريطاً كتب عليه: «لمحدث الشام محمد ناصر الدين الألباني» فقال: «بل محدث العصر».

* وقد وصفه **الشيخ عبد الصمد شرف الدين** ـ وهو من كبار علماء

الهند ـ ومحدّثيها ـ رحمه الله تعالى ـ في رسالة منه إليه: «بأنه أكبر عالم في الحديث في العصر الحاضر»

* ووصفه العلامة المحدث حماد الأنصاري ـ رحمه الله تعالى ـ: «بأنه ذو اطلاع واسع في علم الحديث»، وفي عام ١٤٠٠هـ خاطب مركزُ الملك فيصل الشيخَ حماد من يرشح لجائزة الملك فيصل في علم الحديث وعلومه؟ فكتب لهم الشيخ حماد جواباً أنه يرشح الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني، أفاده ولده عبد الأول في «المجموع في ترجمة والده» (٢/ ٥٩٨) وفيه أيضاً: «قال الوالد: الألباني كان حنفياً، ثم دخل في علم الحديث حتى وصل فيه إلى الغاية...».

⋆ العلامة الشيخ المتفنِّن بكر أبو زيد ـ رحمه الله تعالى ـ:

قال في كتابه «التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير» (ص ٤١): «وارتسام علميّة الألباني في نفوس أهل العلم، ونصرته للسنة، وعقيدة السلف؛ أمرٌ لا ينازع فيه إلا عدوٌّ جاهل».

⋆ العلامة المحدث شيخنا عبد المحسن العبّاد ـ حفظه الله تعالى وأمتع به ـ:

قال عنه: «والألباني عالم جليل خدم السنة، وعقيدته طيبة، والطعن فيه لا يجوز، ثم ذكر كلام الإمام الطحاوي في عقيدته: «وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين أهل الخبر والأثر، وأهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهم على غير السبيل».

وقال: إنه فقيد الجميع، العالم الكبير الشهير الشيخ محمد ناصر

الدين الألباني ـ رحمه الله وغفر له ـ، وله جهود عظيمة في خدمة السنة، وفي العناية بحديث رسول الله ﷺ وبيان مصادر تلك الأحاديث والكتب التي ذكرتها، وبيان درجتها من الصحة والضعف، خدمته للسنة مشهورة، ودافع عن عقيدة السلف ومنهج السلف دفاعاً عظيماً، ولا يستغني طلبة العلم عن الرجوع إلى كتبه وإلى مؤلفاته، فإنَّ فيها الخير الكثير، وفيها العلم الغزير، ومؤلفاته مشهورة عظيمة، ولا تخلو المكتبات غالباً من كتبه، أو من وجود شيء منها، وله عناية بالبحث والكتابة والرجوع إلى كلام العلماء والاستفادة منهم، وإن ذهاب مثل هذا العالم هو في الحقيقة نقص كبير على المسلمين، ومصيبة وثلمة في الدين».

وقال: «وإن هذين العلمين ـ أي: ابن باز والألباني ـ من العلماء الكبار الجهابذة المحققين، الذين لهم العناية الفائقة، والهمة العالية، وكل منهما له جهود عظيمة في العقيدة، وقد حصل على أيديهما الخير الكثير، وحصل بسببهما النفع العظيم للإسلام والمسلمين، فجزاهما الله أحسن الجزاء، وغفر لهما، وتجاوز عن سيئاتهما».

وقال: «فإنه بحقٍّ من العلماء الأفذاذ الذين كانوا في هذا العصر، والذين لهم جهود في خدمة سنة المصطفى».

*** وقال عنه الشيخ العلامة ناصر السنة حُمُود بن عبد الله التويجري ـ رحمه الله تعالى ـ :** «الألباني الآن علم على السنة، الطعن فيه إعانة على الطعن في السنة».

*** ووصفه الشيخ العلامة عبد العزيز آل الشيخ مفتي المملكة العربية السعودية ـ حفظه الله ـ بقوله:** «نصر السنة في هذا العصر».

* وقال عنه الشيخ الفاضل العلامة صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ـ حفظه الله ـ:

«لا شك أن فقد العلامة محمد ناصر الدين الألباني مصيبة، لأنه علم من أعلام الأمة، ومحدِّث من محدِّثيهم، وبهم حفظ الله جل وعلا هذا الدين ونشر الله بهم السنة».

وقال عنه أيضاً: «إن للفقيد مآثر في نصرة العقيدة السلفية، ومنهج أهل الحديث، وله مؤلفات عظيمة عديدة في خدمة الحديث، وتمييز الحديث الصحيح من الضعيف، وأثره في العالم الإسلامي كبير، ويعدُّ من علماء الأمة بمآثره الجليلة العظيمة».

*** العلامة المحدث الشيخ أحمد معبد عبد الكريم ـ حفظه الله تعالى ـ :**

سمعته يقول في بيت الشيخ فالح صغير في الرياض بعد ظهر يوم الإثنين الموافق ١٣/١١/١٤٢٧هـ ـ ٤/١٢/٢٠٠٧م: كنت وأنا في الثانوية سنة ١٩٥٨م أتابع ما ينشره الشيخ العلامة الألباني في «الوعي الإسلامي» الكويتية من الأحاديث الضعيفة، ولم يكن آنذاك أحدٌ يرفع رأسه بهذا العلم إلا الألباني وأحمد شاكر.

وقال في التاريخ نفسه في مجلس آخر: لما ذهبنا إلى الأردن مع الشيخ محمود الميرة كانت لنا رغبة؛ بل طلبنا أن نزور الشيخ الألباني، ولكن حُجِزنا عنه، وقال: وكنت أترقب قدوم الشيخ الألباني للرياض لأجل موضوع العلاج، وكنت على صلة وطيدة مع الشيخ وليد الرشودي الذي عمل على استصدار أمر ليعالج الشيخ، وذلك حتى ألتقي بالشيخ، ولكنه لم يحضر!

*** وقال عنه الشيخ الفاضل عبد الله بن عبد الرحمٰن البسام** المدرس بالمسجد الحرام، وعضو هيئة كبار العلماء ـ رحمه الله ـ: «اليوم هو

من أئمة هذا الزمان، بذل نفسه وجهده وماله لخدمة السنة».

* **وقال شيخ الحنابلة العلامة عبد اللَّه بن عبد العزيز بن عقيل في «فتح الجليل» (١٥٥ ـ ١٥٦) عن الشيخ الألباني:** «الألباني شيخنا وأستاذنا . .».

وسئل عمَّن ينصح بالقراءة له من العلماء المعاصرين، فذكر جماعة، وقال: «وكتب الشيخ الألباني، ونرى أنه من أئمة السنة، ومن كبار المحدِّثين، وخدم الحديث خدمة كبيرة بمؤلفاته». ثم سئل: إن بعضهم يقول: يؤخذ عنه الحديث فقط دون الفقه؟ فقال ما نصه: «ما يضر الشيخ الألباني إن أتاه ـ يعني تكلم فيه ـ واحد أو اثنين أو عشرة أو مئة، الشيخ الألباني عالم، وهذه آثاره موجودة مطبوعة، والغلط لا يضره، أحد ما يغلط؟ أحد ما له غلطات وسقطات؟! الكمال لله تبارك وتعالى، والمنصف من اعتبر حسنات الإنسان وسيئاته، كم مؤلفاته؟ تجيء مئة».

ولما التقيت بفضيلة الشيخ ابن عقيل في رمضان ١٤٢٨هـ في مكة المكرمة، سألته عمن يتهم الشيخ بالإرجاء، فأنكر ذلك جدًّا، وقال: «ما لهؤلاء مستند ولا معتمد فيما يقولونه». وقال في مجلس آخر: «ما لهم يرمون الشيخ الألباني بالإرجاء، فها هو يصرح بأن العمل من الإيمان!».

* **وقال الشيخ عبد الله بن سليمان المنيع رئيس محكمة تمييز مكة، وعضو هيئة كبار العلماء:** «لقد فجع معشر المسلمين بفقد عالم كبير من السلفيين، الذي كان له باع طويل في محاربة البدع والضلالات، والرد على أصحابها من كتاب الله وسنة رسوله، هذا فضلاً عما لفضيلته من تحقيقات صائبة في سبيل تمحيص السنة والتبصير بصحيحها من سقيمها».

* **وقال المحدث الفاضل شارح «سنن النسائي» الشيخ محمد علي**

آدم الأثيوبي عن الألباني: «وله اليد الطولى في معرفة الأحاديث تصحيحاً وتضعيفاً، كما تشهد بذلك كتبه القيمة، فقلَّ من يدانيه في هذا العصر، الذي ساد فيه الجهل بهذا العلم الشريف».

* وقال الشيخ فضل إلٰهي ظهير فيما سمعته منه بالرياض في ١٣/ ١١/ ١٤٢٧هـ: «رأيت النور في وجه الشيخ الألباني».

في سلسلة ممتدة صحيحة متصلة متواترة مباركة ميمونة من أهل العلم على تنوُّع تخصّصاتهم، واختلاف مشاربهم، وتعدد بلدانهم؛ بل مدحه جمع من شانئيه، واعترفوا بفضله وعلمه، وهمته ونشاطه في دعوته لمنهج السلف عموماً، وللمعتقد خصوصاً، ولا يتسع هذا المقام إلا لما تقدم، وفيه غُنية وكفاية ـ إن شاء الله تعالى ـ لمن رام الهداية.

* * *

⋆ مدح الشعراء لمعتقد الشيخ:

ولم يقتصر المدح كما رأيت على المحدّثين من الشيوخ والأساتيذ، بل تعدّاه للمفكرين والصحفيين والإعلاميين، وجمَعتُ ما نشر على إثر وفاة الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ من كلمات هؤلاء في مصنَّف مفرد، يرى النور ـ إن شاء الله تعالى ـ قريباً، مع شعر من رثاه من العلماء وطلبة العلم النبهاء، واجتمع لدي الكثير منه، وأجتزىء في هذا المقام على ذكر ما يخصُّ معتقد الشيخ على وجه الخصوص، ليكون دليلاً وشاهداً إضافة إلى ما سبق من بيّنات على سلامة معتقد الشيخ، وتقوم الأدلة الواضحات على تخرص منتقصيه، ونقص منتقديه، وانتقاد الطاعنين فيه.

قال الشاعر عبد الله بن عبد الرحمٰن بن منيع ضمن قصيدة(١) بعنوان (شيخ الحديث وحبره المأمون):

فرز الحديث صحيحه وضعيفه حتى غدا للطالبين مبينُ
فأبان للطلاب أنوار الهدى فبدى لهم بدل الشكوك يقينُ
أما العقيدةُ فالإمام نصيرها ولمن تطاول سيفه مسنونُ
تلميذ مدرسة النبي وصحبه سلفيّة فيها الثمارُ فنونُ

وقال أخونا الشاعر أبو الفضل عادل المراكشي في قصيدة طويلة بعنوان (مضى إلى الله)، قال:

يدعو إلى دعوة التوحيد منتبذاً أَوْحالَ شرك إذا المطلُوب قد طُلِبا
أعلى لأهل الحديث رايةً حُجبَتْ دهراً فكشَّفَ عنها السِّترَ والحُجُبا
أعلى به اللَّهُ قولَ الحقِّ في زمنٍ يسطو بغربة أهل السّنَّةِ الغُرَبا
روَّى به سلفيَّ النّهج متبعاً هَدْيَ الرَّسُولِ ومَنْ للمصطفى صَحِبا

وقال بعد أبيات:

ما اللَّه يغفرُ ذَنباً للأُلى زَعموا شذوذَ شيخ الهدى في الرأي مُنْعَصِبا
أو من يقول لذي الإيمان إن له من قولِ مرجئةٍ كلَّا لقد كَذَبا

وقال الأخ أبو عبد الرحمٰن سامح توفيق شرف الدين المصري ضمن قصيدة(٢) له بعنوان (بعض الوفاء لوارث خير الأنبياء):

صفَّى وربَّى كلَّ طالب سنّةٍ هذي طريقته ترى بعيانِ

---

(١) نشرت في مجلة «الدعوة» السعودية، العدد (١٧١٤) ١٢/رجب ١٤٢٠هـ - الموافق ٢١ اكتوبر ١٩٩٩م (جـ ٦).

(٢) نشرت في مجلة «التوحيد» المصرية، العدد الثامن، شعبان سنة ١٤٢٠هـ (ص ١٧).

هو في حلوق المارقين كَغُصَّةٍ   وطوائف الأهواء والشنآن
هو للخوارج دِرّةٌ عُمَرِيَّةٌ   أعراهمُ بسواطع البرهانِ
ثقة إمام غائصٌ متبحِّرٌ   فخرٌ لأهل العلم والإيمان

ومما أنشدني فضيلة الشيخ مفلح الرشيدي ـ شفاه الله وعافاه ـ في بيته في سلخ شعبان سنة ١٤٢٨هـ قصيدة ناولني إياها، وفيها:

فيا طالباً للعلم شَمِّر وبادِرِ   وللشيخ في الإيمان والعلم مطلبٌ
فأنتم إمام العصرِ تاج الأواخرِ   فكم سُنّةٍ مهجورة قد نشرتَها
فماتت ولم يبقَ لها من مظاهرِ   وكم بدعة صرحتَ جهراً بردّها

* * *

★ **الجهود الأكاديمية والأطروحات العلمية عن الشيخ الألباني:**

وازدانت الشهادات السابقات ببعض الجهود الأكاديمية، والدراسات النظامية، فأصبح الشيخ وسيرته، ومنهجه وجهوده، وعطاؤه ومؤلّفاته، وترجيحاته وتقريراته، وموافقاته ومخالفاته، ومصادره وموارده، واعتراضاته وردوده، ومناقشاته ومؤاخذاته، ومراجعاته ونوادره؛ مواضيع بحوث، ومشاريع وأطروحات أكاديمية وغيرها، تقدّم إلى تخصصات متعددة في كليات الشريعة(١) المبثوثة في أرجاء البلدان الإسلامية.

---

(١) اتصل بي بعض الإخوة ممن سجل للدكتوراه عن منهج الشيخ الألباني الفقهي، في جامعة أم القرى. وعرض على بعض جامعاتنا في الأردن: «جهود الشيخ الألباني في علم الحديث»، فرفض! بينما قُبل ـ ونوقش ـ: «جهود الشيخ الكوثري في الحديث»!!

ومما هو قريب من موضوعنا، بل في البابة نفسه، ولكن على وجه مخصوصٍ في محور معين: دراسة نشرت بعنوان: «**الشيخ الألباني ومنهجه في تقرير مسائل الاعتقاد**» للأخ الباحث أبي عبد الرحمٰن محمد ابن سرور شعبان، وهي أطروحة ماجستير نوقشت في كلية دار العلوم بالقاهرة، وأقتصر منه على هذه العبارات، ليكون مدخلاً للكلام على كتابنا هذا:

ـ قال (ص ١٢) عن الشيخ الألباني: «والمتتبع لمجهودات الشيخ في تقرير وتقريب معتقد أهل السنة، يجد كمًّا هائلاً من المحاضرات والمناظرات المسموعة، مع عدم غفلته في جُلِّ مؤلفاته عن نفس النهج في تقرير معتقد أهل السنة».

ـ وقال (ص ٧٤٩) عن جهوده في ردوده على المناوئين للعقيدة السلفية: «ولو رحنا نتتبع ردود الشيخ ومعاركه لطال المقام جدًّا، وهذه الردود تحتاج إلى رسالة علمية، مستقلة لاستخراج ما فيها من درر علمية، ومناورة فكرية، وتنظيم فكر إلى جانب أن له منهجاً في المناظرة يحتاج إلى من يوضح معالمه..».

٭ جهود الشيخ الألباني في الرد على من خالف معتقد السلف:

قال أبو عبيدة: جهود الشيخ في التأليف في نصرة معتقد السلف كثيرة، بما في ذلك ردود مفردة على مسائل معينة، مثل «مناظرة كتابية مع طائفة من أتباع القاديانية»، و«الرد على السخاف فيما سوده على كتاب دفع شبه التشبيه»، و«الرد على كتاب المراجعات» لعبد الحسين الرافضي، و«الرد على كتاب ظاهرة الإرجاء» لسفر الحوالي، ورد في

كتبه على كثير من البدع ونادى بها بعض المبتدعين مثل: يوسف النبهاني في قوله بأن الأموات ينفعون ويضرون، وتجد ذلك في «الآيات البينات»، وسلامة القضاعي العزامي، رد عليه في قضية التأويل، كما في «مختصر العلو»، والطبيب البيطري إسماعيل منصور، رد عليه في رده لأحاديث الرسول ﷺ وطعنه في الصحابة الكرام، ومحمد عبده، ومحمد فهيم أبو عبية، رد عليهما في إنكارهما نزول عيسى عليه السلام وخروج الدجال، كما في «قصة المسيح الدجال»، وسيد قطب، وعبد الله الحبشي في أكثر من كتاب ومقال، والخميني، فيما وقفت عليه بخطه، وفي «الصحيحة» أيضاً، ومحمد أبو زهرة رد عليه في تأويله آيات الصفات وطعنه بشيخ الإسلام ابن تيمية، في بعض المقالات، هكذا وقد أتيتُ ـ ولله الحمد ـ والمنّة على ذلك كله في كتابي «قاموس البدع»، وهو مستخرج من جميع كتبه المطبوعة.

* * *

⋆ هذه الأطروحة:

وأما كتابنا هذا؛ فهو لأخٍ سني محب للشيخ، ومن المناضلين عن دعوته في وقت الغربة، بل في مكان الغربة أيضاً، إذ نوقشت هذه الرسالة العلمية الأكاديمية في جامعة تكريت بالعراق ـ فك الله أسره ـ، واحتشد الناس وقت المناقشة، وامتلأت القاعات، وغصَّت بالناس، لحبِّهم للعلامة الشيخ الألباني الذي حرم أهل العراق فترة طويلة من كتبه، بل كانت كتبه وأشرطته فترة من الزمن جريمة، أُعدم بسببها بعض الأفاضل، ولا قوة إلا بالله!

⋆ دعوة الإمام الألباني وسطية لا عنف فيها ولا غلو:

ودعوة الشيخ الإمام الألباني دعوة علمية، منهجية، عقائدية، تربويّة، لا عنف فيها ولا غلو، بل هي تمثل الوسطية بجميع أبعادها، واختلاف ميادينها، فكان الشيخ في كتبه وأشرطته يدعو بقوة ووضوح إلى وجوب طاعة أولي الأمر، وحرمة الخروج على الحكام، وفتاويه وتقريراته في ذلك شهيرة، طارت في كل مكان وسارت بها الركبان، ويرى أن الأعمال الانتحارية والتفجيرات التي تقع في بلاد المسلمين من الأعمال الهوجائية. ويقول: «إن هذه الجزئية ـ أي التفجيرات والعمليات الانتحارية ـ من الكلية، أخطرها هو هذا الخروج الذي مضى عليه بعض سنين، ولا يزداد الأمر إلا سوءاً».

⋆ كلامه في التفجيرات والعمليات الانتحارية:

نعم؛ كلامه التفصيليّ في العمليات الانتحارية ليس على الواقع الموجود، والطريقة التي تمارس فيه، وإنما كلامُهُ بضوابطه الشرعية، حال قيام الجهاد الشرعي بإذن أولياء الأمور، وإعداد العُدّة، والقتال تحت راية شرعية، فحينئذ يأتي الكلام بوجهه، وليس لآحاد الجند أن يقوم بذلك إلا وفق خطة مدروسة لا يستطاع الوصول للعدو إلا من خلال أمثال هذه العمليات، بإقرار من المسؤولين عنه، وبإجراءات متلاحقة معروفة في علومهم العسكرية، وحينئذ يعتز أولياء الأمور ويفرحون ببسالة الجند وتضحيات جيوشهم، وينزل الخلاف الذي فيه في موقعه، وهذا هو صنيع إخوانه فقهاء الزمان: ابن باز وابن العيثمين ـ رحم الله الجميع ـ، وكلام كاتب هذه السطور وإخوانه من تلاميذ أولئك المشايخ في أبحاثهم وفتاويهم ليس له إلا هذا المحل، ولا يذهبن بك الظن أن كلامهم مضطرب، أو متعارض أو متناقض، فإنما هذا في عقل المتربِّص

والمتخرِّص(١)، فالكلام في أي مسألة ينبغي أن لا يخرج عن الأصول المقررة عند معتقدها!

⋆ التعريف بهذه الأطروحة:

هذه الرسالة بعنوان «**جهود الإمام الألباني في بيان عقيدة السلف في الإيمان بالله تعالى**» قُدِّمت لمجلس كلية التربية في جامعة تكريت لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية، وهي بإشراف الأستاذ الدكتور فرحان إسماعيل إبراهيم، وهي من إعداد أخينا الباحث أحمد صالح حسين الجبوري، أبرز فيها جهود شيخنا العلامة المحدث الألباني في نصرته ودعوته إلى توحيد الله تعالى على منهج السلف الصالح؛ اعتمد فيها على كتب الشيخ الألباني، واستفاد من الكتب التي ترجمت له، وأيَّد ما فيها بالأدلة النقلية، ودعم كلامه بكلام الأئمة الأعلام ممَّن دافعوا وناضلوا عن معتقد السلف، وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

وواجهت الأخ الباحث ـ حفظه الله تعالى ـ صعوبات جمَّة، تغلَّب على كثير منها بالصبر والمثابرة، وتسلح بالشجاعة والإقدام، ورد على من نبز الشيخ الألباني بالإرجاء، مع أنَّه رجَّح أنَّ أعمال الجوارح شرط صحة لا شرط كمال.

---

(١) مثل ذاك الكردي الأحمق الذي أكثر الكذب والتقوُّل عليَّ بما لا يخطر لي ببال، ولا سنح في الخيال؛ من زعمه أني أمدح سيد قطب، أو أني لا أثبت صفة العينين لله عز وجل، أو أني أطعن في المشايخ والعلماء كالعلامة الوالد الشيخ ابن عثيمين! ووالله الذي لا إله إلا هو إنه يعلم أن هذا كذب عليَّ، إلا أن يكون مجنوناً أو معتوهاً، أو مسحوراً، أو لا يفهم معاني الكلام! ولكن ـ في الحقيقة ـ وراء الأكمة ما وراءها، فالله حسيبه، فهو من الذين ينبزون شيخنا الألباني بالتجهم!! (ألا لعنة الله على الكاذبين).

فهذا قول كان يقول به الشيخ الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ، وهذا نص كلامه في درس من دروسه «شرح الأدب المفرد» للبخاري:

«إن الإيمان بدون عمل لا يفيد، فالله حينما يذكر الإيمان، يذكره مقروناً بالعمل الصالح، لأننا لا نتصور إيماناً بدون عمل صالح، إلا إن كنا نتخيله خيالاً، آمن من هنا ـ وذكر الشهادتين ـ ومات من هنا، هذا نستطيع نتصوّره، لكن إنسان يقول ـ وذكر الشهادتين ـ ويعيش دهراً مما شاء الله، ولا يعمل صالحاً، فعدم عمله الصالح هو دليل أنه يقولها بلسانه ولما يدخل الإيمان إلى قلبه.

فذكر الأعمال الصالحة بعد الإيمان يدل أن الإيمان النافع هو الذي يكون مقروناً بالعمل الصالح».

وقال في معرض رده على الكوثري: «يحاول أن يصور للقارىء أن الخلاف بين السلف والحنفية في الإيمان لفظي، يشير بذلك إلى أن الأعمال ليست ركناً أصليًّا» انتهى كلامه.

قال أبو عبيدة: عليك أخي القارىء وأنت في هذا المقام الذي كُذِب[1] فيه على الشيخ شديداً، وضلّت بسببه أفهام، وزلّت أقدام أن تتذكر الحقائق الآتية:

أولاً: لم ير الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في برهة من عمره أن الأعمال ليست من صلب الإيمان، وأنها ليست داخلة فيه، ومن زعم ذلك فهو لا يعرف تقرير الشيخ، ولا فقهه فيه.

ثانياً: بناءً على ما تقدم يرى الشيخ أن الكفر المخرج من المِلَّة

---

(١) بمعنى الخطأ، وقد يكون في حق بعض المزورين المتلاعبين على معناه الأصلي (الإخبار بخلاف الواقع).

ليس محصوراً بالجحود، وإنما يقع بالقول والعمل، صرح بذلك في غير مجلس من مجالسه.

وإذا لم ترَ الهلال فسلِّم لأناس رأوه بالأبصار

ثالثاً: بناء على النقطة الأولى؛ يرى الشيخ ضلال من زعم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وخطَّأ من منع الاستثناء من اليمين؛ لأن العمل داخل فيه، لا ينفك عنه، فافهم.

رابعاً: المقام الذي ثور مسألة عمل الجوارح: هل هو شرط صحة أم كمال: مسألة تكفير تارك الصلاة كسلاً، وتحمَّس لها طرفان متقابلان(١)، ووقع تهاتر فيه، وخرج الخلاف في أكثرها عن كونه فقهيًّا!! وجرَّ إلى تراشق وتنابز، وإعمال (لازم المذهب)، والأمر على التحقيق ليس كذلك.

خامساً: مثل الذي سبق(٢): فتاوى صدرت من الشيخ تخالف فتاوى الأئمة المعتبرين ممَّن عاصروه من الفحول، حول عدم تكفير شاتم الدين، على الرغم من عدم تفرده بذلك، إلا أن قوماً ظنوا أن الشيخ لا يكفر إلا بالجحود! ونفخ في هذه الفتاوى، وحمَّلها بعضهم ما لا تحتمل، والذي أراه ـ في هذا المقام ـ أن قولة الشيخ العلامة ابن عثيمين: «لكن الذين

---

(١) تحمَّس خطيب ـ (كبير كبير) ممن كان يدافع عن الشيخ، وله أيد مشكورة كانت سبباً في بقائه في الأردن ـ فقرَّر على المنبر أن المرأة إذا ركبت (اللولب) فهذا من دواعي زيادة مدة حيضها، فتزيد الأيام التي تترك فيها الصلاة، وهذه الزيادة تنزل منزلة ترك الصلاة عمداً، وعليه فيُخشى عليها من الكفر، إن لم يكن قد قرر أن الكفر في هذه الحالة قد لابسها!!.

(٢) أعني أنه أخذ بلازم قوله، ولازم المذهب ليس بمذهب على كلمة المحققين من السابقين والخالفين.

يريدون أن يكفروا الناس يقولون عنه ـ أي الألباني ـ وعن أمثاله أنهم مرجئة» هي ملخَّص مفيد لحقيقة الأمر وفحواه، وحاضره ومنتهاه، فعلى السلفيين أن يدركوا حقيقة ما يجري، وعليهم بالتعاون الشرعي، والتكامل لا التآكل، لمحاربة العقائد الفاسدة، والمناهج المنحرفة.

فعليك ـ أيها السُّنِّي ـ أن تدرك ـ وأنت تتكلَّم في دقائق المسائل منهج العلماء الكبار، ودَعْكَ من الشَّنشنات والفقاقيع، التي لا يطير بها إلا الخفيف من الحزبيين ولكنها تضر المبتدئين من غير الراسخين من السلفيين، فاحرص ـ رعاك الله ـ على طيِّ بساط القيل والقال، وترك النزاع، والبُعد عن التجديع والسباب، والطعن والاتهام، واعلم أنه «ليس منا من لم يعرف لعالمنا حقه»[(١)]، وما دوَّنتُ هذه الكلمات ـ والله يشهد ـ إلا لتقرير هذا المعنى الشرعي، الذي كان ظاهراً ظهور الشمس في رائعة النهار أبان حياة المشايخ ولا سيما الألبانيَّ منهم، فقد «مات الألباني، فليقل من شاء ما شاء»، والله الموعِد!

وكتب
أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان
بعد ظهر يوم الأحد
السابع من ربيع الثاني سنة ١٤٢٩هـ
الأردن ـ عمان

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٢٣) والبزار في «المسند» (٢٧١٨) والطحاوي في «المشكل» (٢/ ١٣٣) والطبري في «تهذيب الآثار» (٧٨٧)، والشاشي في «المسند» (١٢٧٣)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٢٢)، وحسنه شيخنا الألباني في «صحيح الجامع» (٩٥٧٤) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.



المقدِّمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمدَ لله نَحمدُهُ وَنَستَعينُهُ وَنَستَغفرهُ، وَنَعوذُ بالله مِن شرورِ أنفسنا وَمِن سيئاتِ أعمالِنا، مَن يهدِهِ الله فلا مُضِلَّ لَهُ ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وَحدَهُ لا شَريكَ لَهُ وأشهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبدُهُ وَرَسولُهُ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

أما بَعدُ(١):

(١) هذه هي خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه، ينظر: خطبة الحاجة للألباني ٤ ـ ٤٥.

فإنَّ مَسألةَ التوحيدِ من أهمِّ مَسائلِ الدِّينِ وأعظَمِها، بَل هي أعظَمُ مَسائلِ الدِّينِ على الإطلاقِ، إذ إنَّها دَعوةُ جَميعِ الأنبياءِ والمرسلينَ، قالَ الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وَلذلك فَقَد كَانَت حَياةُ النبيِّ ﷺ حَافلةً بالدعوةِ إلى التَّوحيدِ وَتَرسيخِ دَعائِمِهِ، والتَّحذيرِ مِن الشركِ وَمُحاربةِ أهلِهِ، فَقَد كَانَ عَليه الصلاةُ والسلامُ يُعَلِّمُ أصحابهُ مَسائِلَ التوحيدِ صَغيرَها وَكَبيرَها، فَمِن ذلك أَنَّ رَجُلاً قال للنبي ﷺ: ما شَاءَ الله وَشِئْتَ، فَقَالَ لَهُ النبيُّ ﷺ: (**أجَعَلتَني وَاللَّهَ عَدْلاً بَلْ مَا** شَاءَ الله وَحْدَهُ)(١).

وَلَقَد بَلَغَ مِن شِدَّةِ مُحاربةِ النبي ﷺ للشِّركِ وأهلِهِ إنَّهُ كَانَ يُرسِلُ إلى صُروحِ الشِّركِ مَن يَهدمها؛ فَعَن أبي الْهَيَّاجِ الأَسَديِّ قَال: قالَ لي عَلِيُّ ابنُ أبي طَالِبٍ: (**ألا أَبْعَثُكَ على ما بَعَثَنِي عليه رسول اللَّهِ ﷺ أَنْ لا تَدَعَ تِمْثَالًا إلا طَمَسْتَهُ ولا قَبْرًا مُشْرِفًا إلا سَوَّيْتَهُ**)(٢).

بل إنَّ رسولَ الله ﷺ كان حَريصاً على بَيانِ التَّوحيدِ لأصحابِه وَتَحذيرِهِم مِن الشِّركِ حتى في اللَّحظاتِ الأخيرةِ مِن حَياتِهِ عَليهِ السَّلامُ، فَقَد قالَ لأسامةَ بنِ زيدٍ في مَرَضِهِ الذي تُوفي فِيهِ: (**أَدْخِلْ عَلَيَّ أصحابي**) فَدَخَلُوا عليه فَكَشَفَ الْقِنَاعَ ثُمَّ قال: (**لَعَنَ الله الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**)(٣).

وَلَقَد كَانَ النبيُّ ﷺ إذا أرسلَ إلى الناسِ مَن يُعلِّمُهُم دينَهم كانَ يأمرُ

---

(١) مسند الإمام أحمد ١/ ٢١٤.

(٢) صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج، كتاب الجنائز، بَاب الْأَمْرِ بِتَسْوِيَةِ الْقَبْرِ ٢/ ٦٦٦.

(٣) مسند الإمام أحمد ٥/ ٢٠٣.

رُسُلهُ أن يبدأوا بالدعوةِ إلى تَوحيدِ الله عزَّ وجلَّ، فَقَد قَالَ لِمُعَاذِ بن جَبَلٍ حين بَعَثَهُ إلى الْيَمَنِ: (**إِنَّكَ تَقْدمُ على قَوْمِ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ ما تَدْعُوهُمْ إليه عِبَادَةُ اللَّهِ فإذا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قد فَرَضَ عليهم خَمْسَ صَلَوَاتٍ في يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ. . .**)(١).

و«جاءَ الإسلامُ بِعقيدةِ التوحيدِ لِيَرفعَ نُفُوسَ المسلمينَ، وَيَغرِسَ في قُلُوبِهم الشَّرفَ والعِزَّةَ والأنَفَةَ والحَميَّةَ، وَلِيُعتِقَ رِقابَهُم مِن ذُلِّ العُبوديَّةِ، فلا يَذِل صَغيرُهُم لِكَبيرِهِم، ولا يَهابُ ضَعيفُهُم قَويَّهُم، ولا يَكونُ لذي سُلطانٍ بَينَهُم سُلطانٌ إلا بالحقِّ وَالعَدلِ. . .

أما اليومُ وَقَد دَاخَلَ عَقيدَتَهُم ما داخلَها مِن الشركِ الباطنِ تارةً والظاهرِ أخرى، فَقَد ذلَّت رِقابُهم وَخَفَقَت رؤوسُهُم، وَضَرَعَت نُفُوسُهُم، وفَتَرَت حَميَّتُهُم، فَرضُوا بِخُطَّةِ الخَسفِ، واستَناموا إلى المنزِلَةِ الدُّنيا، فَوَجَدَ أعداؤهم السَّبيلَ إليهم، وَمَلَكوا عَلَيهِم نُفُوسَهُم، وأموالَهم، وَمواطِنَهُم، وَديارهُم، فأصبحوا مِن الخاسِرينَ.

والله لَن يَستَرجِعَ المسلمونَ سالِفَ مَجدِهِم، وَلَن يَبلُغوا ما يُريدون لأنفسِهِم مِن سَعادةِ الدنيا وَهناءتِها؛ إلا إذا استَرجَعوا ما أضاعوهُ مِن عَقيدةِ التَّوحيدِ»(٢).

واخترتُ الكتابةَ في هذا الموضوعِ لسببينِ:

الأولُ: هو ما تَقَدَّمَ مِن أهميَّةِ التوحيدِ وأنَّه أولُ دعوةِ الأنبياءِ وأنَّهُ

---

(١) الجامع الصحيح المختصر المعروف بصحيح البخاري، للإمام البخاري، كتاب الزكاة، بَاب لَا تُؤْخَذُ كَرَائِمُ أَمْوَالِ الناس في الصَّدَقَةِ ٢/ ٥٤٤.

(٢) دمعة على التوحيد حقيقة القبورية وآثارها في الأمة، كتاب صادر عن مجلة البيان ٢١٣ ـ ٢١٤.

الحدُّ الفاصِلُ بينَ الحقِّ والباطِلِ وأنَّهُ لا نَجاةَ عندَ الله إلا لِمَن حَقَّقَ التَّوحيدَ وَقامَ بِهِ.

والآخر: هو إبرازُ جهدِ الشيخِ الإمامِ محدِّثِ بِلادِ الشامِ ناصر الدينِ الألبانيِّ رَحِمَهُ اللهُ في نُصرَتِهِ وَدَعوتِهِ إلى تَوحيدِ الله عزَّ وجلَّ مُقتَفياً آثارَ الأنبياءِ وأتباعهم في هذهِ الدَّعوةِ الطيِّبةِ المباركةِ وَمُبيِّناً مَنهجَ السَّلفِ الكِرامِ في ذلكَ وَرادّاً على الـمُخالِفينَ لِهذا التوحيدِ.

يُضافُ إلى ذلكَ ما كَانَ الشيخُ يَدعو إليهِ وَيُدندِنُ حَولهُ في كَثيرٍ مِن كُتُبِهِ وَرَسائِلِهِ وَمَجالِسِهِ؛ وهو مَبدأُ (**التصفِيَةِ والتربِيَةِ**) وَحَاجَةُ المسلمينَ إليهِما؛ فَبيَّنَ أنَّ على المسلمينَ إذا أرادوا العَودَةَ إلى سالِفِ عَهدِهِم واستِرجاعِ ما مَضى مِن مَجدِهِم وَعِزِّهِم فَعَلَيهِم القِيامُ بِهذينِ الواجِبَينِ: واجِبُ التصفيَةِ، وواجِبُ التربيةِ، فَقَد أفنى الشيخُ عُمُرَهُ وهو يَسيرُ على هذا المنهَجِ ويدعو إليهِ، يُصفِّي العقيدَةَ مِمَّا شابَها مِن الخُرافاتِ والشِّركيَّاتِ، ويُصفِّي السُّنَّةَ مما أُدخِلَ فيها مِمَّا لَيسَ مِنها؛ وذلكَ بِتَمييزِ الصَّحيحِ مِن الضَّعيفِ والموضوعِ وما لا أصلَ لَهُ، ويُصفِّي الفِقهَ مما شابَهُ من الآراءِ والمحدَثاتِ المخالِفَةِ للنُّصوصِ الصَّحيحَةِ، فَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَأَرَدتُ بالأوَّلِ[1] مِنهُما أموراً:

الأولُ: تَصفيةُ العَقيدةِ الإسلاميَّةِ مِمَّا هو غَريبٌ عَنها، كالشِّركِ، وَجَحدِ الصِّفاتِ الإلهيَّةِ وتأويلِها، وَرَدِّ الأحاديثِ الصَّحيحةِ لِتَعلُّقِها بالعَقيدَةِ وَنَحوِها.

(١) وهو التصفية.

الثاني: تَصفيةُ الفِقهِ الإسلاميّ من الاجتهاداتِ الخاطِئةِ المخالِفةِ للكِتابِ والسُّنةِ...

الثالث: تَصفيةُ كُتُبِ التَّفسيرِ والفِقهِ والرَّقائِقِ من الأحاديثِ الضعيفةِ والموضوعةِ...

وأمَّا الواجِبُ الآخَرُ[١]؛ فأُريدَ بِهِ تربيَةُ الجيلِ الناشىء على هذا الإسلامِ المُصفَّى مِن كُلِّ ما ذَكرنا تَربيةً إسلاميةً صَحيحةً مُنذُ نُعومَةِ أظفارِهِ دونَ أيِّ تأثُّرٍ **بالتربيَةِ الغربيَّةِ الكافِرةِ**»[٢].

وبعدَ استِشارَةِ أُستاذي المُشرِف استقرَّ الرأيُ على أن يَكونَ العملُ مُقسَّماً على فَصلينِ مَسبوقَين بِمُقدِّمةٍ وَمَقفوَّينِ بخاتِمَةٍ وثَبْتٍ للمصادِرِ والمراجِعِ، خُصِّصَ الفصلُ الأوَّلُ مِنهما لِحَياةِ الألبانيِّ وَمَعنى الإيمانِ عِندَهُ وَمَوقِفِهِ مِن الإرجاءِ، واشتملَ على مَبحثينِ، تَناولتُ في الأولِ مِنهما حَياةَ الألبانيِّ مِن الوِلادةِ وحتى الوَفاةِ، وفي الثاني تَناولتُ معنى الإيمانِ عِندهُ وموقِفهُ مِن الإرجاءِ، وأوقَفْتُ الفصلَ الثاني على الإيمانِ بالله تعالى، واشتَمَلَ على ثلاثةِ مباحِثَ، تناولتُ في الأوَّلِ الإيمانَ بوجودِ الله تعالى وربوبيَّتِهِ، وفي الثاني الإيمانَ بألوهيتِهِ تعالى، وفي الثالثِ الإيمانَ بأسمائِهِ تعالى وصِفاتِهِ.

أمَّا الخاتِمَةُ؛ فَتناوَلتُ فيها أهمَّ النتائِجَ التي تَوصَّلتُ إليها في العَمَلِ.

---

(١) وهو التربية.

(٢) سلسلةُ الأحاديثِ الضعيفةِ والموضوعةِ وأثرُها السيئ في الأمةِ للألباني ٢/ د، وينظر لزيادة التفصيل: التصفية والتربية وحاجة المسلمين إليهما للألبانى.

وقد اعتَمَدتُ في بَحثي هذا عَلى المصادِرِ الـمُعتَمَدَةِ في العَقيدةِ الصَّحيحةِ عَقيدةِ السَّلَفِ، وَبِخاصَّةٍ ما كَتَبَهُ شيخُ الإسلامِ ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ فإنَّهُ عَني عِنايةً خاصَّةً ببيانِ العَقيدةِ السَّلفيَّةِ وَتَقريرِها والانتصارِ لَها، فَلا غَرابَةَ في كَثرَةِ النُّقولِ مِن كُتُبِهِ والإحالَة عَليها خاصَّةً في الفصلِ الأولِ مِن البحثِ، وَمن ثَمَّ اعتَمَدتُ على كُتُبِ الشيخِ الألبانيِّ في استخراجِ المواضِعِ العَقَديَّةِ مِنها، فإن لَم أجِد بُغيَتي في كُتُبِهِ أنتقِلُ إلى الكُتُبِ التي أُلِّفَت عَنهُ رَحِمَهُ اللهُ.

وإنَّ مما واجَهَني مِن المصاعِبِ في عَمَلي: هوَ أنَّ الشيخَ الألبانيَّ رَحِمَهُ اللهُ لَم يؤلِّف مؤلَّفاً مُستقِلّاً في بَيانِ العَقيدةِ في الله على وَجهِ التَّفصيلِ، وإنما كانَ كَلامُهُ فيها عِندَ تَعليقِهِ أو تَحقِيقِهِ أو شَرحِهِ لِبَعضِ الكُتُبِ العَقَديَّةِ وَغيرِها مِثلَ شَرحِهِ وَتَعليقِهِ على العَقيدِةِ الطَّحاويَّةِ، أو عِندَ ذِكرِهِ لِفِقهِ وَفَوائِدِ بَعضِ الأحاديثِ كما في سِلسِلةِ الأحاديثِ الصَّحيحةِ وَغيرِها، وهذا - مما لا شكَّ - يَجعَلُ كَلامَهُ في العَقيدَةِ مَبثوثاً في ثَنايا كُتُبِهِ مما يَجعَلُ جَمعَهُ لَيسَ بالأمرِ اليَسيرِ؛ وإن كانَ لَدَيهِ بَعضُ المؤلَّفاتِ العَقَديَّة فإنَّما هي لِـمُعالَجَةِ قَضيَّةٍ مِن قَضايا الاعتِقادِ مِثلَ كِتابِهِ (تَحذيرُ الساجِدِ مِن اتخاذِ القُبُورِ مَسَاجِدَ) و (التوسُّل أنواعُهُ وأحكامُهُ) وَغيرِها مِن الكُتُبِ، وَقَد اجتَهدتُ أن يَكونَ عَمَلي خالياً مِن النَّقْصِ والخَلَلِ، فَمَن وَقَع على زَلَّةٍ سَها عَنها القَلَمُ فَليَدْرأ بالحَسَنَةِ السيِّئَةَ، فإنَّ الإنسانَ لا يَخلُو مِن التَّقصير والنِّسيانِ، وَقَد اجتَهدتُ وَبَذلتُ الـمُستطاعَ، فإن أحسَنتُ فذلكَ فَضلُ الله، وإن كَانَتِ الأُخرى فإنَّ لي مِن سَلامَةِ القَصدِ خَيرُ عَذيرٍ.

هذا وأتقدَّمُ بِشُكري وَتَقدِيري لأستاذيَ الـمُشرِف الدُّكتور فَرمان إسماعيل إبراهيم عَميد كُليَّةِ الشَّريعَةِ الذي وافَقَ على مَوضوعِ رِسالَتي

والإشراف عَلَيها، فَقَد كَانَ لَهُ الأثَرُ الكبيرُ في تَشجيعي على الكِتابَةِ في هذا الموضوعِ، مِمَّا يَدُلُّ على حُبِّهِ وَتَمَسُّكِهِ بِهذِهِ العَقيدَةِ المُباركَةِ، فَكانَ لهُ الفَضلُ بَعدَ الله في إعانَتي عَلى وَضْعِ الأسُسِ لهذا البحثِ.

ولا يَفُوتُني أن أتقدمَ بالدُّعاءِ والشُّكرِ لشقيقي الدكتور علي صالِح حُسين عميدِ كلِّيَّةِ التَّربيةِ، إذ يعودُ لهُ الفضلُ ـ بعد الله عز وجل- على تشجيعي لمواصلةِ الدِّراسةِ، وتذليلِ الصعوباتِ الإداريةِ التي واجهتِ الخرِّيجينَ من فرعِ التَّربيةِ الإسلاميةِ، وأنا واحدٌ مِنهم، فلولا جهودُهُ المثمرةُ لما كانَ لهذِهِ الرِّسالةِ وجودٌ، فجزاهُ اللَّهُ خيراً.

وَيقضي العِرفانُ بالجميلِ أن أتقدَّمَ بالدُّعاءِ والشُّكرِ للأخِ الشيخِ أحمدَ بن يحيى الزهرانيِّ المكيِّ ـ حفظهُ الله ـ إذ يَعودُ لهُ الفضلُ بَعدَ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في اختيارِ هذا الموضوعِ؛ فَقَد التَقيتُهُ في مَكَّةَ مَوسِمِ العُمرَةِ في مَنزِلِ الشيخِ رَبيعِ بن هادي المدخلي ـ حفظَهُ الله ـ وَعَرضتُ عليهِ رَغبتي في الكِتابةِ في العَقيدةِ؛ فأشارَ عليَّ ـ جزاهُ الله خيراً ـ أن أُبيِّنَ جُهودَ الشيخِ الألبانيِّ رَحِمَهُ اللهُ في بَيانِ العَقيدَةِ السلفيَّةِ في الإيمانِ بالله والدِّفاعِ عنها.

وَخِتاماً فَقَد أخبَرني أحدُ الإخوةِ الأفاضِل انتقادَ أحَدِ التَّدريسيِّينَ ـ مِن الَّذينَ تخرَّجوا على الدُّفوفِ والتَّكايا[1] ـ الكِتابَةَ في هذا الموضوعِ بِحُجَّةِ أنَّ الألبانيَّ لا يَستَحِقُّ أن يَكونَ في عِدادِ العُلماءِ فضلاً عن أن تُكتَبَ عنهُ الرسائلُ وتؤلَّف المؤلَّفاتُ؛ فَحَضَرني قَولُ القائِلِ:

أيُّها العائِبُ قَولي عَبَثاً   إنَّ ماءَ الوَرْدِ مُؤذٍ لِلجُعَلْ

---

(١) التكايا: هو مكان (عبادة!) طائفة من أهل البدع وهم بعض الصوفية والطُّرُقيَّة.

هذا واللهَ أسألُ أن يَنفَعَ بهذا الجُهدِ الـمُتواضِعِ، وأن يَجعَلَهُ خالِصاً لِوَجهِهِ، وأن يُوَفِّقَني وَجَميعَ المسلمينَ لِتَحقيقِ التوحيدِ والدَّعوَةِ إليهِ، واجتنابِ الشِّركِ ومُحارَبَةِ أهلِهِ، وأن يُضاعِفَ المثوبَةَ والأجرَ للشيخِ الألبانيِّ على ما بَذَلَ مِن جُهدٍ في خِدمَةِ العقيدةِ الصَّحيحةِ والدَّعوَةِ إليها، والحمدُ لله رَبِّ العالمينَ.



بين يدي البحث

(المستقبلُ للإسلامِ)

قالَ الشيخُ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ مُبيِّناً ومُبشِّراً أنَّ المستقبلَ لهذا الدِّينِ:

«قالَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، تُبشِّرُنا هذه الآيةُ الكريمةُ بأنَّ المُستقبلَ للإسلامِ بِسيطرتِهِ وظهورِهِ وحُكمِهِ على الأديانِ كُلِّها، وَقد يَظُنُّ بَعضُ الناسِ أنَّ ذلكَ قد تحقَّقَ في عهدِهِ ﷺ وَعهدِ الخُلفاءِ الراشدينَ والملوكِ الصالحينَ، وَلَيسَ كذلكَ، فالذي تحقَّقَ إنما هو جزءٌ من هذا الوعدِ الصادِقِ؛ كما أشارَ إلى ذلك النبيُّ ﷺ بِقولِهِ:

١ ـ **(لا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حتى تُعْبَدَ اللاتُ وَالْعُزَّى، فقلتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ إن كنت لَأَظُنُّ حين أَنْزَلَ الله** ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ **أَنَّ ذلك تَامًّا، قال: إِنَّه سَيَكُونُ من ذلك ما شَاءَ الله)**[1].

وَقد وَرَدَت أحاديثُ أخرى تُوَضِّحُ مبلَغَ ظُهورِ الإسلامِ ومَدَى انتشارِهِ، بحيث لا تَدَعُ مجالاً للشَّكِّ في أنَّ المستقبلَ للإسلامِ بإذنِ الله

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، بَاب لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى تَعْبُدَ دَوْسٌ ذَا الْخَلَصَةِ ٤/ ٢٢٣٠.

وتوفيقِهِ، وها أنا أسوقُ ما تيسَّرَ مِن هذهِ الأحاديثِ؛ عَسَى أن تَكونَ سَبَباً لشحذِ هِمَمِ العاملينَ للإسلامِ، وحُجَّةً على اليائِسينَ المتوَاكِلِينَ:

٢ ـ **(إِنَّ اللَّهَ زَوَى لي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا ما زوى لي منها)**(١).

. . . وأوضَحُ منهُ وأعمُّ الحديثُ التالي:

٣ ـ **(لَيَبلُغَنَّ هذا الأمرُ مَبلَغَ الليلِ والنهارِ، وَلا يَترُكُ الله بَيتَ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلا أدخَلَهُ الله هذا الدِّينَ؛ بِعزِّ عزيزٍ أو بِذُلِّ ذَليلٍ؛ عِزّاً يُعِزُّ الله بِهِ الإسلامَ، وذُلّاً يُذِلُّ بِهِ الكُفرَ)**(٢).

. . . ومما لا شكَّ فيهِ أنَّ تحقيقَ هذا الانتشارَ يَستلزِمُ أن يَعودَ المسلمونَ أقوياءَ في مَعنوياتِهِم ومادِّيَّاتِهِم وَسلاحِهِم، حَتى يَستطيعوا أن يَتغلَّبوا عَلى قُوى الكُفرِ والطُّغيانِ، وهذا ما يُبشِّرُنا بِهِ الحديثُ:

٤ ـ (عن أبي قَبِيلٍ قال: كُنا عِنْدَ عبد اللَّهِ بن عَمْرِو بن العاصي وَسُئِلَ: أي الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلاً الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ أو رُومِيَّةُ؟ فَدَعَا عبد اللَّهِ بِصُنْدُوقٍ له حِلَقٌ قال: فأخرج منه كِتَاباً؛ قال: فقال عبد اللَّهِ: بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رسول اللَّهِ نَكْتُبُ إِذْ سُئِلَ رسول اللَّهِ أي الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلاً أقسطنطينية أو رُومِيَّةُ؟ فقال رسول اللَّهِ: **مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلاً ـ يعني قُسْطَنْطِينِيَّةَ ـ**)(٣).

---

(١) المصدر نفسه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، بَاب هَلَاكِ هذه الْأُمَّةِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ٤/ ٢٢١٥.
(٢) مسند الإمام أحمد ٤/ ١٠٣.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ١٧٦.

. . و(رومية): هيَ روما؛ كما في «مُعجمِ البُلدانِ»، وهي عاصِمَةُ إيطاليا اليومَ، وَقد تحقَّقَ الفَتحُ الأوَّلُ على يَدِ مُحمَّد الفاتِحِ العُثمانيِّ؛ كَما هوَ مَعروفٌ، وذلكَ بَعدَ أكثَرَ مِن ثمانمائة سَنةٍ مِن إخبارِ النبيِّ ﷺ بالفتحِ، وَسَيتحقَّقُ الفَتحُ الثاني بإذنِ الله تعالى ولا بُدَّ، وَلَتَعلَمُنَّ نبأهُ بعدَ حِينٍ.

وَلا شكَّ أيضاً أنَّ تَحقيقَ الفَتحِ الثَّاني يَستَدعِي أن تَعودَ الخِلافةُ الراشِدَةُ إلى الأمَّةِ الـمُسلِمَةِ، وَهذا مما يُبشِّرُنا بِهِ ﷺ بِقولِهِ:

(تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ ما شَاءَ الله أن تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفعُهَا إذا شَاءَ أن يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكونُ خِلَافَةٌ على مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ فَتَكُونُ ما شَاءَ الله أن تَكونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إذا شَاءَ الله أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً عَاضًّا فَيَكُونُ ما شَاءَ الله أن يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إذا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً جَبْرِيّاً فتكون ما شَاءَ الله أن تكون، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إذا شَاءَ أن يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ على مِنْهَاجِ النبوة، ثُمَّ سَكَتَ)[١].

. . . هذا؛ وإنَّ المبشِّراتِ بِعودَةِ القوَّةِ إلى المسلمينَ، واستثمارِهم الأرضَ استثماراً يُساعدُهُم على تَحقيقِ الغَرَضِ، وَتُنبىء عَن أنَّ لَهُم مُستقبلاً باهِراً حتى مِن الناحيَةِ الاقتصاديَّةِ والزِّراعيَّةِ: قَولُهُ ﷺ:

(لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجاً وَأَنْهَاراً)[٢].

. . . هذا؛ ومِمَّا يَجِبُ أن يُعلَمَ بهذِهِ المُناسَبَةِ، أنَّ قَولَهُ ﷺ:

(١) مسند الإمام أحمد ٤/ ٢٧٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، بَاب التَّرْغِيبِ في الصَّدَقَةِ قبل أَنْ لَا يُوجَدَ من يَقْبَلُهَا ٢/ ٧٠٠.

(لا يأتي عليكُم زمانٌ إلا والذي بَعدَهُ شَرٌّ مِنهُ حتى تَلقَوا ربَّكُم)[١]، فَهَذا الحديثُ يَنبَغي أن يُفهَمَ على ضَوءِ الأحاديثِ الـمُتقدِّمةِ وغيرِها، مِثلَ أحاديثِ المهديِّ ونُزولِ عِيسى ﷺ، فإنَّها تَدلُّ على أنَّ هذا الحديثَ لَيسَ عَلى عُمومِهِ بَل هُوَ مِن العامِّ المخصُوصِ؛ فَلا يَجوزُ إفهامُ النَّاسِ إنَّهُ على عُمومِهِ، فَيقعوا في اليأسِ الذي لا يَصِحُّ أن يَتَّصِفَ بِهِ المؤمِنُ ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، أسألُ الله أن يَجعَلَنا مُؤمنينَ بِهِ حَقاً»[٢].

(١) صحيح البخاري، كتاب الفتن، بَاب لَا يَأْتِي زَمَانٌ إلا الذي بَعْدَهُ شَرٌّ منه ٦/ ٢٥٨٧.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها للألباني ١/ ٣١ ـ ٣٦.



الفصل الأول

حياة الألباني
ومعنى الإيمان عنده
وموقفه من الإرجاء

المبحث الأول: حياته.

المبحث الثاني: معنى الإيمان عند الألباني وموقفه من الإرجاء.



المبحث الأول:

حياتُهُ

أولاً: اسمُهُ ومولِدُهُ ونشأتُهُ:

هُوَ مُحَمَّد نَاصِر الدِّين بن نُوح بن آدم نجاتي الألباني، وُلِدَ في مَدينة اشقودرة بِشمالِ ألبانيا سَنةَ ١٣٣٣هـ الموافِقَ سَنةَ ١٩١٤م[١].

وَكانَت أُسرتُهُ فَقيرَةً بَعيدَةً عَن الغِنى، مُتديِّنةٍ يَغلِبُ عَليها الطَّابعُ العلميُّ، فَقد تَخرَّجَ والدُهُ الحاج نُوح بن آدم نَجاتي الألباني في المعاهِدِ الشرعيةِ في العاصمةِ العُثمانيةِ ـ الآستانة ـ قَديماً والتي تُعرفُ اليومَ باستانبول، ثُمَّ رَجَعَ إلى بِلادِهِ لِخِدمةِ الدِّينِ وَتَعليم الناسِ مَا تَعَلَّمهُ وَتَلَقَّاهُ، حَتَّى أصبحَ مَرجِعاً تَفِدُ عَليهِ الناسُ وتأخُذُ مِنهُ[٢].

وَيُحدِّثنا الشيخُ الألبانيُّ عن مَراحلِ حَياتِهِ وَسيرتِهِ الذاتيَّةِ مُختصِراً لَها فَيَقولُ:

«وَكذلك في الحَديثِ بُشرى لَنا: آل الوالِدِ، الذي هَاجَرَ بأهلِهِ مِن بَلدَة (اشقودرة) عَاصمةِ (ألبانيا) يَومَئذٍ فِراراً بالدِّينِ مِن ثَورةِ (أحمد زوغو) أزاغَ الله قَلبَهُ، الذي بَدأ يَسيرُ في المسلمينَ الألبانِ مَسيرةَ سَلَفِهِ

---

(١) ينظر: مقالات الألباني لنور الدين طالب ١٩٧، وحياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه، لمحمد بن إبراهيم الشيباني ٤٤.

(٢) ينظر: حياة الألباني ٤٤.

(أتاتورك) في الأتراكِ، فَجَنيتُ ـ بِفضلِ الله وَرَحمتِهِ ـ بِسَبَبِ هِجرتِهِ هذهِ إلى (دمشق الشام) ما لا أستطيعُ أن أقومَ لربي بِواجِبِ شُكرِهِ، وَلو عِشتُ عُمُرَ نوحٍ عَليهِ الصلاةُ والسلامُ، فقد تعلَّمتُ فيها اللغةَ العربيةَ السُّوريةَ أولاً، ثُم اللغةَ العربيةَ الفُصحى ثانياً، الأمرُ الذي مَكَّنني أن أعرِفَ التوحيدَ الصَّحيحَ الذي يَجهلُهُ أكثرُ العربِ الذين كانوا مِن حَولي ـ فَضلاً عن أهلي وَقَومي ـ؛ إلا قليلاً مِنهم، ثمَّ وَفَّقني اللهُ ـ بِفَضلِهِ وَكرمِهِ دُونَ تَوجيهٍ مِن أحَدٍ مِنهم ـ إلى دِراسةِ الحديثِ والسُّنةِ أصولاً وفِقهاً، بَعد أن دَرستُ على والدي وَغيرِهِ مِن المشايخِ شَيئاً مِن الفِقهِ الحنفيِّ وَما يُعرف بِعلمِ الآلةِ، كَالنحوِ والصَّرفِ والبلاغةِ، بَعدَ التخرُّجِ مِن مَدرسةِ (الإسعافِ الخيريِّ) الابتدائيةِ، وَبَدأتُ أدعو مَن حَولي مِن إخوتي وأصحابي إلى تَصحيحِ العقيدةِ، وَتَركِ التعصُّبِ المذهبيِّ، وأُحذِّرُهُم مِن الأحاديثِ الضعيفةِ والموضوعةِ، وأرغِّبُهُم في إحياءِ السُّننِ الصحيحةِ التي أماتَها حتى الخاصةُ منهم، وكانَ مِن ذلك إقامةُ صلاةِ العيدينِ في المصلَّى في دمشق، ثمَّ أحياها إخواننا في حَلب، ثُم في بِلادٍ أخرى في سوريا، واستمرَّت هذهِ السُّنَّةُ تَنتَشِرُ حَتى أحياها بَعضُ إخوانِنا في (عَمَّان/ الأردن)، كَما حَذَّرتُ النَّاسَ مِن بِناءِ المساجِدِ على القُبُورِ والصَّلاةِ، وأَلَّفتُ في ذلكَ كِتابي (تحذيرُ الساجِدِ من اتِّخاذِ القُبورِ مَساجِدَ)، وَفاجأتُ قَومي وَبَنِي وَطَني الجديد بِما لَم يَسمَعوا مِن قَبلُ، وَتَركتُ الصَّلاةَ في المسجِدِ الأمويِّ، في الوقتِ الذي كَانَ يَقصِدُهُ بَعضُ أقاربي؛ لانَّ قَبرَ يَحيى فيهِ كَما يَزعُمونَ، وَلَقيتُ في سَبيلِ ذلك ـ مِن الأقارِبِ والأباعِدِ ـ ما يَلقاهُ كُلُّ دَاعيةٍ للحقِّ لا تأخذُهُ في الله لَومَةُ لائِمٍ، وأَلَّفتُ بَعضَ الرسائلِ في بَعضِ المتعصِّبينَ الجَهلَةِ، وسُجِنتُ مَرَّتينِ بِسَبَبِ وِشاياتِهِم إلى الحكَّام الوَطَنيين والبَعثيين، وَبتصريحي لِبَعضِهِم حِينَ

سُئِلتُ: لا أؤيد الحُكمَ القائِمَ؛ لأنَّه مُخالفٌ للإسلامِ، وَكانَ ذلكَ خَيراً لي وَسَبباً لانتشارِ دَعوَتي.

وَلَقد يَسَّرَ الله لي الخروجَ للدعوةِ إلى التوحيدِ والسُّنة إلى كَثيرٍ من البلادِ السوريَّةِ والعَرَبيةِ، ثُم إلى بَعضِ البِلادِ الأوربيةِ، مَعَ التَّركيزِ على إنَّهُ لا نَجاةَ للمُسلمينَ مما أصابَهُم من الاستعمارِ والذُّلِّ والهَوانِ ولا فائِدَةَ للتَّكتُّلاتِ الإسلاميةِ، والأحزابِ السياسيةِ إلا بالتزامِ السُّنةِ الصَّحيحةِ مَنهجِ السَّلفِ الصَّالِح ﷺ؛ وَلَيسَ على ما عَليهِ الخَلَفُ اليومَ ـ عَقيدةً وَفِقهاً وَسُلوكاً ـ؛ فَنَفَعَ اللهُ مَا شاءَ وَمَن شاءَ مِن عِبادِهِ الصَّالِحينَ وَظهرَ ذلك جَليّاً في عَقيدتِهِم وَعِبادَتهِم، وفي بِنائِهِم لِمَساجِدِهِم، وفي هَيئاتِهِم وَألبستِهِم، مما يَشهَدُ بِهِ كُلُّ عالمٍ مُنصِفٍ، ولا يَجحَدُهُ إلا كَلُّ حاقدٍ أو مُخَرِّفٍ، مِمَّا أرجو أن يَغفِرَ الله لي بِذلكَ ذُنوبي، وأن يَكتُبَ أجرَ ذَلك لأبي وأمي، والحَمدُ لله الذي بِنِعمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ»(١).

ثانياً: بِدايةُ طلبِهِ للعلمِ:

«بَدأ الغُلامُ الـمُهاجِرُ مِن ألبانية دِراسَتَهُ في الشام، وأول ما بَدأ بِدُخُولِ مَدرسةِ الإسعافِ الخيريَّةِ الابتدائيةِ بِدِمشق، وَكانَ مَقرُّها بِجوارِ البناءِ الأثريِّ بِقصرِ العظم في حيِّ البزوريَّةِ، واستمرَّ على ذلكَ حَتَّى أشرفَ على نِهايَةِ المرحَلةِ الابتدائيةِ، وفي هذهِ الأثناءِ هَبَّت أعاصيرُ الثَّورة السُّوريَّةِ بالفَرنسيينَ الغُزاةِ، وأصابَ المدرَسَةَ حَريقٌ أتى عَلَيها، فانتقلوا عَنها إلى مَدرَسةٍ أخرى بِسوقِ ساروجه وَهُناكَ أنهى الشيخُ دِراسَتَهُ الأولى.

---

(١) السلسلة الصحيحة ٧/ ٦١٥ ـ ٦١٧.

وَنَظراً لِسُوءِ رأيِ والدِهِ في المدارِسِ النِّظاميَّةِ مِن النَّاحيةِ الدِّينيَّةِ، فَقَدْ قَرَّرَ عَدمَ إكمالِ دِراستِهِ، وَوَضَعَ لهُ بَرنامجاً عِلميّاً مُركزاً قَامَ مِن خِلالِهِ بِتَعليمِهِ القرآنَ والتجويدَ والصرفَ وَفِقهَ مَذهبِهِ الحنفيِّ.

كَما إنَّهُ تَلقَّى بَعضَ العُلومِ الدينيَّةِ والعربيَّةِ عَلى بَعضِ الشيوخِ مِن أصدقاءِ والدِهِ مِثل الشيخِ سَعيدِ البُرهانيِّ إذْ قَرأَ عَليهِ كِتابَ (مراقي الفلاح) وَبَعضَ الكُتُبِ الحديثيَّةِ في عُلومِ البَلاغةِ.

أخَذَ الشيخُ إجازةً في الحديثِ مِن الشيخِ راغبِ الطباخِ، عَلَّامَة حَلب في زَمانِهِ، وَذلك إثرَ مُقابلةٍ لَهُ بِواسطةِ الأستاذِ مُحمَّد المُباركِ الذي ذَكَرَ للشيخِ الطبَّاخِ مَا يعرِفُهُ مِن إقبالِ الفتى عَلى عُلوم الحديثِ وَتَفوُّقِهِ فِيها، فَلَمَّا استوثَقَ مِن ذلك خصَّهُ بإجازتِهِ تَقديراً واعترافاً»[1].

ثالثاً: تَوجُّههُ إلى علمِ الحديثِ واهتمامُهُ بِهِ:

تَوجَّه الفتى إلى عِلمِ الحديثِ في نَحوِ العشرينَ مِن عُمُرِهِ، حَيثَ إنَّه تأثَّرَ بِمَجلَّة المنارِ التي كَانَ يُصدِرها الشيخُ مُحمَّد رَشيد رضا رَحِمَهُ اللهُ.

وَقد لاحَظَ ذَاتَ يَومٍ وَهُوَ يَتَجوَّلُ في المكتباتِ جُزءاً مِن مَجلَّةِ المنارِ فاطَّلعَ فِيهِ على بَحثٍ بِقلمِ السيِّدِ مُحمَّد رَشيد رضا يَصِفُ فِيهِ كِتابَ الإحياءِ للغزاليِّ، وَيُشيرُ إلى مَحاسِنِهِ وَمآخِذِهِ، فَدَفَعَهُ ذلك النقدُ العلميُّ إلى مُطالَعَةِ الجزءِ كُلِّهِ، فَاستهواهُ ذلك التخريجُ الدَّقيقُ حَتى صَمَّمَ على نَسْخِهِ.

وَقَد ذَكرَ الشيخُ المجذوبُ أنَّه اطَّلعَ على ذلك النَّسخِ فإذا هُوَ في أربعةِ أجزاء، في ثَلاثِ مُجلَّداتٍ، تبلُغ صَفَحاتُها ألفينِ واثنتي عَشرَةَ في

(١) حياة الألباني ٤٥ ـ ٤٦.

نوعينِ مُختلفينِ مِن الخطِّ، أحدهما عاديٌّ والثاني دَقيقٌ عَلَّقَ بِهِ في الهوامِشِ تَفسيراً واستدراكاً، مَعَ أن الشَّيخَ في ذلكَ الوقتِ لَم يَكُن قَد تجاوزَ العشرينَ من العُمرِ.

وَمُنذُ ذلك الحينِ والشيخُ مُولَعٌ في عِلمِ الحديثِ، فَقَد ازداد إقبالاً عَلى عِلمِ الحديثِ وَدراسةِ السَّندِ بِشغَفٍ شَديدٍ، وَكان والِدُهُ رَحِمَهُ اللهُ يُحذِّرُهُ قائلاً: «عِلمُ الحديثِ صَنعةُ المفاليسِ»، وَرغمَ هذا فَقد ازدادَ حُبُّ الفتى لحديثِ رسولِ الله ﷺ وتمييزِ صَحيحهِ مِن ضَعيفهِ[١].

رابعاً: صِفاتُه وأخلاقُه:

ومِنها تَواضُعُهُ وَرُجوعُهُ إلى الحقِّ وَهذه أخلاقُ العُلماءِ العامِلينَ، وأهلِ الحقِّ المخلِصينَ، فإنَّ الحقَّ غايتُهُم وهُم مَعَهُ حيثُما حَلَّ وارتحلَ، لا يُبالون بِما قَد يُقالُ عَنهُم إذا رَجَعوا عَن بَعضِ أقوالِهِم وَفتاويهِم إذا تبيَّنَ لَهُم الصوابُ في خِلافِها، وَقَد كَانَ الشيخُ على جانِبٍ كَبيرٍ مِن ذلكَ، وَقَد وَقَفْتُ لَهُ على كَلِمَةٍ لو كُتِبَت بِمَاءِ الذهب لما وَفَى ذلكَ حَقَّها وهيَ قَولُهُ:

«إنَّ العِلمَ لا يَقبَلِ الجُمودَ، أُكرِّرُ ذلكَ في مَجَالِسي ومُحاضراتي، وفي تَضاعِيفِ بَعضِ مؤلَّفاتي، وَذلكَ مِمَّا يُوجِبُ على المسلم أن يَتَراجَعَ عَن خَطئِهِ عِند ظُهورِهِ وأن لا يَجمَدَ عَليهِ. . .مِن أجلِ ذلك فإنَّه لا يَصعُبُ عليَّ أن أتراجَعَ عن الخطأ إذا تبيَّنَ لي»[٢].

---

(١) ينظر: حياة الألباني ٤٦ ـ ٥٣.

(٢) السلسلة الضعيفة ٥/ ١٠، وكذا المصدر نفسه ١/ ٤٤. وينظر: الكلم الطيب لابن تيمية بتحقيق الألباني ٨.

ومِن الأمثلةِ على رُجُوعِهِ إلى الحقِّ ما ذَكَرَهُ في كِتابِهِ صِفةِ الصلاةِ أنَّه رَجَعَ عَن أربَعِ مَسائِلَ انتَقَدَهُ عَليها الشيخُ حُمود التويجري، وَهي:

١ ـ تَفسيرُ المأثمِ والمغرمِ في دُعاءِ التشهُدِ.

٢ ـ قَولُه عن الصَّلاةِ إنَّها أعظَمُ رُكنٍ مِن أركانِ الإسلامِ.

٣ ـ تَفسيرُ جُملَةِ (والشرُّ لَيسَ إليكَ) في دُعاء التوجُّهِ.

٤ ـ تَصحيحُ ما جاءَ في نَقلِهِ عَن البدائِعِ تَعليقاً على رَفعِ اليدينِ في السُّجودِ بلفظ: ابن الأثرمِ، والصوابُ: الأثرمُ[١].

وَقَد وَقَفْتُ عَلى كِتابٍ جَمَعَ فِيهِ مؤلِّفُهُ محمَّد حَسَن الشيخ الأحاديثَ التي رَجَعَ عَنها الألبانيُّ تَصحيحاً وَتضعيفاً وَهو في مُجلَّدينِ.

خامساً: شُيوخُهُ:

تَتَلمذَ الشيخُ الألبانيُّ عَلى شُيوخ عِدَّة وهُم:

١ ـ والدُهُ: فَقد دَرسَ عَليهِ شيئاً مِن الفِقهِ الحَنفيِّ وما يُعرف بِعلمِ الآلةِ، كالنحوِ والصَّرفِ والبَلاغةِ[٢].

٢ ـ الشيخ سَعيدُ البُرهاني: قَرأ عليهِ كِتابَ (مَراقي الفلاحِ) وَبَعض الكُتُبِ الحديثَةِ في عُلومِ البلاغَةِ[٣].

٣ ـ راغِبُ الطبَّاخِ: علَّامَةُ حَلب في زَمانِهِ، وَقد أخَذَ عَنهُ الإجازةَ في الحَديثِ[٤].

---

(١) ينظر: صفة صلاة النبي ﷺ للألباني ٣٠ ـ ٣٣.

(٢) السلسلة الصحيحة ٧/ ٦١٥.

(٣) حياة الألباني ٤٥.

(٤) المصدر نفسه ٤٥.

سادساً: تلاميذُهُ(١):

للشيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَلاميذُ كُثر، يَصعُبُ حَصرُهُم وَعَدُّهُم، خاصَّةً وأنَّه دَرَّس في الجامعةِ الإسلاميَّةِ ثَلاثَ سنين، وَمِنهم على سَبيلِ التَّمثيلِ لا الحَصرِ:

١ ـ الشيخ ربيع بن هادي عُمير المدخلي، حامل لواء الجرحِ والتعديلِ، صاحبُ المنهجِ الثابت ـ حفظه الله ـ .

٢ ـ الشيخ مُقبل بن هادي الوادعي، الشيخُ الإمامُ، محدِّثُ الديارِ اليمنيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ.

٣ ـ حمدي عبد المجيد السلفي، المحقِّق المعروف.

٤ ـ الشيخ عبد المحسن العَبَّاد، الشيخُ العلامة المعروف، نزيلُ المدينةِ النبويَّةِ.

٥ ـ الشيخ محمَّد عيد العباسي، لازَمَ الشيخَ في دمشق.

٦ ـ الشيخ عبدالله بن صالح العُبيلان، له لقاءات علمية مهمة مع الشيخ، وزار الشيخ أكثر من مرة.

٧ ـ الدكتور عُمر سليمان الأشقر، أستاذ بكليةِ الشريعةِ ـ جامعةِ الكويت.

٨ ـ خيرُ الدين وانلي رحمه الله تعالى.

٩ ـ محمد إبراهيم شَقْرة، مقيم في عمان.

١٠ ـ عبد الرحمن عبد الصمد، لازمهُ في حلب وحماة.

١١ ـ زهير الشاويش، صاحبُ المكتبِ الإسلامي.

١٢ ـ علي خشَّان، لازمهُ في دمشق.

---

(١) ينظر: حياة الألباني ٩٤ ـ ١٠٥، وصفحات بيضاء للحلبي ٤٧.

١٣ ـ محمد جميل زينو، مدرسٌ بدارِ الحديثِ الخيريةِ بمكة المكرمة.

١٤ ـ إحسان إلهي ظهير، دَرَسَ عليه في الجامعةِ الإسلامية.

١٥ ـ محمود مهدي الإستانبولي رحمه الله تعالى، جالسَ الشيخ في دمشق.

١٦ ـ عزت خضر، جالس الشيخ في عمَّان ومن المقربين إليه.

١٧ ـ محمد إبراهيم الشيباني، جالس الشيخَ وسافَرَ معهُ كثيراً.

١٨ ـ محفوظ الرحمن زين الله رحمه الله تعالى.

١٩ ـ علي الحلبي، دَرَسَ على الشيخ في عمَّان.

٢٠ ـ مشهور بن حسن آل سلمان، دَرَسَ على الشيخ في عمَّان.

٢١ ـ محمد موسى آل نصر، دَرَسَ على الشيخ في عمَّان.

٢٢ ـ صالح طه (أبو إسلام)، دَرَسَ على الشيخ في عمَّان.

٢٣ ـ حسين بن عودة العوايشة، دَرَسَ على الشيخ في عمَّان.

وغيرُهُم كَثيرٌ.

سابعاً: نشاطُهُ في الدعوةِ إلى الله:

لَقَد كَانَ لِحديثِ رسولِ الله ﷺ الأثرُ الكبيرُ في تَوجيهِ الشَّيخِ الألبانيِّ عِلماً وَعَملاً، فَتَوجَّهَ نَحوَ المنهجِ الصحيحِ، وَهو التَّلقي عَن الله ورسولِهِ فَقط، مُستعيناً بِفَهمِ الأئمةِ الأعلامِ مِن السَّلفِ الصالِحِ دُونَ تَعَصُّبٍ لأحدٍ مِنهُم أو عَلَيهِ.

ومِن هذا المنطَلَقِ تَبدأ مَرحَلةُ النَّشاطِ الدَّؤوبِ في عَمَلِ الشيخِ في الدعوةِ إلى الله تعالى، فَقَد بَدأت المناقشاتُ بَينَ الشيخِ وَغَيرِهِ مِن

المشايخِ وأئمةِ المساجِدِ، ولَقِيَ المُعارَضَةَ الشَّديدةَ مِن كَثيرٍ مِن المشايِخِ المذهبيينَ المتعصبينَ، وَمشايِخ الصُّوفيَّةِ، والخُرافيينَ المُبتدعينَ، ويُشيعونَ عليهِ بأنَّهُ (وهَّابيٌّ ضالٌّ)!! وَيُحذِّرونَ مِنهُ الناسَ، في الوقتِ الذي وافَقَهُ على دَعوتِهِ بَعضُ أفاضلِ العُلماءِ المعروفينَ في دِمشق، وَحَضُّوهُ على الاستمرارِ قُدُماً، مِنهُم العلَّامةُ بَهجت البَيطار، والشيخُ عبدُ الفتَّاح الإمام، والشيخ حَامِد التَّقيّ، والشيخ تَوفيقُ البزرة رحمهمُ الله تعالى وغيرِهم مِن أهلِ الفضلِ.

وَقَد حَمَلَ الشيخُ رايةَ التوحيدِ والسُّنةِ، وزارَ كثيرينَ مِن مشايِخ دِمشق، وَجَرَت بَينَهُ وبينَهُم مُناقشاتٌ حَولَ مَسائلِ التوحيدِ والتَّعصُّبِ للمذاهِبِ والبِدَعِ، وكانَ مِن آثارِ دَعوَتِهِ أن وَضَعَ مَعَ أصحابِهِ بَرنامَجاً لِزيارَةِ بَعضِ المَناطِقِ في البِلادِ مَا بَينَ حَلب واللاذِقيَّةِ كإدلب وسلمية وحِمص وحماة ثُمَّ الرقّة، وَقدْ لَقِيَت هذهِ الرحلاتُ نَجاحاً مَلمُوساً، إذ جَمَعت العَديدَ مِن الرَّاغِبينَ في عُلُوم الحديثِ على نَدواتٍ شِبهِ دوريَّةٍ، يَقرأُ فِيها مِن كُتُبِ السُّنةِ، وتَتَوَارَدُ الأسئلةُ، ويَثُورَ النِّقاشُ المُفيدُ[١]، وَقَد خَرَجَ للدَّعوَةِ إلى كثيرٍ مِن البِلادِ العربيةِ والبِلادِ الأجنبيةِ في أورُبَّا وَغَيرِها[٢].

ثامناً: دروسُهُ ومجالسُهُ العلميَّة:

كَانَ للشيخِ الألبانيِّ بَرنامجٌ أُسبوعيٌّ يَعقِدُهُ وَيَحضُرُهُ طَلَبَةُ العِلمِ

(١) ينظر: حياة الألباني ٥٣ ـ ٥٦.

(٢) ينظر: السلسلة الصحيحة ٧/ ٦١٦، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة للألباني ١١/ ٣٢١، رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار للأمير الصنعاني بتحقيق الألباني ٥ ـ ٩.

وَبَعض أساتِذَةِ الجامِعاتِ، وَمِن الكُتُبِ التي كانَ يَدَرِّسُها في هذهِ المجالسِ:

١ ـ الروضةُ النَّديَّةُ لصِدِّيق حسن خان.

٢ ـ مِنهاجُ الإسلامِ في الحُكْمِ ـ لمحمد أسد.

٣ ـ أصولُ الفِقهِ ـ لعبد الوهاب خلاف.

٤ ـ مُصطلحُ التاريخِ ـ لأسد رستم.

٥ ـ فِقهُ السُّنةِ ـ لسيد سابق.

٦ ـ التَّرغيبُ والترهيبُ ـ للمنذريِّ.

٧ ـ فَتحُ المجيدِ شرحُ كتابِ التوحيدِ ـ لعبد الرحمن بن حسن.

٨ ـ الباعثُ الحثيثُ ـ لأحمد شاكر.

٩ ـ رياضُ الصالحينَ ـ للنوويِّ.

١٠ ـ الإلمامُ في أحاديثِ الأحكامِ ـ لابن دقيق العيد.

١١ ـ الأدبُ المفردُ ـ للإمامِ البخاريِّ.

١٢ ـ اقتضاءُ الصراطِ المستقيم ـ لشيخِ الإسلامِ ابن تيميَّة.

وأمَّا طَريقةُ تَدريسِهِ فَقَد قَالَ أحدُ تلاميذِهِ وهو الأستاذُ محمد عيد عباسي: وكانَ أستاذُنا ـ يعني الألباني ـ يَشرَحُ البُحوثَ شَرحاً علميّاً مُحقَّقاً يكادُ لا يَتركُ مَسألةً صَغيرةً ولا كَبيرةً إلا يُجَلِّيها وَيوضِّحُ غامِضَها، وَيُعلِّقُ على ما يَقرأ مُوافِقاً أو مُختَلِفاً، وهُوَ في جَميعِ ذلكَ يَستَنِدُ إلى أقوى الحُجَجِ وأثبتِ البَراهينِ[1].

(١) ينظر: حياة الألباني ٥٦ ـ ٥٨.

تاسعاً: تدريسُه بالجامعةِ الإسلاميةِ بالمدينةِ النبويَّةِ:

وَبَعدَ أن ذاعَ صِيتُ الشيخِ وانتَشَرت مؤلفاتُهُ النَّافِعةُ في أرجاءِ العالَمِ الإسلاميِّ وأقبلَ عَليها أهلُ العلم وَطلابُهُ يَنهَلونَ مِنها وَيَنتفعونَ بِها، ممَّا دَفَعَ المشرفينَ على الجامعةِ الإسلاميةِ بالمدينةِ النبويةِ وعلى رأسِهم الشيخُ العلَّامةُ الإمامُ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشيخ رئيسُ الجامِعةِ الإسلاميةِ والمفتي العامُّ للمملكةِ العربيةِ السُّعوديةِ آنذاكَ على أن يَقَعَ اختيارُهم على الشيخِ الألبانيِّ ليتولَّى تَدريسَ الحديثِ وعُلومِهِ وفِقهِهِ في الجامعةِ.

وَبَقِيَ فيها ثلاثَ سَنواتٍ أستاذاً للحَدِيثِ وَعُلُومِهِ، وذلك من عامِ ١٣٨١هـ إلى أواخرِ عام ١٣٨٣هـ، وَكانت عَلاقَةُ الشيخِ بالطُّلابِ عَلاقةَ الزَّميلِ بالزَّميلِ، والصَّديق بالصَّديقِ، فَقَد رَفعَ الكُلفةَ بَينَهُ وَبَينهُم، فَحَلَّ مكانَها الثِّقةُ والأخوَّةُ.

وكانَ إذا دَخَلَ الجامِعةَ في الصَّباحِ لا تَكادُ تَرَى السيَّارةَ مِن كَثرَةِ الطُّلابِ المُلتفِّينَ حَولها يُسلِّمونَ على الشيخِ وَيَسألونَهُ وَيَستَفيدونَ مِنهُ.

وَمِن آثارِ الشيخِ على الجامِعةِ الإسلاميةِ وَضعهُ في مَنهجِ الحديثِ الَّذي يُدرَّسُ في الجامعةِ دَرسَ (عِلم الإسنادِ)، فَكانَ الشيخُ يَختارُ مِن صَحيحِ مُسلم حَديثاً للسَنَةِ الثالِثةِ، وآخرَ للسنةِ الثانيةِ مِن سُنَنِ أبي داودَ، فَيُسَجِّلهُ على السُّبُّورةِ بالسَّنَدِ ويأتي إلى كُتُبِ الرِّجالِ كالخُلاصةِ والتَّقريبِ، فَيَعمَل لَهُما دِراسةً حَديثيَّةً عَمليَّةً في كَيفيَّةِ تَخريجِ الحديثِ وَكيفيَّةِ نَقدِهِ مِن رِجالِهِ، فَكَان يُعطي الطُّلابَ هذه الدُّروسَ العمليَّةَ مِن الكُتُبِ(١).

---

(١) ينظر: المصدر نفسه ٥٨ ـ ٦٢.

عاشراً: صبرُهُ على العِلمِ والتأليفِ وشِدَّةُ تحمُّلِهِ:

يُحدِّثُنا أحَدُ تَلاميذِهِ وهو مُحمَّد عِيد العباسي قائلاً:

«فقَد كَانَ يُنفِقُ الساعاتِ الطِّوالِ التي تَنُوفُ على العشرِ ساعاتٍ يوميّاً في مُطالعةِ الكُتُبِ والرسائِلِ المطبوعَةِ والمخطوطَةِ في المكتبةِ الظاهريَّةِ وَغَيرِها، وَنَسْخِ ما يَحتاجُهُ مِنها، وكانَ يأتي إلى ظاهريَّةِ دِمشق مُنذُ أن تُفتحُ أبوابُها، وَيَستمر حَتى نِهايةِ الدوامِ المسائيِّ»(١).

وَمِن الأمثلةِ على شدَّةِ صبرِهِ وتحمُّلِهِ قولُهُ ـ رحِمَهُ الله ـ:

«لَقد جَوَّعْتُ نَفسي في أواخِرِ سنةِ ١٣٧٩هـ أربعينَ يَوماً مُتتابِعاً لَم أذُق في أثنائِها طَعاماً قَطُّ، وَلم يَدخُل في جَوفي إلا الماءَ، وَذلك طَلَباً للشِّفاءِ مِن بَعضِ الأدواءِ؛ فَعُوفِيتُ مِن بَعضِها دُونَ بَعضٍ»(٢).

حادي عشر: كتبُهُ ومؤلفاتُهُ(٣):

للشيخِ رَحِمَهُ اللهُ العَديدُ مِن المؤلفاتِ والتَّحقيقاتِ والتَّخريجاتِ، مِنها ما هو مَطبوعٌ مُتداولٌ، وَمِنها مَا هو مخطوطٌ، وهي:

١ ـ آدابُ الزفافِ في السنةِ المطهرةِ ـ تأليف.

٢ ـ الآياتُ البيِّناتُ في عدمِ سماعِ الأمواتِ ـ للآلوسي ـ تحقيق.

٣ ـ الأجوبةُ النافعةُ على أسئلةِ لجنةِ الجامعةِ ـ تأليف.

---

(١) مقالات الألباني لنور الدين طالب ١٧٦ ـ ١٧٧.

(٢) السلسلة الضعيفة ١/٤١٩.

(٣) ينظر: التقريب لعلوم الألباني لأبي الحسن محمد حسن عبد الحميد الشيخ ٥ ـ ٢٠، ومقتطفات من حياة فقيدي الأمة الألباني وابن باز ١٠٣ ـ ١٠٩، وحياة الألباني ٥٦٥ ـ ٩٠٤.

٤ ـ الاحتجاجُ بالقدرِ ـ ابن تيمية ـ تحقيق.
٥ ـ أحكامُ الجنائِزِ ـ تأليف.
٦ ـ إرواءُ الغليلِ في تخريجِ أحاديثِ منارِ السبيلِ ـ تأليف.
٧ ـ إصلاحُ المساجدِ من البدعِ والعوائِدِ ـ القاسمي ـ تحقيق.
٨ ـ اقتضاءُ العلمِ العملُ ـ الخطيبُ البغداديُّ ـ تحقيق.
٩ ـ الإيمانُ ـ ابن أبي شيبةَ ـ تحقيق.
١٠ ـ الإيمانُ ـ ابن تيمية ـ تحقيق.
١١ ـ الإيمان ـ أبو عبيدةَ ـ تحقيق.
١٢ ـ الباعثُ الحثيثُ ـ ابنُ كثيرٍ ـ تعليق.
١٣ ـ بدايةُ السُّولِ في تعظيمِ الرسولِ ـ العزُّ بن عبد السلام ـ تحقيق.
١٤ ـ تحذيرُ الساجِدِ من اتخاذِ القُبورِ مساجِدَ ـ تأليف.
١٥ ـ تصحيحُ حديثِ إفطارِ الصائِمِ ـ تأليف.
١٦ ـ تلخيصُ أحكامِ الجنائز.
١٧ ـ تلخيصُ صفةِ صلاةِ النبي ﷺ.
١٨ ـ تمامُ المنةِ في التعليقِ على فقهِ السنةِ.
١٩ ـ التنكيلُ بما في تأنيبِ الكوثريِّ من الأباطيلِ ـ المعلِّمي ـ تحقيق.
٢٠ ـ التوسلُ أنواعهُ وأحكامهُ ـ تأليف.
٢١ ـ تحريمُ آلاتِ الطَّرَبِ ـ تأليف.
٢٢ ـ حجابُ المرأةِ المسلمةِ ولباسُها في الصلاةِ ـ ابن تيمية ـ تحقيق.
٢٣ ـ حَجَّة النبي ﷺ ـ تأليف.

٢٤ ـ حديثُ الآحادِ وحجّيته في العقائِدِ والأحكامِ ـ تأليف.

٢٥ ـ الحديثُ حجةٌ بنفسِهِ ـ تأليف.

٢٦ ـ الحديثُ النبويُّ ـ محمد الصباغ ـ تخريج.

٢٧ ـ حجابُ المرأةِ المسلمةِ ـ تأليف.

٢٨ ـ حقوقُ النِّساءِ في الإسلامِ ـ رشيد رضا ـ تحقيق.

٢٩ ـ حقيقةُ الصيامِ ـ ابن تيمية ـ تخريج.

٣٠ ـ خطبة الحاجةِ ـ تأليف.

٣١ ـ دفاعٌ عن الحديثِ النبويِّ والسيرةِ ـ تأليف.

٣٢ ـ الردُّ على التعقُّبِ الحثيثِ ـ تأليف.

٣٣ ـ رفعُ الأستارِ لإبطالِ أدلَّةِ القائلينَ بفناءِ النَّارِ ـ الصنعاني ـ تحقيق.

٣٤ ـ رياضُ الصالحينَ ـ للنووي ـ تحقيق.

٣٥ ـ سلسلةُ الأحاديثِ الصحيحةِ وشيءٌ من فِقهِها وفوائِدِها ـ تأليف.

٣٦ ـ سلسلةُ الأحاديثِ الضعيفةِ والموضوعةِ وأثرُها السيئ في الأمةِ ـ تأليف.

٣٧ ـ شرحُ العقيدةِ الطحاويَّةِ ـ ابنُ أبي العزِّ الحنفي ـ تحقيق.

٣٨ ـ الشهابُ الثاقبُ في ذمِّ الخليلِ والصاحِبِ ـ السيوطي ـ تخريج.

٣٩ ـ صحيحُ الأدبِ المفردِ ـ تخريج.

٤٠ ـ صحيحُ ابنِ خزيمةَ ـ تخريج ومراجعة.

٤١ ـ صحيحُ الترغيبِ والترهيبِ ـ تخريج.

٤٢ ـ صحيحُ الجامعِ الصغيرِ وزيادتُهُ ـ السيوطي ـ تخريجٌ وتحقيق.

٤٣ ـ صحيحُ سننِ ابنِ ماجَةَ ـ تخريج.

٤٤ ـ صحيحُ سننِ أبي داودَ ـ تخريج.

٤٥ ـ صحيحُ سننِ التِّرمذي ـ تخريج.

٤٦ ـ صحيحُ سننِ النَّسائي ـ تخريج.

٤٧ ـ صحيحُ مواردِ الظمآنِ ـ تخريج.

٤٨ ـ صحيحُ الكلِمِ الطيِّب ـ تخريج.

٤٩ ـ صفةُ صلاةِ النبيِّ ﷺ ـ تأليف.

٥٠ ـ صفةُ الفتوى والمفتي والمستفتي ـ ابن حمدان ـ تحقيق.

٥١ ـ صلاةُ التراويحِ ـ تأليف.

٥٢ ـ صلاةُ العيدينِ في المصلَّى هي السنةُ ـ تأليف.

٥٣ ـ صيدُ الخاطِرِ ـ ابن الجوزي ـ تخريج.

٥٤ ـ ضعيفُ الأدبِ المفرَدِ ـ تخريج.

٥٥ ـ ضعيفُ ابنِ ماجَه ـ تخريج.

٥٦ ـ ضعيفُ الجامِعِ الصغيرِ وزيادته ـ السيوطي ـ تخريجٌ وتحقيق.

٥٧ ـ ضعيفُ الترغيبِ والترهيبِ ـ تخريج.

٥٨ ـ ضعيفُ سننِ ابنِ ماجَه ـ تخريج.

٥٩ ـ ضعيفُ سننِ أبي داود ـ تخريج.

٦٠ ـ ضعيفُ سننِ التِّرمذي ـ تخريج.

٦١ ـ ضعيفُ سننِ النَّسائي ـ تخريج.

٦٢ ـ ضعيفُ مواردِ الظَّمآن ـ تخريج.

٦٣ ـ ظِلالُ الجنة في تخريجِ السنة ـ ابن أبي عاصم ـ تأليف.

٦٤ ـ العقيدةُ الطحاويَّة ـ شرحٌ وتعليقٌ ـ تأليف.

٦٥ ـ العِلمُ ـ أبو خيثمة ـ تحقيق.

٦٦ ـ غايةُ المرامِ في تخريجِ أحاديثِ الحلالِ والحرامِ ـ تأليف.

٦٧ ـ فضائلُ الشَّام ـ للربعي ـ تخريج.

٦٨ ـ فضلُ الصلاةِ على النبيِّ ﷺ ـ الجهضمي ـ تحقيق.

٦٩ ـ فقهُ السيرةِ ـ الغزالي ـ تخريج.

٧٠ ـ فهرسُ مخطوطاتِ دارِ الكُتُبِ الظاهريةِ الخاص بمخطوطاتِ الحديث.

٧١ ـ قيامُ رمضانَ ـ تأليف.

٧٢ ـ كشفُ النقابِ عما في كلماتِ أبي غَدَّة ـ تأليف.

٧٣ ـ الكلمُ الطيِّب ـ ابن تيمية ـ تحقيق.

٧٤ ـ كلمةُ الإخلاص ـ ابن رجب ـ تخريج.

٧٥ ـ لفتةُ الكَبَد ـ تحقيق وتخريج.

٧٦ ـ ما دلَّ عليهِ القرآن ـ الآلوسي ـ تخريج.

٧٧ ـ مختصرُ الشمائِلِ المحمديَّةِ ـ الترمذي ـ تخريج.

٧٨ ـ مختصرُ صحيحِ البخاريِّ ـ اختصار وتعليق.

٧٩ ـ مختصر صحيح مسلم ـ اختصارٌ وتعليق.

٨٠ ـ مختصرُ العلوِّ للعليِّ الغفارِ ـ الذهبي ـ اختصارٌ وتخريج.

٨١ ـ المرأةُ المسلمةُ ـ حسن البنا ـ تخريج.

٨٢ ـ مسائلُ غلامِ الخلالِ التي خالَفَ فيها الخِرَقي ـ تعليق.

٨٣ ـ مساجلةٌ علميَّةٌ بين إمامينِ ـ تخريج.

٨٤ ـ المسحُ على الجوربينِ ـ القاسمي ـ تأليفٌ وتذييل.

٨٥ ـ مشكاةُ المصابيحِ ـ التبريزي ـ تحقيق وتخريج.

٨٦ ـ المصطلحاتُ الأربعة ـ المودودي ـ تخريج.

٨٧ ـ مناسكُ الحجِّ والعُمرة ـ تأليف.

٨٨ ـ منزلةُ السنةِ في الإسلامِ ـ تأليف.

٨٩ ـ نصبُ المجانيقِ لنسفِ قِصةِ الغرانيق ـ تأليف.

٩٠ ـ نقدُ نصوصٍ حديثيَّةٍ ـ تأليف.

٩١ ـ وجوبُ الأخذِ بحديثِ الآحادِ في العقائدِ والأحكامِ ـ تأليف.

٩٢ ـ أحاديثُ البيوعِ وآثارِهِ ـ تأليف.

٩٣ ـ أحكامُ الرِّكاز ـ تأليف.

٩٤ ـ إزالةُ الشكوكِ عن حديثِ البروكِ ـ تأليف.

٩٥ ـ أصلُ صفةِ الصَّلاةِ ـ تأليف.

٩٦ ـ الأمثالُ النبويَّةُ ـ تأليف.

٩٧ ـ الأحاديثُ المختارةُ ـ للضياءِ المقدسيِّ ـ تخريج.

٩٨ ـ التعليقاتُ الجيادُ على زادِ المعادِ.

٩٩ ـ التعليقاتُ على الروضةِ النديةِ.

١٠٠ ـ الثمرُ المستطابُ في فقهِ السنةِ والكتابِ ـ تأليف.

١٠١ ـ الحوضُ الموردُ في زوائِدِ منتقى ابن الجارود ـ تأليف.

١٠٢ ـ الردُ المُفْحِم ـ تأليف.

١٠٣ ـ صحيحُ السيرةِ النبويَّةِ ـ تأليف.

١٠٤ ـ قصةُ نُزولِ عيسى عليه السلام وقتلِهِ المسيحَ الدجَّالَ آخرَ الزمانِ.

ثاني عشرَ: وفاتُهُ:

وفي يومِ السَّبتِ الثاني والعشرينَ من جمادى الآخرةِ سنةَ ١٤٢٠ هـ الموافقَ للثاني من تشرين الأول سنةَ ١٩٩٩م، وبعدَ العصرِ انتقَلَ الشيخُ الألبانيُّ إلى جوارِ ربِّهِ، فهزَّ نبأُ وفاتِهِ العالَمَ الإسلاميَّ بأسرِهِ، وحَزنَ عليهِ أهلُ العِلمِ وطلَّابُهُ، فرحِمَهُ الله رحمةً واسِعَةً وجزاهُ عن الإسلامِ والمسلمينَ خيراً[١].

* * *

(١) ينظر: مقتطفات من حياة فقيدي الأمة الألباني وابن باز ٧٦.



المبحث الثاني:

معنى الإيمان عند الألباني وموقفه من الإرجاء

أولاً: تعريف الإسلام والإيمان:

تَعريفُ الإسلامِ:

لغةً: الاستسلامُ والانقيادُ، يُقالُ فلانٌ مُسلمٌ أي: مُستَسلمٌ لأمرِ الله[٢].

اصطلاحاً: «هو الاستسلامُ لله لا لِغَيرِهِ، بِأن تَكُونَ العبادةُ والطاعةُ لَهُ والذلُّ، وهو حَقيقةُ لا إله إلا الله»[٣].

تعريف الإيمان:

لُغةً: «هوَ مَصدرُ آمنَ يؤمِنُ إيماناً فَهو مؤمِنٌ، واتَّفق أهلُ العلمِ مِن اللُّغويين وَغيرِهِم: أنَّ الإيمانَ مَعناهُ التَّصديقُ، قَال الله تَعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]»[٤].

وَنَقلَ الإمامُ مُحمَّد بن نَصر المروزيّ[٥] عن طائفةٍ مِن أهلِ السُّنةِ:

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور مادة (سلم) ١٢/ ٢٩٣ .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥/ ٢٣٩ .

(٣) لسان العرب مادة (أمن) ١٣/ ٢٣.

(٤) أبو عبد الله، الإمام الحافظ، أعلم الناس باختلاف العلماء، صاحب كتاب (تعظيم قدر الصلاة) (ت٢٩٤هـ) ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٤/ ٣٣ .

«والإيمانُ في اللغةِ: هوَ التصديقُ. . . وَمَعنى التَّصديق: هُوَ المعرفةُ باللهِ والاعترافُ لَهُ بالربوبيةِ بِوَعدهِ ووعيدهِ وَوَاجِبِ حَقِّهِ وَتَحقيقِ مَا صَدَّقَ بِهِ مِن القَولِ والعَمَلِ»(١).

وأمَّا الشيخُ الألبانيُّ فإنهُ لَم يَخرُج في تَعريفِهِ للإيمانِ لُغةً عَن تَعريفِ السَّلف، بَل تَبعَ السَّلَفَ على هذا التَّعريفِ، فَقَالَ: «إنَّ الإيمانَ لغةً بمعنى التصديق، وهذا ما تَدُلُّ عَلَيهِ لُغَةُ القُرآنِ»(٢).

اصطلاحاً: هُوَ قَولُ اللِّسانِ، وَعَمَلُ الجوارحِ، وَتَصديقُ القَلبِ، وَقَد اختَلفت عِباراتُ السَّلفِ في تَفسيرِ الإيمانِ وَتَباينتْ، وَلكنَّها جَميعاً تَرجِعُ إلى مَعنًى واحدٍ أو مَعانٍ مُتَقاربةٍ:

قَالَ شَيخُ الإسلامِ ابن تيميَّة: «وأجمعَ السَّلفُ أنَّ الإيمانَ قَولٌ وَعَملٌ، يَزيدُ وَيَنقصُ، وَمَعنى ذلكَ أنَّهُ قَولُ القَلبِ وَعَملُ القَلبِ، ثمَّ قَولُ اللِّسانِ وَعَملُ الجوارحِ، فأمَّا قَولُ القَلبِ فَهوَ التَّصديقُ الجازِمُ بالله وملائكتِهِ وَكتُبهِ وَرُسلهِ واليومِ الآخرِ، وَيَدخُلُ فِيهِ الإيمانُ بِكُلِّ ما جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ»(٣).

وَقَالَ اللالَكائِيُّ(٤): «أخبرنا مُحمَّد بن رزقِ الله قالَ: أخبَرَنا أحمد ابن حمدان قالَ: حدَّثنا أبو الحسن إدريس بن عبد الكريم قالَ: أرسَلَ

---

(١) تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي ٢/ ٦٩٥.

(٢) من الوجه الأول من الشريط الثاني من شريطي (التحرير لأصول التكفير)رقم (٨٥٦) من (سلسلة الهدى والنور).

(٣) مجموع الفتاوى ٧/ ٦٧٢.

(٤) الإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الحافظ الفقيه الشافعي محدث بغداد (ت٤١٨هـ)، ينظر: تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٨٣.

رجُلٌ مِن أهلِ خُراسانَ إلى أبي ثورٍ إبراهيمَ بن خالدٍ[١] بِكِتابٍ يَسألُ عن الإيمانِ: ما هُوَ؟ وَيَزيدُ وينقُصُ؟ وَقولٌ؛ أو قَولٌ وَعَملٌ؟ أو: وَقَولٌ وَتَصديقٌ وَعَملٌ؟ فأجابهُ: إنَّه التَّصديقُ بالقلبِ، والإقرارُ باللسانِ وَعَمَلُ الجَوارِحِ»[٢].

وَقَال الإمامُ الآجريُّ[٣]: «الذي عَلَيهِ عُلماءُ المسلمينَ: أنَّ الإيمانَ وَاجِبٌ على جَميعِ الخَلقِ، وَهوَ تَصديقٌ بالقَلبِ، وإقرارٌ باللسانِ، وَعَمَلٌ بالجوارِحِ»[٤].

وَهذا الذي ذَكرتُه مِن تَعريفِ الإيمانِ هو مَذهب عامَّةِ السَّلف؛ ومِنهُم على سَبيلِ التَّمثيلِ لا الحصرِ: الأئمةُ: مالك[٥] والشافعيّ[٦] وأحمد[٧]، وكذا مجاهد[٨] ....

(١) إبراهيم بن خالد، الفقيه العلامة، قال عنه أحمد بن حنبل: أعرفه بالسنة منذ خمسين سنة، (ت٢٤٠هـ) ينظر: تقريب التهذيب١/ ٨٩، الكاشف١/ ٢١١ .
(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ١/ ١٧٢.
(٣) أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي الإمام المحدث القدوة، كان عالماً عاملاً صاحب سنة ديِّناً ثقة (ت٣٦٠هـ) ينظر: طبقات الحُفَّاظ للسيوطي١ /٣٧٩، تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٣٦.
(٤) الشريعة للآجري ٢/ ٦١١.
(٥) إمام دار الهجرة مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي صاحب المذهب، قيل عنه: (لا يفتى ومالك بالمدينة)(ت١٧٩هـ)، ينظر: التقييد ١/ ٤٣٥.
(٦) محمد بن إدريس بن العباس أبو عبد الله القرشي المطلبي، الإمام عالم العصر وناصر الحديث وفقيه الملة، (ت٢٠٤هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥.
(٧) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني إمام أهل السنة أشهر من نار على علم (ت٢٤١هـ)، ينظر: تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٣٢.
(٨) العالم الحبر، صاحب التأويل والتفسير، عرض القرآن على ابن عباس ثلاث مرات، (ت١٠٤هـ) ينظر: حلية الأولياء ٣/ ٢٧٩.

وطاوس[١]، والحسن البصري[٢] وعطاء[٣] وعبيدِ الله بن عمر[٤] ومَعمر ابنِ راشد[٥] والأوزاعيّ[٦] وسفيان الثوري[٧] وعبدِ الله بن المبارك[٨].

والنخعيّ[٩] ....

(١) أبو عبد الرحمن طاوس بن كيسان اليماني من أبناء فارس، إمام من خيار التابعين وزهادهم، مرض بمنى ومات بمكة وصلى عليه هشام بن عبد الملك بين الركن والمقام (ت١٠٥هـ)، ينظر: مشاهير الأمصار١/ ١٢٢، حلية الأولياء ٤/ ٣.

(٢) الحسن بن يسار البصري، سيد زمانه وإمام أهل البصرة، بل إمام أهل العصر، ولد في خلافة عمر رضي الله عنه، وأفتى في زمن الصحابة، (ت١١٠هـ) ينظر: الوافي بالوفيات١٢/ ١٩٠.

(٣) أبو محمد القرشي مولاهم المكي، أحد الأعلام، ثقة فقيه فاضل،مفتي الحرم المكي، ولد في خلافة عثمان، روى عن عائشة وأبي هريرة (ت١١٤هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٧٨.

(٤) عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب الفقيه الثبت، (ت١٤٧هـ)، ينظر الكاشف ١/ ٦٨٥، تقريب التهذيب ١/ ٣٧٣.

(٥) معمر بن راشد الأزدي أبو عروة البصري، ثقة حافظ (ت١٥٣هـ)، ينظر التأريخ الكبير للبخاري ٧/ ٣٧٨، الكاشف ٢/ ٢٨٢.

(٦) عبد الرحمن بن عمرو، كان واحد زمانه وإمام عصره، لا يخاف في الله لومة لائم قوالاً للحق لا يهاب سطوة العظائم،(ت١٥٧هـ)، ينظر: الكاشف ١/ ٦٣٨، حلية الأولياء ٦/ ١٣٥.

(٧) سفيان بن سعيد الثوري، الإمام، أحد الأعلام علماً وزهداً (ت١٦١هـ)، ينظر: الكاشف ١/ ٤٤٩.

(٨) أبو عبد الرحمن شيخ خراسان، أبوه تركي وأمه تركية خوارزمية، إمام مجاهد، جُمِعت فيه خصال الخير (ت١٨١هـ)، ينظر: الثقات ٧/ ٧، صفة الصفوة ٤/ ١٣٤.

(٩) أبو عمران إبراهيم بن يزيد النخعي، كان فقيهاً ورأساً في العلم، وكان عجباً في الورع والخير، (ت١٩٦هـ) ينظر: الكاشف١/ ٢٢٧، معرفة الثقات١/ ٢٠٩.

وسفيان بن عيينة(١) وإسحاق بن راهويه(٢)وأهل المدينةِ وأهل الظاهرِ وَعامَّة عُلماءِ السنةِ(٣).

قَالَ شيخُ الإسلامِ ابن تيميَّة: «إنَّ من قَالَ من السَّلفِ: الإيمانُ قولٌ وعملٌ، أرادَ قَولَ القَلبِ واللسانِ وَعَملَ القَلبِ والجوارِحِ، وَمَن أرادَ الاعتقادَ رأى أنَّ لَفظَ القولِ لا يُفهَمُ مِنهُ إلا القولُ الظَّاهرُ، أو خَافَ ذلكَ فـزَادَ الاعتقادَ بالقلبِ، وَمَن قَالَ: قَولٌ وعَملٌ ونيَّةٌ، قَال: القَولُ يتناولُ الاعتقادَ وَقَولَ اللِّسانِ، وأمَّا العَمَلُ فَقَد لا يُفهمُ مِنه النيَّة فزادَ ذلكَ، وَمَن زادَ اتِّباع السُّنة فلأنَّ ذلكَ كلَّهُ لا يَكونُ مَحبوباً لله إلا باتِّباعِ السُّنةِ، وأولئك لم يُريدوا كلَّ قَولٍ وَعَملٍ، إنما أرادوا مَا كَانَ مَشروعاً مِن الأقوالِ والأعمالِ، وَلكن كَانَ مَقصُودُهم الردُّ على المرجِئَةِ الذين جَعَلوهُ(٤) قَولاً فَقَط، فَقالوا(٥): بَل هُوَ قَولٌ وعَمَلٌ، والذينَ جَعَلوهُ أربعةَ أقسامٍ فَسَّروا مُرادَهُم، كما سُئِلَ سهلُ بن عبد الله التستريّ عنِ الإيمانِ ما هوَ؟ فقالَ: قَولٌ وَعَمَلٌ وَنيَّةٌ وَسُنَّةٌ، لأنَّ الإيمانَ إذا كانَ قَولاً بِلا عَمَلٍ

(١) أبو محمد سفيان بن عيينة الهلالي الإمام العالم الناقد العابد الزاهد (ت١٩٨هـ)، ينظر: الكاشف ١/ ٤٤٩، حلية الأولياء ٧/ ٢٧٠.
(٢) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد عالم خراسان، قرين أحمد بن حنبل (ت٢٣٨هـ)، ينظر: الكاشف ١/ ٢٣٣، تقريب التهذيب ١/ ٩٩.
(٣) ينظر: مجموع الفتاوى ٧/ ٢٠٩، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٢، اعتقاد أئمة الحديث لأبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي ١/ ٦٣ ـ ٦٤، شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/ ١٧٦، فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ١/ ٤٦، تذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ٢٠٦، شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٣٧٣، شرح السنة للإمام البغوي ١/ ٣٩، الشريعة للإمام الآجري ٢/ ٦١١، شرح صحيح مسلم للنووي ١/ ١٤٧.
(٤) أي: الإيمان.
(٥) أي: السلف.

فَهوَ كُفرٌ، وإذا كَانَ قَولاً وَعَمَلاً بِلا نيَّةٍ فَهوَ نِفاقٌ، وإذا كَانَ قَولاً وَعَمَلاً وَنيةً بِلا سُنَّةٍ فَهُوَ بِدعَةٌ»(١).

ثانياً: الفَرْقُ بين الإسلامِ والإيمانِ:

الَّذي عَليهِ جمهورُ أهلِ السُّنةِ والجماعةِ: هُوَ أنَّ مُسمَّى الإسلامِ غَيرُ مُسمَّى الإيمانِ، ويَظهرُ ذلك جليّاً في حَديثِ جِبريلَ الذي رَواه الإمام مُسلم عن عمرَ بن الخطابِ رضي الله عنه قَالَ:

(بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رسول اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْم إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعرِ لَا يُرَى عليه أَثَرُ السَّفَرِ ولا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حتى جَلَسَ إلى النبي ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إلى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ على فَخِذَيْهِ وقال: يا محمد أَخْبِرْنِي عن الْإِسْلَامِ. فقال رسول اللَّهِ ﷺ: **الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إلا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول اللَّهِ ﷺ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إن اسْتَطَعْتَ إليه سَبِيلًا** قال: صَدَقْتَ... قال: فَأَخْبِرْنِي عن الْإِيمَانِ: قال: **أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**. قال: صَدَقْتَ... ثُمَّ قال لي **يا عُمَرُ أَتَدْرِي من السَّائِلُ**؟ قلت: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: **فإنَّه جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**)(٢)؛ فقد فرَّق النبيُّ ﷺ بينَ الإسلامِ والإيمانِ، والتَّفريقُ يدلُّ على المغايَرةِ؛ قال شيخُ الإسلامِ ابن تيمية(٣):

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ١٧١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان،(باب الإيمان والإسلام ...) ١/ ٣٦ ـ ٣٧.

(٣) الشيخ الإمام العلامة المجتهد الحافظ الناقد الفقيه المفسر تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي كان من بحور العلم ومن الأذكياء المعدودين والزهاد الأفراد، ألَّف ثلاثمائة مجلد، =

«قد فرَّق النبيُّ في حَديثِ جِبريلَ عليهِ السَّلامُ بَين مُسمَّى الإسلامِ وَمُسمَّى الإيمانِ وَمُسمَّى الإحسانِ... بَل جَعَلَ النبيُّ الدِّينَ **ثلاثَ درجاتٍ**: أعلاها الإحسانُ، وأوسَطها الإيمانُ، وَيَليه الإسلامُ، فَكُلُّ مُحسِنٍ مُؤمنٌ، وَكُلُّ مُؤمنٍ مُسلمٌ، وَلَيسَ كُلُّ مُؤمنٍ مُحسِناً، ولا كلُّ مُسلِمٍ مُؤمناً»(١).

وَيَرَونَ كَذلك أنَّهما يَختَلفانِ بِحسَبِ الانفرادِ والاقترانِ؛ فَعِندَ ذِكرِهِما جَميعاً يُفسَّر الإسلامُ بأعمَالِ الجَوارحِ، وَعِندَ الانفرادِ يَكُونُ كُلٌّ مِنهُما شامِلاً للآخر، مِثل قَولِهِ تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣]، وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩]، وهذا يَشمَلُ الإسلامَ والإيمان(٢).

وَلا أدلَّ على التفريقِ بَينَهُما مِن قَولِهِ تَعَالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمْۖ﴾ [الحجرات: ١٤]، وَقَد أورَدَ الإمامُ الطَّبَريُّ(٣) في تَفسِيرِ هذه الآيةِ أقوالاً كَثيرةً مَرفُوعةً وَمَوقُوفةً تَدُلُّ بِمُجمَلِها أنَّ مُسمَّى الإسلامِ غَيرُ مسمَّى الإيمانِ، واختارَ هذا القَولَ وَرَجَّحَهُ رَحِمَهُ الله(٤).

= وامتحن وأوذي مراراً، توفي في سجن القلعة (ت٧٢٨هـ)، ينظر: طبقات الحفاظ ١/ ٥٢١.

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ٦ ـ ٧.

(٢) ينظر: التعليقات على الأربعين النووية للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ٨.

(٣) هو محمد بن جرير الطبري الإمام العلم صاحب التصانيف العظيمة والتفسير المشهور(ت٣١٠هـ)، ينظر: طبقات الشافعية ١/ ١٠١ .

(٤) ينظر للتفصيل: جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير الطبري ٢٦/ ١٤١ ـ ١٤٣.

قالَ الحافِظُ ابن كثير[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الآيةِ المتقدِّمةِ:

«وَقَد استُفيدَ مِن هذهِ الآيةِ الكريمةِ أنَّ الإيمانَ أخَصُّ من الإسلامِ كَما هُو مَذهَبُ أهلِ السُّنةِ والجماعةِ، وَيَدلُّ عَليهِ حَديثُ جِبريلَ عَليهِ الصلاةُ والسَّلامُ حِينَ سَأَلَ عن الإسلامِ ثُمَّ عن الإيمانِ ثُمَّ عن الإحسانِ، فترقَّى مِن الأعمِّ إلى الأخصِّ ثُمَّ للأخصِّ»[٢].

وَقَد استَدَلَّ شَيخُ الإسلامِ ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ على المُغايَرَةِ بَينَهُما بآيةِ الحُجُراتِ المُتَقدِّمةِ، ثُمَّ أورَدَ قَولَه تَعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥ ـ ٣٦]، فقالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُبيِّناً أنَّهُما[٣] تتَّفِقانِ ولا تَختَلِفانِ:

«وَقَد ظَنَّ طائفةٌ من الناسِ أنَّ هذه الآية تَقتَضي أنَّ مُسمَّى الإيمانِ والإسلامِ واحدٌ، وَعارضوا بَين الآيتينِ وَلَيسَ كذلكَ، بل هذِهِ الآيةُ توافِقُ الآيةَ الأولى[٤] لأنَّ الله أخبَرَ أنَّه أخرجَ مَن كانَ فِيها مُؤمِناً، وأنَّه لم يَجِد إلا أهَلَ بَيتٍ مِن المسلمين، وَذَلك لأنَّ امرأةَ لُوطٍ كَانَت في أهلِ البيتِ الموجودِينَ وَلَم تَكُن مِن المُخرَجِينَ الَّذينَ نَجوا، بَل كانت مِن الغابرينَ الباقِينَ في العذابِ، وَكَانت في الظَّاهِرِ مَعَ زوجِها على دِينِه وفى الباطِنِ مَعَ قَومِها على دِينِهم»[٥].

---

(١) هو الحافظ الفقيه المفسر إسماعيل بن كثير الدمشقي صاحب التاريخ والتفسير(ت٧٧٤هـ)، ينظر: طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الداودي ١/ ٢٦١.

(٢) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ٤/ ٢١٩ ـ ٢٢٠.

(٣) أي الآيتين.

(٤) يعني آية الحجرات.

(٥) مجموع الفتاوى ٧/ ٤٧٣.

وقال في موضِعٍ آخَرَ:

«والردُّ إلى اللهِ ورسولِهِ في مَسألةِ الإسلامِ والإيمانِ يُوجِبُ أنَّ كُلّاً من الإسـمَينِ وإن كَانَ مُسمَّاهُ واجباً لا يَستحِقُّ أحدٌ الجنةَ إلا بأن يَكونَ مُؤمناً مُسلِماً، فالحقُّ في ذلك ما بَيَّنَهُ النبيُّ في حَديثِ جبريلَ، فَجَعلَ الدِّينَ وأهلَهُ ثلاثَ طَبَقاتٍ: أوّلُها الإسلامُ، وأوسَطُها الإيمانُ، وأعلاها الإحسانُ، وَمَن وَصَلَ إلى العُليا فَقَد وَصَل إلى التي تَليها، فالـمُحسِنُ مُؤمنٌ، والمؤمنُ مُسلمٌ، وأمَّـا الـمُسلمُ فَـلا يَجِبُ أن يَكُونَ مُؤمِناً»[1].

ثُمَّ إنَّ هُناك دَليلاً مِن السُّنة على الـمُغايَرةِ بينَ الإسلام والإيمانِ؛ وَهُو حَديثُ سَعدِ بن أبي وقاص رضي الله عنه[2] قَالَ: (قَسَمَ رسول اللَّهِ ﷺ قَسْمًا فقلت: يا رَسُولَ اللَّهِ أَعْطِ فُلاناً فإنه مُؤْمِنٌ. فقال النبي ﷺ: **أو مُسْلِمٌ؟** أَقُولُهَا ثَلاثاً وَيُرَدِّدُهَا عَلَيَّ ثَلاثاً أو مُسْلِمٌ ثُمَّ قال: **إني لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إليَّ مِنه مَخَافَةَ أَنْ يَكُبَّهُ الله في النَّارِ**)[3].

وَقَد استَدَلَّ بهذا الحديثِ على الـمُغايَرَةِ جمعٌ من أهلِ العِلمِ مِنهُم: ابنُ جرير الطبريّ، وشيخُ الإسلامِ ابن تيمية، والحافظُ ابن كثير، وغيرهم[4].

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨.

(٢) الصحابي الجليل، خال رسول الله ﷺ لا خير في من لا يعرفه (ت٥٥هـ) ينظر: سير أعلام النبلاء ١/ ٩٢.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تألف قلب من يخاف على ايمانه... ١/ ١٣٢.

(٤) ينظر: تفسير الطبري ٢٦/ ١٤١، مجموع الفتاوى٧/ ٤٧٤، تفسير ابن كثير ٤/ ٢٢٠.

ثالثاً: رأي الشيخِ الألبانيِّ في هذهِ المسألةِ:

وأما الشَّيخُ الألبانيُّ رحمه الله **فإنَّه يرى التَّفريقَ بينَهُما**؛ فَقَد أورَدَ قولَ النبي ﷺ: **(أسلَمَ النَّاسُ وآمنَ عَمرو بنُ العاصِ[1])[2]**، وَصَحَّحَهُ، وقالَ عَقِبَهُ: «وفي الحَديثِ أيضاً إشارةٌ إلى أنَّ مُسمَّى الإسلامِ غَيرُ الإيمانِ، وَقَد اختَلفَ العُلماءُ في ذلك اختلافاً كَثيراً؛ والحقُّ ما ذَهَبَ إليهِ جُمهورُ السَّلفِ من التَّفريقِ بَينَهُما، لدلالة الكِتابِ والسُّنةِ على ذلكَ، فَقَالَ تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾ [الحجرات: ١٤]، وَحديثُ جبريلَ في التفريقِ بينَ الإسلامِ والإيمانِ مَعروفٌ مَشهورٌ»[3].

رابعاً: مذهبُ الشيخِ الألبانيِّ في الإيمانِ:

لم يَخرُج الشيخُ الألبانيُّ في حَدِّ الإيمانِ وَتَعريفِهِ عَن أقوالِ السَّلف رَحِمهم الله، بَل إنَّهُ وافقَهُم عَليهِ تماماً[4]، وَكَانَ من المنظِّرينَ لَهُ والذَّابِّينَ عَنهُ، وَكَانَت لَهُ رحمه الله جُهُودٌ ظاهرةٌ ظُهورَ الشَّمسِ في رابِعَةِ النَّهارِ في تَقريرِ مَسائلِ الإيمانِ، فَقَد قَامَ بِتَحقيقِ كُتُبٍ سَلفيَّةٍ عَديدةٍ في الإيمانِ، مِنها:

١ ـ كتابُ الإيمان: لشيخِ الإسلامِ ابن تيميَّة.

---

(١) الصحابي الجليل، داهية قريش، هاجر في صفر سنة ثمان للهجرة، توفي بمصر عام ٤٢ هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٤ .

(٢) رواه محمد بن هارون الروياني في مسنده ١/ ١٧١ .

(٣) السلسلة الصحيحة ١/ ٢٩٠ .

(٤) وسوف تأتي أقواله قريباً في المسائل التي خالف فيها المرجئة.

٢ ـ كتاب الإيمان: لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة(١).

٣ ـ كتاب الإيمانِ: للإمامِ أبي عُبيد القاسمِ بن سلَّام(٢).

وَقَامَ ـ رحمهُ الله ـ بتحقيقِ العديدِ من الكُتُبِ التي بَيَّنت مَذهبَ السَّلفِ في مَسائلِ الإيمانِ وَبَيانِ عَقيدةِ أهلِ السُّنةِ، مِنها:

١ ـ كتابُ السُّنة: لابن أبي عاصمٍ(٣).

٢ ـ شرحُ العقيدةِ الطَّحاويةِ: لابن أبي العزّ.

٣ ـ كتابُ التنكيلِ(٤): للمعلميّ اليَماني(٥).

٤ ـ كتاب العلوّ: للذهبيّ(٦).

---

(١) أبو بكر العبسي، الإمام الحافظ صاحب التصانيف، قال الفلاس: ما رأيت أحفظ منه (ت٢٣٥هـ): ينظر: الكاشف فيمن له رواية في الكتب الستة للذهبي للدمشقي ١/ ٥٩٢.

(٢) الإمام المشهور، كان عالماً باللغة والقراءات والغريب وصنف الكتب الكثيرة (ت٢٢٤هـ)، ينظر: صفة الصفوة ٤/ ١٣٠، تقريب التهذيب لابن حجر ١/ ٤٥٠.

(٣) أبو بكر أحمد بن عمرو، حافظ كبير إمام بارع متبع للآثار كثير التصانيف (ت٢٨٧هـ) ينظر: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٣٠، طبقات الحفاظ ١/ ٢٨٥.

(٤) (التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل) كتاب عظيم ألفه العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني(ت١٣٨٦هـ)وقد بين فيه بالأدلة القاطعة تجني الكوثري على أئمة الحديث ورواته والطعن فيهم، بل لقد تجاوز طعنه إلى بعض الصحابة، نسأل الله العافية،وقام بطبعه وتحقيقه والتعليق عليه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٥) أحد علماء اليمن فقيه نحوي، له عدة مصنفات، هاجر إلى مكة وعين أميناً لمكتبة الحرم المكي الشريف وتوفي فيها بعد أن صلى الفجر في المسجد الحرام عام (١٣٨٦هـ)، ينظر: مقدمة كتاب التنكيل ٩ ـ ١٤.

(٦) الإمام الحافظ، مؤرخ الإسلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن =

أمَّا تأليفاتُهُ فقَد شَهِدَ لهُ بِها القاصي والداني، مِنها (سلسلةُ الأحاديثِ الصحيحةِ) و (سلسلةُ الأحاديثِ الضعيفةِ) و (شَرحُ العقيدةِ الطَّحاويَّةِ) فقَد امتلأت هذهِ المؤلَّفاتُ بِبَيانِ عَقيدةِ السَّلفِ وَتَقريرِها والدِّفاعِ عَنها، لا يُنكِرُ ذلك إلا مُكابِرٌ أعمى اللهُ بَصيرَتَهُ، والنَّاظِرُ في كُتُبِهِ وُمؤلَّفاتهِ يَعلَمُ ذلك حقّاً:

فـهـذا الـحـقُّ لـيـسَ بِـهِ خـفـاءٌ فَـدَعـنـي عَـن بُـنـيَّـاتِ الـطَّـريـقِ(١)

خامساً: اتِّهامُ الشيخِ الألبانِّي بالإرجاءِ:

ولَقد رَماهُ بَعضُ المُعاصِرينَ(٢) بالإرجاءِ؛ وَذَلكَ ليسَ بالأمرِ اليَسيرِ، فَلا بُدَّ مِن عَرضِ أقوالِ الشيخِ رحمه الله في أهمِّ مَسائلِ الإيمانِ عَلى أقوالِ السَّلفِ، وَمن ثم فلا بُدَّ مِن مَعرفةِ الإرجاءِ والمُرجئةِ، واستعراضِ أقوالهم ومَذهبِهِم في الإيمانِ، حتى يتبيَّنَ لنا صِحةُ هذه التُّهمةِ مِن عَدَمِها، وَصِدقُها مِن كَذِبِها، فأبدأُ ـ مُستعيناً بالله ـ بالتَّعريفِ بالمُرجئةِ وأقوالِهِم.

تعريفُ المرجئة:

لغةً: «الإرجاءُ التأخيرُ . . . ومِنهُ سمِّيَت المرجئةُ. . . يُقالُ رَجُلٌ مُرجىء. . . والنِّسبةُ إليهِ مُرجئيٌّ»(٣).

= عثمان، له المصنفات الشهيرة، (ت٧٤٨هـ): ينظر: طبقات الحفاظ ١/ ٥٢١.

(١) البيت للأقيشر السعدي، ينظر: ديوان الأقيشر السعدي ١/ ٣٥.

(٢) مثل: سفر عبد الرحمن الحوالي في كتابه (ظاهرة الإرجاء في العالم الإسلامي)، ومحمد أبو رحيم في كتابه (حقيقة الإيمان عند الشيخ الألباني).

(٣) لسان العرب مادة (أرجأ) ١/ ٨٤.

وأما في الاصطلاح:

فهُم فِرقةٌ يَعتَقِدونَ أنَّه لا يَضُرُّ مَعَ الإيمانِ مَعصيةٌ كما أنَّه لا يَنفَعُ مع الكُفرِ طاعةٌ، قال أبو المظفر الأسفراييني[(١)] : «وإنما سُمُّوا مُرجِئة لأنَّهم يؤخِّرونَ العَمَلَ مِن الإيمانِ؛ على مَعنى أنَّهم يَقولونَ: لا تَضُرُّ المعصيةُ مَعَ الإيمانِ، كَمَا لا تَنفَعُ الطَّاعةُ مع الكُفرِ، وَقَولُهم بالإرجاءِ خِلافُ قَولِ المسلمينَ قَبلَهُم»[(٢)].

فِرَقُهُم وأقوالُهُم:

المرجئةُ خمسُ فِرَقٍ[(٣)]:

الفرقة الأولى: اليونسيَّة: وهم أتباع يُونس بن عون وَكَان يَقُولُ كُل خَصلةٍ من خِصال الإيمانِ لَيسَ بإيمان ولا بَعضُ إيمان وَجُملتُها إيمانٌ.

الفرقة الثانية: الغسَّانية: وَهُم أتباعُ غسَّان المرجىء الذي كَانَ يَقُولُ: الإيمانُ يَقبَلُ الزّيادةَ ولا يَقبَلُ النُّقصانَ.

الفرقةُ الثالثةُ: التومنيَّة: أتباعُ أبي مُعاذ التومني الذي كَانَ يَقُولُ: الإيمانُ اسمٌ يَقَعُ على خِصالٍ كَثيرةٍ، كُلُّ مَن تَرَكَ خصلة مِنها كَفَرَ.

الفرقةُ الرابعةُ: الثوبانيَّة: أصحابُ أبي ثوبان المرجىء الذي كَانَ

---

(١) طاهر بن محمد الإمام الأصولي المفسر له تفسير كبير وصنف في الأصول (ت٤٧١هـ) ينظر: طبقات الشافعية ١/ ٢٤٥.

(٢) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين لأبي المظفر الأسفراييني ١/ ١٣.

(٣) ينظر: التبصير في الدين ١/ ٩٧ ـ ٩٩، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية لابن طاهر البغدادي ١/ ١٩٠، الملل والنحل للشهرستاني ١٣٩، المواقف ٣/ ٧٠٥.

يَقولُ الإيمانُ إقرارٌ وَمَعرفةٌ بالله وَبِرُسُلِهِ وَبكلِّ شيءٍ يقدر وجودُهُ في العقلِ، فَزَادَ هذا القائلُ القولَ بالواجباتِ العقليَّةِ بِخِلافِ الفِرَقِ الباقيةِ.

الفرقة الخامسة: المريسيَّة: أصحاب بِشر المريسي[1]؛ ومُرجئةُ بَغدادَ مِن أتباعِهِ، وكانَ يَتَكلَّمُ بالفِقهِ على مَذهبِ أبي يوسُف القاضي[2]ولكنَّهُ خَالفهُ بِقولِهِ إنَّ القرآن مخلوقٌ، وكانَ مَهجوراً مِن الفريقينِ، وهو الَّذي ناظَرَ الشافعيَّ رضي الله عنه في أيامِهِ.

ذَكَرنا فيما تقدَّمَ بعضَ أقوالِ المرجئةِ مع ذِكرِ فِرَقِهِم، ومِن أقوالِهم التي خالفوا فيها أهلَ السُّنةِ أيضاً:

قولُهم: الإيمانُ قَولٌ بلا عَمَلٍ، والإيمانُ لا يَزيدُ ولا يَنقُصُ، وَهُم يَقُولونَ: نَحن مُؤمنونَ عند الله، ولا يجوِّزونَ الاستثناءَ في الإيمانِ، والصلاةُ لَيست مِن الإيمانِ، ويقولونَ: إنَّ العُصاةَ كُلُّهُم يُغفَرُ لَهُم ولا بُدَّ، وَيقولونَ: الأفعالُ كلُّها بِتَقديرِ الله تعالى وَلَيسَ للعِبادِ فِيها اختيارٌ، وَيَقولونَ: لا نِفاق، إلى غَيرِ ذلك مِن أقوالِهِم[3].

---

(١) بشر بن غياث المريسي، مبتدع ضال، كان أبوه يهودياً، وقال قتيبة بن سعيد: كان بشر كافراً، قال بشر بن الحارث: جاء موت المريسي وأنا في السوق فلولا أنه ليس موضع سجود لسجدت شكراً (ت٢١٩هـ). ينظر: لسان الميزان لابن حجر ٢/ ٢٩.

(٢) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب، الإمام القاضي صاحب أبي حنيفة (ت١٨٢هـ) ينظر: هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين للرومي الحنفي ٦/ ٥٣٦.

(٣) ينظر للزيادة: مجموع الفتاوى ٧/ ٤٢٩، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني ٧/ ٣٠، التسهيل لعلوم التنزيل للغرناطي ١/ ١٤٤، الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي ٢/ ١٥٧، فتح الباري ١/ ٧٣، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي ١/ ٢١٨، شرح السنة =

المسائِلُ التي خَالَفَ فِيها الألبانيُّ مَذهَبَ المُرجِئةِ وَوَافقَ فِيها مَذهَبَ السَّلَفِ

وَبَعدَ أن عَرَّفنا بالمرجئةِ وأقوالِهِم، أسوقُ هُنا أهمَّ المسائلَ في الإيمانِ، التي خَالَفَ فِيها الشيخُ رَحِمَهُ اللهُ مَذهبَ الإرجاءِ الرديِّ، وَوَافقَ فيها مَذهبَ السَّلفِ السويِّ:

المسألةُ الأولى: كونُ العملِ من الإيمانِ:

يَرى الشَّيخُ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ أنَّ الإيمانَ قولٌ وعَمَلٌ، والأعمالُ الصَّالحةُ مِن حَقيقةِ الإيمانِ[1].

وَذَهبَ ـ رَحِمه الله ـ إلى أنَّ الأعمالَ رُكنٌ أصليٌّ في الإيمانِ[2].

بل إنَّهُ ـ رحِمه الله ـ قَد فصَّلَ القولَ في هذهِ المسألةِ بما لا مَزيدَ عَليهِ، حينَ ردَّ على الأحنافِ قولَهُم بأنَّ الإيمانَ هُوَ: الإقرارُ باللِّسانِ والتَّصديقُ بالجَنانِ[3]، فأخرجوا الأعمالَ عَن مُسمَّى الإيمانِ، فَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ رادّاً عليهِم، مُبيِّناً عَقِيدةَ السَّلفِ بأنَّ الأعمالَ مِن الإيمانِ:

«هذا مَذهَبُ الحنفيَّةِ والماتُريديَّةِ خِلافاً للسَّلفِ وَجَماهِيرِ الأئمةِ، كَمالك والشافعيِّ وأحمَدَ والأوزاعيّ وَغَيرِهِم، فإنَّ هؤلاءِ زادوا على الإقرارِ والتَّصديقِ: العَملُ بالأركانِ، وَلَيسَ الخلافُ بَين المذهبينِ

= ١/ ٣٣، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي ٥/ ٥٣، تحفة الأحوذي للمباركفوري ٦/ ٣٠٢.

(١) ينظر: الذب الأحمد عن مسند الإمام أحمد للألباني ٣٢/ ٣٣.

(٢) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ٥٨.

(٣) ينظر لقول الأحناف: شرح العقيدة الطحاوية ٣٣١ ـ ٣٣٢.

اختلافاً صُوريّاً كَما ذَهَبَ إليهِ الشَّارحُ[١] ـ رَحمهُ اللهُ تعالى ـ بِحُجَّةِ أنَّهم جَميعاً اتَّفقوا على أنَّ مُرتكِبَ الكَبيرةِ لا يَخرُجُ عَنِ الإيمانِ، وأنَّه في مشيئةِ الله إن شاءَ عَذَّبهُ وإن شاءَ عَفا عَنهُ، فإنَّ هذا الاتِّفاقَ وإن كَانَ صَحيحاً فإنَّ الحنفيةَ لو كانوا غَيرَ مُخالِفينَ للجماهيرِ مُخالفةً حَقيقيَّةً في إنكارهم أنَّ العَمَلَ من الإيمانِ؛ لاتَّفقوا مَعَهُم على أنَّ الإيمانَ يَزيدُ وَيَنقُصُ، وأنَّ زيادتهُ بالطاعةِ وَنَقصَهُ بالمعصيَةِ، مَعَ تَظافرِ أدِلَّةِ الكتابِ والسُّنةِ والآثارِ السلفيَّةِ[٢] على ذلك... ثُمَّ كيف يَصِحُّ أن يَكونَ الخلافُ المذكورُ صُوريّاً وَهم يُجيزونَ لأفجَرِ واحدٍ منهم أن يَقولَ: إيماني كإيمانِ أبي بكرٍ الصّديق، بَل كإيمانِ الأنبياءِ والمرسلينَ وَجِبريلَ وميكائيلَ عَلَيهِم الصّلاةُ والسّلامُ، كَيفَ وهُم بِناءً على مَذهَبِهم هذا لا يُجيزونَ لأحَدِهم ـ مَهما كَانَ فاسِقاً فاجِراً ـ أن يَقُولَ: أنا مؤمنٌ إن شاءَ اللهُ تعالى، بل يَقولُ: أنا مؤمنٌ حقاً، والله عزّ وجلّ يقولُ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤] ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]»[٣].

أما قَولُ السَّلفِ فَهُوَ ظاهرٌ في زيادةِ الإيمانِ ونُقصانِهِ، وَقَد تَقَدَّم النَّقلُ عَنهُم في أكثَرَ مِن مَوضِعٍ.

وَقَد بيَّن الحافِظ ابن حَجر مَذهبَ المرجئةِ في الإيمانِ بقولِهِ:

---

(١) يعني ابن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية.

(٢) انظر كيف يؤكّد رحمه الله على اتّباع منهج السلف.

(٣) العقيدة الطحاوية شرح وتعليق الألباني٦٢ ـ ٦٣ هامش (٢).

«والمرجئة قالوا: هوَ اعتقادٌ ونطقٌ فقط»(١)؛ فأخرَجوا بِذلكَ العَمَلَ مِن الإيمانِ.

وَكذا شيخُ الإسلامِ ابن تيميَّة فَقَد بيَّن مَذهبَ المُرجئة بِقَولِهِ: «والمرجئةُ الذينَ قالوا: الإيمانُ تَصديقُ القلبِ وَقَولُ اللِّسانِ، والأعمالُ لَيسَت مِنهُ»(٢).

وأمَّا شِبهَةُ موافَقَتِهِ للمُرجئةِ ـ في هذهِ المسألةِ ـ التي أورَدَها عَليهِ المُخالفونَ، وهي قَولُه رحمه الله: «الأعمَالُ الصالحةُ كلُّها شَرطُ كَمالٍ عِندَ أهلِ السُّنةِ»(٣)، فإنَّ قولَهُ هذا لا يُحِلُّ لأَحَدٍ أن يَنسِبَهُ إلى الإرجاءِ بِسَبَبِهِ؛ فإنَّ الشيخَ رحمه الله لم يأْتِ بِهذا القَولِ مِن عِندِ نَفسِهِ؛ فإنَّ عُمدتِهِ في ذلك حَديثٌ صَحيحٌ أخرَجَهُ جَمعٌ من الأئمةِ الأعلامِ في كُتُبِهِم، كالإمامِ أحمدَ وغيرِهِ، وهو حديثُ الشَّفاعَةِ الطَّويلُ، وَقَد جَاءَ فيهِ: (... فَيَقبِضُ قَبضَةً مِن النارِ ـ أو قَالَ: قَبضَتَينِ ـ **ناساً لم يعملوا خيراً قطُّ** .... فَيَقولُ أهلُ الجنةِ: هؤلاءِ عُتقاءُ الرحمنِ، أَدْخلَهُمُ الجنَّةَ **بغيرِ عَمَلٍ عَملوهُ، ولا خَيرٍ قدَّموهُ** ...)(٤).

فهُوَ رحمه الله لا يُكفِّرُ إلا مَن لم يُقِرَّ بالشَّهادتينِ، أمَّا التَّاركُ لِبقيَّةِ الأركانِ الأربعةِ فإنَّه لا يُكفِّره كُفراً اعتقاديّاً إذا أقرَّ بالوُجُوبِ.

ثُم إنَّ قَولهُ هذا لا يَتَّفِقُ مَعَ أقوالِ المرجئةِ لا مِن بَعيدٍ ولا مِن

(١) فتح الباري ١/ ٤٦.

(٢) مجموع الفتاوى ٧/ ١٩٤.

(٣) السلسلة الصحيحة ١/ ١٣٧.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ١١/ ٤٠٩ ـ ٤١١، وأحمد ٣/ ٩٤ وغيرهم، وهو مخرج في السلسلة الصحيحة برقم ٣٠٥٤.

قَرِيبٍ، فإنَّ المُرجئةَ يَقولونَ: لا يَضُرُّ مع الإيمانِ ذَنبٌ لمن عَمِلَهُ، بَل هو مؤمنٌ كاملُ الإيمانِ، وهذا بِخِلافِ ما ذَهَبَ إليهِ الشيخُ الألبانيُّ فهوَ يَرى أنَّ الذي يَتهاونُ في تَركِ الأعمالِ ـ خاصَّة الصلاةُ ـ فيُخشى عَليهِ أن يَموتَ على الكُفرِ؛ فتأمَّل.

وأسوقُ هنا كَلامَهُ في التَّعليقِ على حَديثِ مُعاذٍ[1] عَن النبي ﷺ أنَّه قَال: (**من شَهِدَ أن لَا إِلَهَ إلا الله مُخْلِصاً من قَلْبِهِ أو يَقِيناً من قَلْبِهِ لم يَدْخُلِ النَّارَ أو دخل الْجَنَّة، وقال مَرَّةً دخل الْجَنَّةَ ولم تَمَسَّهُ النَّارُ**)[2] حتى يتبيَّن جليّاً مخالفتُه للمُرجئةِ؛ **قـالَ ـ رحمه الله ـ** :

«والذي تَطمَئِنُّ إليهِ النفسُ وَيَنشرِح لَهُ الصَّدرُ، وَبِه تَجتَمِعُ الأدلَّةُ ولا تَتَعارَضُ، أن تُحمَلَ على أحوالٍ ثَلاثةٍ:

الأولى: مَن قَامَ بِلوازِمِ الشهادتينِ؛ من التزامِ الفرائضِ والابتعادِ عن المحرَّماتِ، فالحديثُ حينئذٍ على ظاهِرِهِ، فَهوَ يَدخُلُ الجنَّةَ وتَحرُمُ عَليهِ النَّارُ مُطلقاً.

الثانية: أن يَمُوتَ عَليها، وَقَد قَامَ بالأركانِ الخمسةِ، ولكنَّهُ رُبَّما تَهاوَنَ بِبَعضِ الواجِباتِ، وارتكبَ بَعضَ المحرَّماتِ، فَهذا مِمَّن يَدخُلُ في مَشيئةِ الله ويُغفَرُ لَهُ. . .

الثالثةُ: كالذي قَبلهُ؛ ولكنهُ لم يَقُم بحقِّها، ولم تحجِزهُ عن محارِمِ الله، كما في حديثِ أبي ذر[3] المتفَقِ عليهِ: (**وإن زنى وإن سرق . . .**)

---

(١) معاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي الصحابي الجليل، توفي بالطاعون في الأردن عام ١٨هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء ١/ ٤٤٤.

(٢) مسند الإمام أحمد ٥/ ٢٣٦.

(٣) جندب بن جنادة أبو ذر الغفاري الصحابي الجليل، من أوائل الناس =

الحديثُ، ثم هوَ معَ ذلك لم يعمَل من الأعمالِ ما يستحِقُّ بِهِ مغفِرَةَ الله؛ فهذا إنَّما تحرُمُ عليهِ النَّارُ التي وَجبت على الكفَّارِ، فهو وإن دَخلَها فلا يَخلُدُ مَعَهم فِيها، بَل يَخرُج مِنها بالشَّفاعةِ أو غَيرِها ثم يَدخل الجنَّةَ ولا بُدَّ، وهذا صَريحٌ في قولِهِ ﷺ: (**من قال لا إله إلا الله نفعته يوماً من دهرِهِ أصابَهُ قبلَ ذلكَ ما أصابَهُ**)[1]، وهوَ حَديثٌ صحيحٌ»[2].

وبهذا نَعلمُ ـ يَقيناً ـ أنَّ قَولَهُ خلافُ قَولِ المرجئةِ، وكلامُهُ هذا يَدُلُّ على دُخُولِ الأعمالِ عِندَه في مُسمَّى الإيمانِ.

وأما قَولُ سَفَر الحوالي في كِتابِهِ «ظاهرةُ الإرجاءِ» بأنَّ حَديثَ الشَّفاعةِ هذا يُحمَلُ على حَديثِ حُذيفةَ بنِ اليَمانِ رضي الله عنه[3]، أي أنَّ هؤلاءِ الذينَ يَخرُجونَ من النَّار ولم يَعمَلوا خَيراً قطُّ، عِندهُم فقط: (لا إله إلا الله)، أنَّ هؤلاء يَجهَلُونَ الأعمالَ بالكليَّة، فَهم لا يَعرِفونَ الصلاةَ ولا الصيامَ ولا غَيرَها، **أجابَ الشيخ الألبانيُّ عن هذا الإيرادِ بقولِهِ**: «هذا كَلامٌ باطلٌ ـ جَزماً ـ ولو لَمْ يَرغَبْهُ المؤلِّفُ؛ لأنَّ الحديثَ في الشَّفاعَةِ للَّذينَ يَستحِقُّونَ العذابَ: بِذنوبٍ ارتكبوها، أمَّا هؤلاءِ[4]: فإنَّهم إذا كانوا لا يَعلمونَ غَيرَ الشهادةِ؛ فَهُم لا يَستحقُّون العذابَ، فَتأمل»[5].

وَمِن جِهةٍ أخرى فإنَّ كُلَّ مَن لا يُكفِّر تارِكَ الصَّلاةِ من العلماءِ يَلزَمُ

= إلى الإسلام (ت ٣٢هـ) ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ٧/ ١٢٥.

(١) المعجم الأوسط للطبراني ٦ / ٢٧٤.

(٢) السلسلة الصحيحة ٣/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠.

(٣) الصحابي الجليل رضي الله عنه صاحب سر رسول الله ﷺ (ت٣٦هـ) ينظر: حلية الأولياء ١/ ٢٧٠.

(٤) الَّذين في حديث حذيفة.

(٥) الدرر المتلألئة لعلي الحلبي ١٧٣.

مِن قولِهِ أنَّ الأعمالَ شَرطُ كَمالٍ وَلَيسَ شَرطَ صحةٍ، فَقَد قالَ عَبدُ الله بن شقيق العُقيلي[١]:

«كان أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ لا يَرَوْنَ شيئاً من الْأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غير الصَّلَاةِ»[٢]، فالذي لا يُكفِّرُ بِتركِ الصلاةِ فإنَّه لا يُكفِّرُ بما هو دونها مِن باب أولى.

وَمِن جِهَةٍ أخرى فإنَّه رَحِمَهُ اللهُ لم يشذَّ بهذا القَولِ عن عُلماءِ السُّنَّةِ؛ قَال الحافظُ ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ اللهُ:

«فالسلفُ قالوا: هو[٣] اعتقادٌ بالقَلبِ، وَنُطقٌ باللسانِ، وَعَمَلٌ بالأركانِ، وأرادوا بِذلك أنَّ الأعمالَ **شرطٌ في كَمالِهِ**»[٤].

وَقالَ ابنُ رجَب الحنبليّ[٥]: «وَمَعلومٌ أن الجنَّة إنَّما يُستَحقُّ دُخُولُها بالتصديقِ بالقَلبِ، مَعَ شَهادَةِ اللِّسانِ، وَبِهما يَخرُج من يَخرُج مِن أهلِ النَّارِ، فَيَدخُلَ الجنَّة»[٦].

قالَ الشيخُ المجدِّد مُحمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ لما سُئِلَ عَمَّا

---

(١) أبو عبد الرحمن بصري ثقة سمع من عائشة وروى عن كبار الصحابة (ت١٠٨هـ) ينظر: تقريب التهذيب ١/ ٣٠٧، التاريخ الكبير٥/ ١١٦.

(٢) سنن الترمذي،باب ما جاء في ترك الصلاة ٥/ ١٤.

(٣) أي الإيمان.

(٤) فتح الباري ١/ ٤٦.

(٥) زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، الإمام الواعظ الحافظ، له عدة مصنفات، (ت٧٩٥هـ) ينظر: إنباء الغمر١/ ١١.

(٦) فتح الباري لابن رجب ١/ ١١٢.

يَكفُرُ الرجلُ بِهِ؟ فأجابَ: «أركانُ الإسلامِ الخمسةُ، أوَّلُها الشهادتانِ، ثُمَّ الأركانُ الأربعةُ؛ فالأربعةُ: إذا أقرَّ بِها، وتَرَكَها تهاوُناً، فَنَحنُ وإن قاتَلناهُ على فِعلِها، **فلا نُكَفِّرُهُ بِتَركِها**؛ والعُلماءُ اختلفوا في كُفرِ التارِكِ لَها كَسَلاً مِن غير جُحودٍ؛ ولا نُكَفِّرُ إلا ما أجمعَ عليهِ العُلماءُ كلُّهم، **وَهوَ الشَّهادَتانِ**»[1].

وَقَال حَفيدُهُ الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن: «والخِلافُ في أعمالِ الجوارحِ هل يَكفُرُ أو لا يَكفُرُ واقعٌ بينَ أهلِ السُّنةِ»[2].

وقد أجابَ الشيخ عبد العزيز بن باز[3] رحمه الله عندما سُئلَ عَن العُلماءِ الذين قالوا بِعَدَمِ كُفرِ مَن تَرَكَ أعمالَ الجوارِحِ ـ مَع تَلَفُّظِهِ بالشهادَتينِ، ووُجُودِ أصلِ الإيمانِ القلبيِّ ـ هل هُم من المرجئةِ؟ فأجابَ:

«**هذا من أهل السُّنةِ والجماعةِ**[4]، فَمَن تَرَكَ الصيامَ، أو الزكاةَ، أو الحجَّ: لا شَكَّ أنَّ ذلك كَبيرةٌ عِندَ العُلماءِ؛ ولكن على الصَّوابِ: لا يَكفُر كُفراً أكبر.

أما تَركُ الصَّلاةِ: فالأرجحُ: أنَّه كافرٌ كُفراً أكبر إذا تَعمَّد تَركَها، وأمَّا تَركُ الزَّكاةِ والصيامِ والحجِّ: فإنه كُفرٌ دُونَ كُفرٍ»[5].

وإلى هذا القَولِ ـ أي قولِ ابن بازٍ ـ ذَهَبَ الشيخُ محمَّد بن صالح

---

(١) الدرر السنية ١/ ١٠٢.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٤٧٩.

(٣) من أئمة أهل السنة المعاصرين المعروفين (ت١٤٢٠هـ).

(٤) يعني قائل هذا القول.

(٥) التعريف والتنبئة لعلي الحلبي ١١٣.

العُثيمين(١)، فإنَّه سُئِل عَن شَخصٍ قال: لا إله إلا الله؛ مُخلِصا مِن قلبِهِ، مُصدِّقاً بِقلبِهِ، مُستسلِماً مُنقاداً، لكنَّه لَم يَعمَل بجوارِحِهِ خَيراً قطّ، مع إمكانِ العملِ، هَل هَو داخلٌ في المشيئةِ؟ أم كافرٌ؟ فأجابَ رَحِمَهُ اللهُ:

«إذا كان لا يُصلي؛ فَهو كافرٌ ـ وَلَو قال لا اله إلا الله ـ لَو كَانَ صادِقاً بقَولِ لا إله إلا الله ـ مُخلِصاً بِها ـ والله لَن يَترُكَ الصَّلاةَ، لأنَّ الصَّلاةَ صِلَةٌ بينَ الإنسانِ وبينَ الله ـ عز وجل ـ فَقَد جاءَ في الأدلَّةِ من القُرآن، والسُّنةِ، والنَّظَرِ الصَّحيحِ، وإجماعِ الصحابةِ ـ كما حَكاهُ غيرُ واحدٍ ـ على أن تارِكَ الصَّلاةِ كافرٌ، مخلَّدٌ في نارِ جهنَّم، وليسَ داخِلاً تَحتَ المشيئةِ... أما سَائِرُ الأعمالِ إذا تَركَها الإنسانُ كانَ تَحتَ المشيئةِ»(٢).

فعُلِمَ مِن هذا بأنَّ الخِلافَ واقعٌ بينَ أهلِ السُّنة مِن غَيرِ اتِّهامِ بعضِهِم لِبَعضٍ.

والذي أراهُ راجِحاً في هذهِ المسألةِ ـ والله أعلم ـ أنَّ الأعمالَ **شرطٌ لِصِحَّةِ الإيمانِ**، فالذي عليهِ مذهبُ السلفِ أنَّ الإيمانَ تصديقٌ بالقلبِ، وقولٌ باللسانِ، **وعملٌ بالجوارِحِ**، وهذا هوَ شِعارُ أهلِ السنةِ ومذهبُهُم، قال شيخُ الإسلامِ ابن تيمية:

«ومن الـمُمْتَنع أن يكونَ الرَّجُلُ مؤمِناً إيماناً ثابِتاً في قلبِهِ بأنَّ الله

(١) من أئمة أهل السنة المعاصرين المعروفين (ت١٤٢١هـ)، ومع أنه ـ رحمه الله ـ خالف الشيخ الألباني في هذه المسألة الدقيقة ولكنه أثنى عليه وزكى عقيدته وانظر ما يأتي ص ٧٤ ـ ٧٥.

(٢) الأسئلة القطرية في مسائل الإيمان والتكفير المنهجية لمحمد بن عثيمين ٩ ـ ١٤.

فَرَضَ عليهِ الصَّلاةَ والزَّكاةَ والصيامَ والحجَّ، ويعيشُ دهرَهُ لا يسجُدُ لله سجدةً، ولا يصومُ مِن رمضانَ، ولا يؤدّي لله زكاةً، ولا يحجّ إلى بيتِهِ فهذا مُمتَنَعٌ؛ ولا يصدُرُ هذا إلا مَعَ **نِفاقٍ في القَلبِ وَزَندَقَةٍ لا مَعَ إيمانٍ صحيحٍ**»[١].

وأمَّا استدلالُ الشيخِ الألبانيِّ رَحِمَهُ اللهُ بحديثِ الشَّفاعَةِ وقد جاءَ فيهِ (لم يَعمَلوا خَيراً قَط)[٢] فَقَد أجابَ عَلى ذلك الإمامُ ابن خزيمة[٣] بِقَولِهِ عَقِبَ إيرادِهِ:

«هذه اللَّفظةُ: لَم يَعمَلوا خيراً قَطُّ؛ من الجنسِ الذي يَقولُ العربُ بنفي الاسمِ عن الشيءِ **لِنقصِهِ عَن الكَمالِ والتَّمامِ**، فَمَعنى هذه اللفظة على هذا الأصلِ: لَم يَعمَلوا خَيراً قَطُّ على التَّمامِ والكمالِ لا على ما أوجَبَ عَليهِ وأمرَ بِهِ وَقَد بيَّنتُ هذا المعنى في مَواضِعَ مِن كُتُبي»[٤].

وأجابَ عَنها الشيخُ ابن عُثيمين بِجَوابٍ آخرَ فَقَالَ: «نَفهَمُ هذا أنَّه عامٌّ، وأنَّ أدلَّةَ كُفرِ تارِكِ الصلاةِ خاصَّةٌ؛ وَمَعلومٌ عند العُلماءِ: أنَّ العامَّ يُخَصَّصُ بخاصٍّ؛ لأنَّ هذا الحديثَ لم يَقُل: لم يُصَلِّ، حَتى نَقولَ: إنَّهُ مُعارِضٌ للنُّصوصِ الدَّالَّةِ على كُفرِ تارِكِ الصَّلاةِ، بَل قالَ: (مَن لم يَعمَل خَيراً قَط)، فَلَم يَنُصَّ على الصَّلاةِ، بل عَمَّمَ، ونُصُوصُ كُفرِ تارِكِ الصَّلاةِ خاصَّةٌ، فَتُخَصَّص بما خُصِّصَت بِهِ»[٥].

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ٦١١.

(٢) تقدم تخريجه ص ٥٣.

(٣) أبو بكر محمد بن إسحاق، الحافظ الكبير الثبت إمام الائمة، انتهت إليه الإمامة في عصره بخراسان، (ت٣١١هـ) ينظر: طبقات الحفاظ ١/ ٣١٣.

(٤) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل لابن خزيمة ٢/ ٧٣٢.

(٥) الأسئلة القطرية ١٩ ـ ٢١.

المسألةُ الثّانيةُ: زيادَةُ الإيمانِ ونُقصانُهُ:

وَمذهَبُ الشيخِ الألبانيِّ أنَّ الإيمانَ يزيدُ وينقُصُ، فَقَد ساقَ ﷺ في صحيحَتهِ حَدَيثَ أبي هريرةَ رضي الله عنهُ (الإيمان بضعٌ وسبعونَ باباً. . . .) وَبَوَّب عَلَيه: الإيمانُ يَزيدُ وَيَنقُصُ»[1].

ولقد تكلَّمَ الشيخُ العلامَةُ عبد الرحمن بن يحيى المعلميّ اليمانيّ على مسألَةِ زيادةِ الإيمانِ ونُقصانِهِ في كِتابِهِ العظيم: «التنكيل» وَقَد رَدَّ ـ رحمِهُ الله ـ فيهِ على الكوثريِّ، **وقامَ الشيخُ الألبانيُّ بتحقيقِ هذا الكتابِ القيِّم** ـ حِرصاً مِنهُ ـ على تَقريرِ عقيدةِ السلفِ والدفاعِ عَنها، فَقَالَ الألبانيُّ في بعضِ تَعليقاتهِ التي في الكِتابِ: «مَن شَاءَ الاطِّلاعَ على الأحاديثِ الواردةِ في زيادةِ الإيمان وَنُقصانهِ، وَكذا الآثار عَنِ الصحابةِ والتابعينَ، فَليَرجِع إلى (كتاب الإيمانِ) لأبي بكرِ بن أبي شيبةَ الذي قُمنا بِتَحقيقِهِ وَطَبعِهِ مَعَ رَسائِلَ أُخرى»[2].

وقالَ ﷺ ـ **مُعلِّقاً** ـ على قَولِ الإمامِ الطحاويِّ ﷺ في عَقيدَتِهِ: «والإيمانُ واحِدٌ وأهلهُ في أصلهِ سَواءٌ، والتفاضُلُ بينَهُم بالخَشيَةِ والتُّقى ومُخالَفَةِ الهوى وَمُلازَمَةِ الأَوْلى»، قَالَ ﷺ: «قُلتُ: هذا على ما تَقدَّمَ مِن قَولِهِ في الإيمانِ: أنَّه إقرارٌ وَتَصديقٌ فَقط، وَقَد عَرَفتَ أنَّ الصوابَ فيه أنَّهُ مُتفاوِتٌ في أصلِهِ، وأنَّ إيمانَ الصَّالحِ لَيسَ كإيمانِ الفاجِر»[3].

وَقالَ ﷺ مُعقِّباً على حَديثِ: (الإيمانُ مُثبتٌ في القلبِ كالجبالِ

---

(١) السلسلة الصحيحة ٤ / ٣٦٩.

(٢) التنكيل ٢/ ٣٧٢.

(٣) العقيدة الطحاوية شرح وتعليق الألباني ٦٤ هامش (١).

الرواسي، وَزِيادَتُهُ وَنَقصُهُ كُفرٌ)[١]، قالَ مبيِّناً بُطلانَهُ: «وهذا الحديثُ مُخالِفٌ للآياتِ الكثيرةِ الـمُصرِّحةِ بِزيادَةِ الإيمانِ، كقولِهِ تَعالى: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]، فَكَفى بِهذا دَليلاً على بُطلانِ مِثلِ هذا الحديثِ، وإن قالَ بِمَعناهُ جَماعَةٌ»[٢].

ثُمَّ إنَّ الشَّيخَ الألبانيَّ قَد قَرَّر أنَّ مَذهَبَ السَّلفِ هُوَ زِيادَةُ الإيمانِ وَنُقصانهُ، فَقَد تَبَيَّن مَذهَبُهُ جَليّاً في تَعليقِهِ على ذلك الكِتابِ العظيمِ (التنكيل) حَيثُ ردَّ فيهِ على أبي غَدَّة وَشَيخِهِ الكوثريِّ الحنفِيَّيْنِ اللّذَيْنِ دافعا عَن مَذهبِ الأحنافِ في الإيمانِ وَقَد سَبَق بَيانُ مُخالَفَتِهِم للسَّلَفِ في ذلك.

وَلَقَد أورَدَ رَحِمَهُ اللهُ حَديثَ أبي هُريرةَ: (**لا يَزني الزاني حِين يَزني وهُوَ مؤمِنٌ ....**)[٣]، فَذَكَرَ طُرُقَ هذا الحَديثِ، وَبيَّنَ أنَّهُ حَديثٌ صَحيحٌ لا غُبارَ عَلَيهِ بِتخريجٍ نَفيسٍ قلَّ أن يُوجَدَ مِثلُهُ، وَرَدَّ على بعضِ الحنفيَّةِ الذين ضعَّفوهُ[٤] لأنَّهُ مُخالِفٌ لِمَذهَبِهِم في زيادَةِ الإيمانِ ونُقصانِهِ، فَقَال عَقِبَ الحديثِ: «والحقيقةُ أنَّ الحديثَ وإن كَانَ مؤوَّلاً، فَهوَ حُجَّةٌ على الحنفيَّة الذين لا يَزالونَ مُصرِّين على مُخالَفَة السَّلفِ في قَولِهِم: بأنَّ الإيمانَ لا يَزيدُ ولا يَنقُصُ، فالإيمانُ عِندهم مَرتَبَةٌ واحِدَةٌ، فَهُم لا يَتَصوَّرون إيماناً ناقِصاً، ولذلكَ يُحاولُ الكوثريُّ ردَّ هذا الحديثِ، لأنهُ بَعدَ تأويلِهِ على

(١) الضعفاء لابن حبان ٢/ ١٠٣، وحكم الألباني بوضعه في السلسلة الضعيفة برقم ٤٦٤.

(٢) السلسلة الضعيفة١/ ٦٧٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المظالم، بَاب النُّهْبَى بِغَيْرِ إِذْنِ صَاحِبِهِ... ٢/ ٨٧٥.

(٤) يعني به زاهد الكوثري في حاشيته على كتاب (التنبيه).

الوجهِ الصحيحِ يَصيرُ حُجَّةً عليهم، فإنَّ معناهُ: وهو مؤمنٌ إيماناً كاملاً»[١].

بل إنَّ **الشَّيخَ الألبانيَّ** رَحِمَهُ اللهُ قَد وَضَّح مَسألةَ زيادةِ الإيمانِ ونقصانِهِ بِما لا مَزيدَ عَلَيهِ، وذلكَ في مُناقَشَتِهِ لأحدِ القائلينَ بعدمِ زيادةِ الإيمانِ وَنُقصانهِ، فإنَّه قَالَ لَهُ ـ مُستدلاً بِحديث: (لا يَزني الزاني حِينَ يَزني وَهو مؤمنٌ . . .)[٢] ـ : «هل كَفَرَ الزَّاني؟ قَالَ المتكلِّمُ: لا، إلا في سَاعَةٍ أن غَابَ عن ذِهنِهِ اتِّصالُهُ بالله، قال الألبانيُّ: أنا ما يُهمُّني الاستثناءُ، هل في تِلكَ السَّاعةِ كَفَرَ؟ قَال المتكلمُ: لا، ابتَعَدَ عنِ الإيمانِ، يَعني في عَمَلِهِ، قال الألبانيُّ: يا أخي أنتَ أتيتَ بالحجَّةِ عليكَ فلا تستعجِل، قالَ المتكلمُ: نعم، قالَ الألبانيُّ: (لا يزني الزاني حينَ يزني وهوَ مؤمنٌ)، أي: ليسَ مؤمناً حينَ يزني؟ قال المتكلمُ: نعم، قالَ الألبانيُّ: وإذا قلتَ بأنَّ الإيمانَ لا يقبلُ الزيادةَ والنقصَ؛ حكمتَ على هذا الزاني في تلكَ اللحظةِ أنَّـه غيرُ مؤمنٍ، نحنُ مـا نقولُ هكذا؛ لأننا نقولُ: الإيمانُ يزيدُ وينقصُ، فهوَ لو كانَ إيمانُهُ كاملاً ما زنى، ما سرقَ، ما نهبَ . . . . أمَّا أنتَ فتقولُ: هو كافرٌ ! هو كافرٌ ! هو كافرٌ!، ولن تجدَ وسيلةً لتخرُجَ من هذا المأزِقِ إلّا أن تقولَ برأيِ أهلِ السنَّةِ والجماعةِ: «الإيمانُ قولٌ وعملٌ، يَزيدُ وَيَنقصُ»، **يَصِلُ لدرجةٍ إذا نَقَصَ ذَهَبَ**[٣]، لكن لَيسَ كُلُّ ناقِصٍ مَعناهُ ذَهَبَ، والآن هذا الحَديثُ في الحقيقةِ مِن حُجَجِ أهل السنَّةِ والجماعةِ الذينَ يَقولونَ: إنَّ الإيمانَ يَزيدُ

---

(١) السلسلة الصحيحة ٦/ ٤٩٩.

(٢) تقدم تخريجه ص٦١.

(٣) فأين الذين يتهمونه بالإرجاء.

وَيَنقُصُ، فَماذا يَضيركَ إذا تَركتَ ذاكَ التعريفَ جانباً، وأنتَ تَعلمُ بأنَّ هذا التعريف ما جاءَ في كتابِ الله ولا جاءَ في حَديثِ رسولِ الله ﷺ، وإنَّما هوَ اصطلاحُ جَماعةٍ مِن المسلمين، أليسَ كذلكَ؟،قال المتكلِّمُ: نَعم، قال الألبانيُّ: طَيِّب، فماذا يَضرُّكَ أن تَدَعَ هذا التَّعريفَ جانباً وأن تَقولَ بِقَولِ اللهِ، وأن تَقولَ بِقَولِ رَسولِ الله ﷺ، حتَّى لا تَقَعَ في مِثلِ هذهِ الوَرطَةِ؟!!»[١].

ثُم إنَّ الشَّيخَ الألبانيَّ ألــزَمَ هذا الرجـل بالقولِ بِزيادةِ الإيمانِ وَنُقصانهِ مِن خِلالِ حَديثِ: (لا إيمانَ لمن لا أمانةَ لَهُ، ولا دينَ لِمَن لا عَهدَ لهُ)[٢]، فَقـالَ الألبانيُّ: «أنا أقولُ لَكَ الآنَ: لا إيمانَ لمن لا أمانةَ لَهُ، ولا دينَ لمن لا عَهدَ لَهُ»، ما رأيكَ: هذا الذي لا أمانَةَ لهُ كافرٌ؟ قال المتكلِّمُ: أقولُ: لَيس كافراً، قَالَ الألبانيُّ: لكن هوَ قالَ: «لا إيمانَ !»، قال المتكلِّمُ: أي أنَّــه مِن تَوابع إيمانهِ نَقص، قال الألبانيُّ: لماذا لا تَقولُ: إيمانٌ كاملٌ وناقصٌ»[٣].

ومذهبُ السَّلفِ كما هو معلومٌ أن الإيمانَ يزيدُ وينقصُ، وقد تقدَّم النقلُ عنهم في أكثرَ مِن موضعٍ.

وأما قَولُ المرجئةِ؛ فَقَد قالَ شيخُ الإسلامِ ابن تيميَّة: «فعُلِمَ أنَّ

(١) دلائل البرهان على مناقضة الشيخ الألباني للمرجئة في مسائل الإيمان لمحمد ابن موسى آل شريف ٢٤ ـ ٢٦.
(٢) أخرجه: ضياء الدين المقدسي في الاحاديث المختارة ٥/ ٧٤، وابن حبان ١/ ٤٢٢، وابن خزيمة ٤/ ٥١ وغيرهم، وانظر صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم ٣٠٠٤.
(٣) دلائل البرهان ٢٧.

الإيمانَ يَقبَلُ التبعيضَ والتجزئةَ[١] وأنَّ قَليلهُ يُخرِجُ الله بِهِ مِن النارِ مَن دَخلها، لَيسَ هُوَ كَما يَقولُهُ الخارِجونَ عن مقالةِ أهلِ السنةِ[٢] إنَّه لا يقبلُ التبعيضَ والتجزئةَ بل هو شيءٌ واحدٌ»[٣].

وقالَ رَحِمَهُ اللهُ: «أحمد وأبو ثور وغيرهما من الأئمةِ قد عَرفوا أصلَ قولِ المرجئةِ، وهو أنَّ الإيمانَ لا يَذهبُ بعضُهُ ويبقى بعضُهُ، فَلا يَكونُ شيئاً واحداً؛ فَلا يَكونُ ذا عَدَدٍ: اثنينِ أو ثلاثة، فإنَّه إذا كان لَهُ عَدَدٌ أمكَنَ ذَهابُ بَعضِهِ وَبَقاءُ بَعضِهِ، بَل لا يكونُ إلا شَيئاً واحِداً»[٤].

وَقالَ رَحِمَهُ اللهُ في مَوضِعٍ آخَرَ: «وقولُ القائلِ: الطاعاتُ ثَمَراتُ التصديقِ الباطنِ يُرادُ بِهِ شيئانِ: يُرادُ بِهِ أنَّها لوازِمُ لَهُ، فَمتى وُجدَ الإيمانُ الباطنُ وُجِدت، وهذا مَذهَبُ السلفِ وأهلِ السُّنةِ، وَيُرادُ بِهِ أنَّ الإيمانَ الباطِنَ قَد يَكونُ سَبَباً، وَقَد يَكُونُ الإيمانُ الباطِنُ تامّاً كاملاً وهي لَم تُوجَد، وَهذا قَولُ المرجِئةِ من الجهميَّةِ وغيرِهِم، وَقَد ذَكَرنا فيما تَقَدَّمَ أنَّهم غَلطوا في ثلاثَةِ أوجُهٍ. . . الثاني: ظنُّهم أنَّ الإيمانَ الذي في القَلبِ يَكونُ تامّاً بِدونِ العَمَلِ الظاهرِ، وَهذا يَقولُ بِهِ جَميعُ المرجِئةِ»[٥].

المسألةُ الثالثة: الاستثناءُ في الإيمانِ:

ومَذهبُ الشيخِ الألبانيِّ هوَ جَوازُ الاستثناءِ في الإيمانِ، فقد قالَ مُعقِّباً على حديثِ: (إذا سُئِلَ أحدُكُم: أمؤمنٌ أنتَ؟ فلا يشكّ)[٦]، قالَ

(١) يعني يزيد وينقص.
(٢) يعني المرجئة.
(٣) مجموع الفتاوى ١٢/ ٤٧٥ ـ ٤٧٦.
(٤) المصدر نفسه ٧/ ٣٩٢.
(٥) المصدر نفسه ٧/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤.
(٦) أخرجه الطبري في: تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار ٢/ ٦٦٧، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة حديث رقم ٢٦٤٣.

بعدَ أن أوردهُ وبيَّن ضعفهُ مجوِّزاً الاستثناءَ في الإيمانِ تَبَعاً لمذهَبِ السَّلفِ: «. . وهناكَ شيءٌ آخر؛ وهوَ أنَّهُ مُخالِفٌ للآثارِ السلفيَّةِ المُجمِعَةِ على أنَّ الإيمانَ يَزيدُ وَيَنقُصُ، وأن زيادتهُ بالطَّاعَةِ، وقد تفرَّعَ مِنه جَوازُ الاستثناءِ فيما إذا سُئِلَ المؤمنُ ـ كما في الآثارِ ـ هل أنتَ مؤمنٌ؟ أن يَقولَ أنا مؤمنٌ إن شاءَ الله، خِلافاً لِما في حَديثِ ابنِ بديل(١)، وذلكَ مَشروحٌ في كُتُبِ السُّنَّةِ والعَقيدَةِ»(٢).

ولم يكتَفِ الشيخُ الألبانيُّ بالقولِ بجوازِ الاستثناءِ في الإيمانِ على التفصيلِ الذي ذكرَه السَّلفُ، بل ردَّ على من لا يقولُ بذلكَ وهُمُ الحنفيةُ الذين منعوهُ مطلَقاً(٣).

قالَ شيخُ الإسلامِ ابن تيميَّة مبيِّناً أنَّ ذلك مِن عَقيدَةِ السَّلفِ: «وَصارَ الناسُ في الاستثناءِ على ثَلاثَةِ أقوالٍ: قَولٌ: إنَّهُ يَجِبُ الاستثناءُ وَمَن لم يَستَثنِ كانَ مُبتَدِعاً، وَقَولٌ: إنَّ الاستثناءَ مَحظورٌ فإنَّهُ يَقتَضِي الشكَّ في الإيمانِ، والقولُ الثالِثُ أوسطُها وأعدَلُها: أنَّه يَجوزُ الاستثناءُ باعتبارٍ وَتركُهُ باعتبارٍ، فإذا كان مَقصودُهُ أني لا أعلَمُ أني قائِمٌ بِكلِّ ما أوجبَ الله عليَّ وأنَّه يقبلُ أعمالي لَيسَ مقصودهُ الشكُّ فيما في قَلبِهِ فهذا استثناؤهُ حَسَنٌ، وَقَصدُهُ أن لا يزكِّي نَفسهُ وأن لا يَقطَع بأنَّهُ عَملَ عَملاً كما أُمِرَ فقُبِلَ مِنهُ، والذنوبُ كَثيرةٌ والنِّفاقُ مَخُوفٌ على عامَّةِ النَّاسِ، قال ابنُ أبي مُلَيكَة(٤): أدركتُ ثلاثينَ مِن أصحابِ محمَّدٍ كلُّهم يخافُ النفاقَ

---

(١) يعني الحديث الضعيف المتقدم: (إذا سئل أحدكم أمؤمن أنت ...).
(٢) السلسلة الضعيفة ٦/ ١٥٢.
(٣) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية ٥٨ ـ ٥٩.
(٤) أبو محمد عبد الله بن عبيد الله، الإمام الحجة الحافظ، حدث عن عائشة وابن عمر وابن عباس وغيرهم (ت١١٧هـ) ينظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٨٨.

على نَفسِهِ، لا يَقولُ واحدٌ مِنهم إنَّ إيمانهُ كإيمانِ جِبريلَ وميكائيلَ»[١].

قال ابن بَطَّة العُكبري[٢]: «فهذهِ سبيلُ المؤمنينَ، وَطَريقُ العُقلاءِ من العُلماءِ: **لزومُ الاستثناءِ** والخوفِ والرجاءِ، لا يَدرونَ كيفَ أحوالُهُم عِندَ اللهِ، ولا كَيفَ أعمالهم، أمَقبولةٌ هي أم مَردودَةٌ.... بِهذا مَضَت سُنَّةُ المسلمينَ، وَعَليهِ جَرَت عادتُهُم، وأَخَذَهُ خَلَفُهم عن سَلَفِهِم، فَلَيسَ يُخالِفُ الاستثناءَ في الإيمانِ ويأبى قَبولَهُ: **إلا رجلٌ خَبيثٌ مُرجِئٌ ضالٌّ**، قَد استحوَذَ الشيطانُ عَلَى قَلبِهِ، نَعوذُ بالله مِنهُ»[٣].

وَقَد بيَّن شيخُ الإسلامِ ابن تيميَّة أنَّ الذين لا يَقُولون بِجوازِ الاستثناءِ هُم المرجئةُ والجهميةُ[٤]، فَقالَ:

«وأمَّا الاستثناءُ في الإيمانِ بِقولِ الرجلِ: أنا مُؤمنٌ إن شاءَ اللهُ، فالناسُ فيهِ على ثَلاثةِ أقوالٍ: مِنهم مَن يُوجِبُهُ، وَمِنهم مَن يُحرِّمُهُ، ومِنهم من يجوِّزُ الأمرين باعتبارينِ، وهذا أصحُّ الأقوالِ، فالذين يحرِّمونهُ هم المرجئةُ والجهميةُ»[٥].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/ ٤٠ ـ ٤١. وينظر ما بعدها من الصفحات.

(٢) أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري، الشيخ الإمام الفقيه المحدث، كان على مذهب أحمد بن حنبل، (ت٣٨٧هـ) ينظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٠/ ٣٧١.

(٣) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة لابن بطة العكبري ٢/ ٨٧٢.

(٤) هم أتباع جهم بن صفوان، فرقة ضلالة، قالوا بخلق القرآن وفناء الجنة والنار وأن الله لا يعلم ما يكون حتى يكون ونفوا الصفات، كفرهم عامة السلف، ينظر: التبصير في الدين وبيان الفرقة الناجية١/ ١٠٧.

(٥) مجموع الفتاوى ٧/ ٤٢٩.

وقال كذلك: «الاستثناءُ في الإيمانِ سُنَّةٌ عِند أصحابنا وأكثرِ أهلِ السنةِ، وقالت المرجئةُ والمعتزلةُ: لا يَجُوزُ الاستثناءُ فيهِ بَل هُوَ شَكٌّ»[١].

المسألة الرابعة: التلازمُ بينَ الظاهرِ والباطنِ:

ويرى الشيخُ الألبانيُّ رحمه الله أنَّه يجبُ التلازمُ بينَ الظاهرِ والباطنِ، فإذا كَانَ في القلبِ إيمانٌ صحيحٌ يجبُ أن تظهرَ ثَمَرتُهُ على الجوارحِ[٢].

وَيَظهَرُ مذهبُهُ في التلازُمِ بَينَ الظاهرِ والباطنِ واضحاً جَليّاً في مُناظرتِهِ لِرجُلٍ في مَسائلِ الإيمانِ حَيثُ قَالَ رحمه الله: «. . .أنا لا أزالُ أقولُ: إنَّ هناكَ ارتباطاً وَثيقاً جِدّاً بينَ قَلبِ المؤمنِ وَجَسدهِ . . . كما أنَّ صَلاحَ القَلبِ من النَّاحيةِ الماديَّةِ لهُ ارتباطٌ بِصلاحِ البدنِ، فإنني لا أستطيعُ أن أتصوَّرَ رَجُلاً مَريضَ القلبِ وَيَكون صَحيحَ البدنِ !! لا أستطيعُ أن أتصوَّر هذا، كذلكَ الأمرُ تَماماً فيما يَتعلَّق بالناحيةِ الإيمانيةِ، لا أستطيعُ أن أتصوَّر مُؤمناً وَقد كَانَ كافراً ثم آمنَ باللهِ وَرَسولِهِ حَقّاً، مُستحيلٌ أن أَتصوَّر أنَّهُ سَيَبقى كَما كانَ، والسَّببُ أنَّ الإيمانَ ـ كما قُلنا ـ يَزيدُ وَيَنقُصُ»[٣].

وقالَ الشَّيخُ الألبانيُّ مُعلِّقاً على حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه: (إنَّ الله لا يَنظُرُ إلى أجسامِكُم ولا إلى أحسابكم ولكن يَنظُر إلى قُلوبِكُم، فمن كانَ له قلبٌ صالحٌ تَحنَّنَ الله عَليهِ فإنما أنتُم بنو آدم وأَحَبَّكُم إلي أتقاكُم)[٤]

(١) المصدر نفسه ٧/ ٦٦٦.

(٢) ينظر: رياض الصالحين للنووي بتحقيق الألباني ١٤ ـ ١٥.

(٣) دلائل البرهان ١٩.

(٤) مسند الشاميين للطبراني ٢/ ٤٤٨.

قالَ رَحِمَهُ اللهُ: «وزادَ مُسلمُ وغيرُهُ ـ في روايةٍ ـ : (وأعمالِكُم)[١] . . . . وهذهِ الزِّيادةُ هامَّةٌ جِدّاً؛ لأنَّ كثيراً من الناسِ يَفهَمونَ الحديثَ بِدونِها فَهماً خاطِئاً؛ فإذا أنتَ أمرتَهم بما أمرهُم به الشَّرعُ الحكيمُ مِن مِثلِ إعفاءِ اللِّحيَةِ، وَتَركِ التشبُّهِ بالكفَّارِ، وَنحوِ ذلك من التكاليفِ الشرعيَّةِ، أجابوكَ: بأنَّ العُمدةَ على ما في القلبِ، واحتجُّوا على زَعمِهم بِهذا الحديثِ، دونَ أن يَعلَموا بِهذهِ الزّيادةِ الصحيحةِ الدَّالَّةِ على أنَّ اللهَ ـ تبارك وتعالى ـ يَنظُر أيضاً إلى أعمالهم، فإن كانت صالحةً قَبِلَها وإلا رَدَّها عليهِم، كما تَدلُّ على ذلك عَديدٌ من النُّصوصِ؛ كَقولهِ ﷺ: (**من أحدَثَ في أمرِنا هذا ما ليسَ مِنه فهُوَ ردٌّ**)[٢].

والحقيقةُ أنَّه لا يُمكنُ تَصوُّرُ صَلاحِ القُلوبِ إلا بِصلاحِ الأعمال، ولا صَلاحُ الأعمالِ إلا بِصلاحِ القُلوبِ.

وقد بيَّن ذلك رسولُ الله ﷺ أجملَ بيانٍ في حديثِ. . : (. . . . **ألا وإنَّ في الجسدِ مُضغةً؛ إذا صَلَحت صَلَح الجسدُ كُلُّهُ؛ وإذا فَسَدت فَسَد الجسدُ كُلُّهُ، ألا وهيَ القَلبُ**)[٣]، وَحَديثُهُ الآخر: (**لَتُسَوُّنَّ صُفوفَكُم أو لَيُخالِفَنَّ اللهُ بينَ وُجوهِكُم**)[٤]، أي: قُلوبِكُم. . . »[٥].

وَقالَ رَحِمَهُ اللهُ مُعلِّقاً على حديث: (**أقيموا صُفوفَكُم ـ ثلاثاً ـ ، والله**

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، بَاب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ. . . ١٩٨٧/٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب البيوع، بَاب النَّجْشِ. . ٢/ ٧٥٣.

(٣) المصدر نفسه، كتاب الإيمان، بَاب فَضْلِ من اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ ١/ ٢٨.

(٤) المصدر نفسه،كتاب الجماعة والإمامة، بَاب تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ عِنْدَ الْإِقَامَةِ. . . ٢٥٣/١.

(٥) رياض الصالحين ١٤ ـ ١٥.

لَتُقيمُنَّ صُفوفَكُم أو لَيُخالِفَنَّ بَين قُلوبِكُم)، قالَ ﷺ عَقِبَ إيرادِهِ: «في الحديثِ دَليلٌ واضِحٌ على أمرٍ لا يَعلَمُه كَثيرٌ من النَّاسِ، وإن كانَ صَارَ مَعروفاً في عِلمِ النَّفسِ، وَهو أنَّ فَسادَ الظَّاهرِ يؤثِّرُ في فَسادِ الباطِنِ، والعكسُ بالعكسِ، وفي هذا المعنى أحاديثُ كَثيرةٌ، لَعلَّنا نَتَعرَّضُ لجمعِها وتخريجِها في مُناسبةٍ أخرى إن شاءَ الله تعالى»[١].

قال شيخُ الإسلامِ ابن تيميَّة: «فإذا كانَ القَلبُ صالحاً بما فيهِ من الإيمانِ عِلماً وَعَمَلاً قلبيّاً، لَزِمَ ضَرورةً صَلاحُ الجسدِ بالقولِ الظاهرِ، والعَملُ بالإيمانِ المطلقِ كما قالَ أئمَّةُ أهلِ الحديثِ: قولٌ وعملٌ؛ قولٌ باطنٌ وظاهرٌ، وَعَمَلٌ باطنٌ وظاهرٌ، والظاهرُ تابعٌ للباطنِ لازمٌ لهُ مَتى صَلحَ الباطنُ صَلحَ الظاهرُ وإذا فَسَدَ فَسَدَ، ولهذا قالَ مَن قالَ من الصَّحابةِ عن المُصلِّي العابِثِ: لو خَشَعَ قَلبُ هذا لخشَعَت جَوارِحُهُ، فلا بُدَّ في إيمانِ القلبِ مِن حُبِّ الله وَرَسولِهِ»[٢].

وقالَ كذلكَ في موضعٍ آخرَ: «لا يُتصوَّرُ في العادةِ أنَّ رَجُلاً يكُونُ مُؤمناً بِقلبِهِ، مُقرّاً بأنَّ الله أوجبَ عليهِ الصلاةَ، مُلتزِماً لِشريعةِ النبي ﷺ وما جَاءَ بِهِ، يأمُرُهُ وليُّ الأمرِ بالصَّلاةِ فَيمتَنِعُ حَتى يُقتَلَ، وَيَكون مع ذلكَ مُؤمِناً في الباطِنِ، ولا يَكُونُ إلا كافِراً.

وَلَو قالَ: أنا مُقرٌّ بوجوبها غَيرَ أني لا أفعلُها كانَ هذا القولُ مَعَ هذهِ الحالِ كَذِباً مِنهُ، كما لو أخَذَ يُلقي المصحَفَ في الحشِّ وَيَقولُ: أشهدُ أنَّ ما فيهِ كلامُ الله، أو جَعَلَ يَقتلُ نبيّاً مِن الأنبياءِ وَيَقولُ: أشهدُ أنَّهُ رَسولُ الله، وَنحو ذلك من الأفعالِ التي تُنافي إيمانَ القلبِ.

(١) السلسلة الصحيحة ١/ ٣١.

(٢) مجموع الفتاوى ٧/ ١٨٧.

فإذا قالَ: أنا مؤمنٌ بِقلبي معَ هذهِ الحالِ، كان كاذباً فيما أظهرَهُ من القولِ، فهذا الموضِعُ يَنبغي تَدَبُّرُهُ، فَمَن عَرَفَ ارتِباطَ الظـاهرِ بالباطنِ زالت عَنه الشُّبهةُ في هذا البابِ»(١).

وَقال ﷺ: «فَتبيَّن أنَّ الأعمالَ الظاهرةَ الصالحةَ لا تَكونُ ثَمَرةً للإيمانِ الباطنِ وَمَعلُولةً لهُ إلا إذا كانَ مُوجباً لها وَمُقتَضياً لها، وحينئذٍ فالموجِبُ لازِمٌ لموجِبِهِ والمعلولُ لازمٌ لعلَّتهِ، وإذا نَقَصَت الأعمالُ الظاهرةُ الواجبةُ كان ذلكَ لِنقصِ ما في القَلبِ من الإيمانِ، فلا يُتصوَّرُ معَ كَمالِ الإيمانِ الواجبِ الذي في القلبِ أن تُعدَمَ الأعمالُ الظاهرةُ الواجِبةُ، بَل يَلزَمُ من وُجُودِ هذا كامِلاً وُجُودُ هذا كامِلاً، كما يَلزَمُ من نَقصِ هذا نَقصُ هذا، إذ تَقديرُ إيمانٍ تامٍّ في القلبِ بلا ظاهرٍ مِن قولٍ وَعَملٍ؛ كتقديرِ مُوجبٍ تامٍّ بلا مُوجبهِ، وعلَّةٍ تامَّةٍ بلا مَعلـولِها، وهذا مُمتَنِعٌ»(٢).

قالَ ابنُ القَيِّم(٣): «قاعدةٌ: الإيمانُ لَهُ ظاهرٌ وباطنٌ، وظاهرهُ قولُ اللِّسانِ وَعَمَلُ الجوارحِ، وباطِنهُ تصديقُ القلبِ وانقيادُهُ ومحبَّتهُ، فلا يَنفَعُ ظاهرٌ لا باطِنَ لَهُ وإن حُقِنَ بهِ الدِّماءُ وعُصِمَ بِهِ المالُ والذُّريَّةُ، ولا يُجزئُ باطنٌ لا ظاهِرَ لَهُ؛ إلا إذا تَعَذَّرَ بِعَجزٍ أو إكراهٍ وَخَوفِ هَلاكٍ، فَتَخَلُّفُ العملِ ظاهراً مَعَ عَدَمِ المانعِ دَليلٌ على فَسادِ الباطنِ وخُلُوِّهِ من الإيمانِ، وَنَقصُهُ دليلُ نَقصِهِ وقوَّتُهُ دليلُ قوَّتهِ، فالإيمانُ قَلبُ الإسلامِ

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ٦١٥.
(٢) المصدر نفسه / ٥٨١ ـ ٥٨٢. وينظر المصدر نفسه: ٧/ ٣٦٤، ٤٧٢، ٥٠٦، ٦١٦، ٦٧٢.
(٣) محمد بن أبي بكر، الإمام العلم المحقق، تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، صاحب المؤلفات البديعة (ت٧٥١هـ) ينظر: طبقات المفسرين ١/ ٢٨٤.

ولبُّهُ، واليقينُ قَلبُ الإيمانِ ولبُّهُ، وكلُّ عِلمٍ وعَمَلٍ لا يَزيدُ الإيمانَ واليقينَ قوَّةً فَمَدخولٌ، وكلُّ إيمانٍ لا يَبعثُ على العَملِ فَمَدخولٌ»[١].

وأما قَولُ المرجئةِ؛ فَقَد قالَ شيخُ الإسلامِ ابن تيميَّة: «الوجهُ الثاني من غَلطِ المرجئةِ: ظنُّهم أنَّ ما في القَلبِ من الإيمانِ لَيسَ إلا التصديق فَقَط دونَ أعمالِ القُلوبِ، كما تَقدَّم عن جَهميَّة المرجئةِ، الثالث: ظنُّهم أنَّ الإيمانَ الذي في القَلبِ يَكونُ تامّاً بِدونِ شيءٍ من الأعمالِ، ولهذا يَجعَلونَ الأعمالَ ثَمرَةَ الإيمانِ وَمُقتضاهُ بِمَنزلةِ السَّببِ مع المسبّبِ، ولا يَجعَلونَها لازِمةً لهُ، والتحقيقُ أنَّ إيمانَ القلبِ التَّامِّ يَستَلزِمُ العملَ الظاهرَ بِحَسَبِهِ لا مَحَالةَ، وَيَمتَنِعُ أن يَقومَ بالقلبِ إيمانٌ تامٌّ بِدونِ عَمَلٍ ظاهرٍ»[٢].

المسألة الخامسة: أثر المعاصي في نقص الإيمان:

ويرى الألبانيُّ ﷺ **أنَّ الفاسِق من أهل الملَّةِ ضعيفُ الإيمانِ ويُخشى عليهِ الكفرُ**، فقالَ ﷺ بعد أن ردَّ حَديثاً ضَعيفاً: «ولا أعتقدُ أنَّ أحداً من العُلماءِ المُعتَبَرينَ يُكَفِّر من تَرَكَ صَومَ رمضانَ مَثَلاً غيرَ مُستَحِلٍّ لهُ[٣]، خِلافاً لما يُفيدُهُ ظاهرُ الحديثِ والله أعلم، **وممّا لا شَكَّ فيهِ أنَّ التساهلَ في أداءِ رُكنٍ واحدٍ من هذهِ الأركانِ الأربعةِ العمليَّة مما يُعرِّضُ فاعلَ ذلكَ للوقوعِ في الكفرِ**، كما أشارَ إلى ذلكَ قولُه ﷺ: (بينَ الرَّجُلِ وبين الكُفرِ والشِّركِ تَركُ الصَّلاةِ)[٤] فيُخشى على من تَهاونَ بالصَّلاةِ أن

---

(١) الفوائد لابن القيم ١/ ٨٥.
(٢) مجموع الفتاوى ٧/ ٢٠٤.
(٣) أي: مستحلاً للترك.
(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَاب بَيَانِ إِطْلَاقِ اسْمِ الْكُفْرِ على من تَرَكَ الصَّلَاةَ ١/ ٨٨.

يَموتَ على الكُفرِ والعياذُ بالله تعالى»[١].

وقالَ الشَّيخُ الألبانيُّ شارحاً وَمُعلِّقاً على قَولِ الإمامِ الطَّحاويِّ[٢]: «ولا نَقولُ لا يَضرُّ معَ الإيمانِ ذَنبٌ لِمَن عَمِلَهُ»، قالَ رَحِمَهُ اللهُ: «قُلتُ: وذلكَ لأنَّه مِن قَولِ المرجِئةِ المؤدِّي إلى التكذيبِ بآياتِ الوعيدِ وأحادِيثِه الوارِدَةِ في حَقِّ العُصاةِ من هذه الأمَّةِ، وأنَّ طَوائِفَ مِنهم يَدخُلونَ النَّارَ ثم يَخرُجونَ مِنها بالشَّفاعةِ أو بِغَيرِها»[٣].

قال شيخُ الإسلامِ ابن تيميَّة مُبيِّناً مَنهجَ السَّلفِ في ذلك: «ومِن أُصولِ أهلِ السُّنة: أنَّ الدِّينَ والإيمانَ قَولٌ وَعَمَلٌ، قَولُ القلبِ واللِّسانِ، وَعملُ القلبِ واللِّسانِ والجوارحِ، وأنَّ الإيمانَ يَزيدُ بالطَّاعةِ وَينقُصُ بالمعصيةِ، وَهم مَعَ ذلكَ لا يُكفِّرونَ أهلَ القِبلةِ بمُطلَقِ المعاصي، والكبائرِ كما يَفعَلُهُ الخوارجُ، بل الأخوَّةُ الإيمانيَّةُ ثابِتَةٌ مع المعاصي كَما قالَ سُبحانهُ وتعالى في آيةِ القَصاصِ: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وقال: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ﴾ [الحجرات: ٩ - ١٠]، ولا يسلبونَ الفاسِقَ المِلِّيَّ[٤] اسم الإيمانِ بالكليَّةِ، ولا يخلِّدونهُ في النارِ كما تقولُهُ المعتزِلةُ،

---

(١) السلسلة الضعيفة ١/ ٢١٢.

(٢) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الازدي، الإمام العلامة الحافظ صاحب التصانيف البديعة، وكتابه في العقيدة مشهور متداول، (ت٣٢١هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ٣/ ٨٠٨، طبقات المفسرين ١/ ٥٩.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية: ٦١/ هامش ١.

(٤) أي من أهل الملَّة.

بل الفاسِقُ يدخلُ في اسم الإيمانِ في مثلِ قولهِ تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، وقد لا يدخلُ في اسم الإيمانِ المطلقِ كما في قولهِ تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]، وَقولهُ ﷺ: **(لا يَزنى الزاني حينَ يَزنى وهُوَ مؤمنٌ، ولا يَسرِقُ السارقُ حينَ يَسرِق وهوَ مؤمنٌ، ولا يَشرَبُ الخمرَ حين يَشربُها وهوَ مؤمنٌ، ولا يَنتَهِبُ نهبةً ذاتَ شَرفٍ يَرفعُ الناسُ إليهِ فيها أبصارهُم حين يَنتهِبُها وهوَ مؤمِنٌ)**[١]، ويقولونَ: هو مؤمنٌ ناقصُ الإيمانِ، أو مؤمنٌ بإيمانِهِ فاسِقٌ بكبيرتِهِ، فلا يُعطى الاسمَ المطلقَ ولا يُسلَبُ مطلقَ الاسمِ»[٢].

أمَّا قولُ المرجئةِ؛ فقد قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة: «وهم[٣] في بابِ الأسماءِ والأحكامِ والوعدِ والوعيدِ: وَسَطٌ بين الوعيديَّةِ الذين يَجعلونَ أهلَ الكبائرِ من المسلمينَ مُخلَّدينَ في النَّار ويُخرِجونهم مِن الإيمانِ بالكليَّةِ، وَيُكَذِّبونَ بِشفاعةِ النبيِّ ﷺ، وبينَ المرجئةِ الذين يَقولونَ: إيمانُ الفُسَّاقِ مِثلُ إيمانِ الأنبياء»[٤].

وقالَ أيضاً: «وَمَذهَبُ أهلِ السُّنةِ والجماعةِ أنَّ فُسَّاق أهلِ الملَّةِ ليسوا مخلَّدين في النَّارِ كما قالتِ الخوارجُ والمعتزلةُ، وليسوا كامِلينَ في الدِّين والإيمانِ والطاعةِ[٥]، بل لهم حَسناتٌ وسيئاتٌ، يَستَحِقُّونَ بِهذا العِقابَ وبِهذا الثَّوابَ»[٦].

---

(١) تقدم تخريجه ص ٦١.
(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ١٥١ ـ ١٥٢.
(٣) أي أهل السنة.
(٤) مجموع الفتاوى ٣/ ٣٧٤.
(٥) كما قالت المرجئة.
(٦) مجموع الفتاوى ٧/ ٦٧٩.

فهل يُقبَلُ ـ بَعد كُلِّ هذهِ النُّقولِ عن الشَّيخِ الألبانيِّ الموافِقَةِ لِمَذهبِ السَّلفِ في الإيمانِ ـ قَولُ أحدٍ ـ كائناً من كانَ ـ بأنَّ الشَّيخَ الألبانيَّ مُرجِئٌ، أو أنَّ عَقيدَتَهُ فيها إرجاءٌ؟!

ولكنَّها العَداوةُ لأهلِ الحديث، في القَديم والحديث، وَمَن تَناولَ العلماءَ بالطَّعنِ والثَّلب، ابتلاهُ الله قَبلَ مَوتهِ بِمَوتِ القَلب، وَلَقَد أحسَنَ القائلُ:

كناطِحٍ صخرةً يوماً لِيوهِنَها فَلم يَضِرها وأوهى قَرنَهُ الوَعِلُ[1]

ولا يَفوتُني في هذا المقامِ أن أُورِد هذه الكلِمَةِ الذهبيَّةِ لِعَلَم مِن أعلامِ السُّنَّةِ في زَمَنِنَا، **ألا وهو الشيخُ المحقِّق مُحمَّد بن صالح بن عُثيمين** رَحِمَهُ اللهُ عندما سُئِل عن الألبانيِّ: هل قَولهُ في مَسائِلِ الإيمانِ قولُ المرجئةِ؟ فأجابَ رَحِمَهُ اللهُ جَوابَ من يعرِفُ الفَضلَ لأهلِهِ، فَقالَ: «أقولُ كما قال الأوَّل:

أقِلُّوا عَلَيهِم لا أبا لأبيكُمُ من اللَّومِ أو سُدُّوا المكانَ الَّذي سَدُّوا[2]

الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ **عالمٌ، مُحدِّثٌ، فَقيهٌ**، وإن كانَ مُحدِّثاً أقوى منهُ فَقيهاً، ولا أعلَمُ لَهُ كَلاماً يدلُّ على الإرجاءِ أبداً، **لكنَّ الذين يُريدونَ أن يُكفِّروا الناسَ** يَقولونَ عَنهُ، وَعن أمثالِه: إنَّهم مُرجئةٌ، فَهُوَ مِن بابِ التَّلقيبِ بألقابِ السُّوءِ.

وأنا أشهدُ للشيخِ الألبانيِّ رَحِمَهُ اللهُ بالاستقامَةِ، وَسلامةِ المُعتقدِ، وحُسنِ المقصدِ، وَلكن مَعَ ذلكَ لا نَقولُ إنهُ لا يُخطئ، لأنَّه لا أحدَ مَعصومٌ إلا الرسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ»[3].

---

(١) البيت للأعشى كما في: سر الفصاحة، لسعيد بن سنان الخفاجي ١/ ١٥٥.
(٢) البيت للحطيئة كما في: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، للبغدادي ٤/ ٩٨.
(٣) الأسئلة القطرية ٢٤ ـ ٢٦.

وقال الشيخ ابن عُثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في مَوضعٍ آخر: «مَن رَمى الشيخَ الألبانيَّ بالإرجاءِ: فَقد أخطأَ، إما أنَّه لا يَعرِفُ الألبانيَّ، وإما أنه لا يَعرِفُ الإرجاءَ[١].

الألبانيُّ رَجُلٌ مِن أهلِ السُّنةِ رَحِمَهُ اللَّهُ، **مُدافعٌ عنها، إمامٌ في الحديثِ، لا نَعلمُ أنَّ أحداً يُبارِيهِ في عصرنا**، لكنَّ بعضَ الناسِ ـ نسألُ الله العافيةَ ـ يَكونُ في قَلبِهِ حِقدٌ، إذا رأى قَبولَ الشَّخصِ ذَهَبَ يلمِزُهُ بشيءٍ؛ كَفِعلِ المنافقينَ الذينَ يَلمِزُونَ المُطَوِّعينَ من المؤمنينَ في الصَّدَقاتِ، والَّذينَ لا يَجِدونَ إلا جُهدَهم، يَلمِزونَ المُتصدِّق المُكثِرَ من الصَّدقَةِ، والمُتصدِّق الفَقيرَ.

الرجلُ رَحِمَهُ اللَّهُ نَعرِفُهُ من كُتُبِهِ، وأعرِفهُ بِمُجالَسَتِهِ ـ أحياناً ـ: **سَلفيُّ العَقيدةِ، سليمُ المنهجِ، لكنَّ بعضَ النَّاس يُريدُ أن يُكفِّرَ عِبادَ الله بما لم يكفِّرهُمُ الله بِهِ، ثُمَّ يَدَّعي أنَّ مَن خالفهُ في هذا التَّكفيرِ بأنَّه مُرجئٌ ـ كَذِباً وزوراً وبُهتاناً** ـ لذلك لا تَسمَعوا لهذا القولِ مِن أيِّ إنسانٍ صَدَرَ»[٢].

فَهذا نَقلٌ عَزيزٌ عَن إمامٍ فَريدٍ من أئمَّةِ أهلِ السنَّةِ في الوقتِ الحاضِرِ، والناظرُ بِعينِ التأمُّلِ في كَلامِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ يجِدُ أنَّه قَد نَبَّهَ على أمرٍ مُهِمٍّ؛ بل هُوَ سِرُّ المسألةِ وَعَليهِ تَدورُ رَحاها، وذلك قَولُه ـ منبِّهاً إلى السَّببِ الذي رُمِيَ الألبانيُّ مِن أجلِهِ بالإرجاءِ ـ: «**لكنَّ بَعضَ الناسِ يُريدُ أن يُكفِّرَ عبادَ الله بما لم يُكفِّرهم الله بِهِ، ثُمَّ يَدَّعي أنَّ من خَالفهُ في هذا التَّكفيرِ فهو مُرجئٌ ـ كَذِباً وزُوراً وَبُهتاناً ـ** ....»، فهذا هو سِرُّ المسألةِ، وإلا: فَمَذهبُ الشيخِ الألبانيِّ واضِحٌ جَليٌّ، لا خَفاءَ بِهِ ولا

---

(١) قال الشيخ علي الحلبي: أو أنه لا يعرف الاثنين! وهذا هو واقع هؤلاء بلا لبس ولا مَين. [التعريف والتنبئة ١٤٤ ـ هامش (٣)].

(٢) التعريف والتنبئة ١٤٤.

غُموضَ، فهذِهِ أقوالُه الموافقةُ لأقوالِ السَّلفِ ظاهرة، وَرُدودُهُ على المرجئةِ غالبةٌ قاهرة، ولكنَّ الشيخَ رَحِمَهُ اللهُ كانَ ـ ولا زال[١] ـ شَوكةً في حُلُوقِ أهلِ التَّكفِير والتَّفجِير والضَّلال، فَلَقَد بيَّنَ عَوارَهُم، وَكَشَفَ زيفَهُم، حتَّى عَرَفَهُم القَريبُ والبَعيد، والذَّكيُّ والبَليد، فَناصبوهُ العداء، واتَّهمُوه ـ زوراً وباطلاً ـ بالإرجاء.

قال الشَّيخُ الألبانيُّ رادّاً على ابن نُجَيم الحنفيِّ عندما أخرجَ الأعمالَ عن مُسمَّى الإيمانِ: «وهذا يُخالِفُ ـ صراحةً ـ حديثَ أبي هُريرةَ، أنَّ رسولَ الله ﷺ سُئل: أي العَملِ أفضلُ؟ قالَ: «إيمانٌ بالله ورسولِهِ . . . .» الحديث، أخرجهُ البخاريُّ وَغَيرُهُ، وفي مَعناهُ أحاديث أخرى . . . وَقد فَصَّلَ شَيخُ الإسلام ابن تيميَّة وَجهَ كَونِ الأعمالِ من الإيمانِ، وأنَّه يَزيدُ وَينقصُ ـ بما لا مَزيدَ عليهِ ـ في كتابِ (الإيمان) فَليُراجِعهُ من شاءَ البسطَ، **أقولُ: هذا ما كُنتُ كَتبتُهُ مُنذُ أكثرَ من عِشرينَ عاماً، مُقرِّراً مذهبَ السَّلفِ، وَعَقيدةَ أهلِ السُّنةِ ـ ولله الحمد ـ في مَسائلِ الإيمانِ،** ثم يأتي ـ اليومَ ـ بعضُ الجَهلةِ الأغمارِ، والنَّاشِئَةِ الصِّغارِ، فَيَرمونَنا بالإرجاءِ !! فإلى الله المُشتكى مِن سُوءِ ما هُم عَلَيهِ من جَهالةٍ وَضَلالَةٍ وَغُثاءٍ»[٢].

وَقالَ في مَعرِض رَدِّه على سَفَر الحوالي لما اتَّهمهُ بالإرجاءِ:

« . . .مَعَ أنَّهُ يَعلَمُ أني أُخالِفهم[٣] مُخالفةً جَذريةً، فأقولُ: الإيمانُ يَزيدُ وينقصُ، وأنَّ الأعمالَ الصالحةَ من الإيمانِ، وأنَّهُ يَجوزُ الإستثناءُ

(١) بمؤلفاته التي ملأت الدنيا؛ وأشرطته التي انتشرت في الآفاق.
(٢) الذب الأحمد عن مسند الإمام أحمد ٣٣ ـ هامش (١).
(٣) أي المرجئة.

فيهِ، خلافاً للمرجئةِ، وَمَع ذلك رَماني أكثرَ مِن مَرةٍ بالإرجاءِ، فَقَلَبَ بذلكَ وصيَّةَ الرسولِ ﷺ: (وأتْبِعِ السيِّئَةَ الحسَنَةَ تَمْحُها[١]))»[٢].

قالَ الشيخُ علي الحلبيّ: «ولمَّا كنتُ أقرأ على شيخِنا العلامةِ أبي عبد الرحمن مُحمَّد ناصرُ الدين الألبانيّ رَحِمَهُ اللَّهُ كَلامَهُ في مَسألةِ الحُكمِ بغيرِ ما أنزل اللهُ، مِن كتابي: (التحذير)، وَوَصَلَ بنا القولُ إلى تَكفيرِ مَن يَرى أنَّ ذلك هو الحُكمَ اللائقَ تَبنِّيهِ في هذا العَصرِ، وأنَّهُ لا يَليقُ بِهِ تَبنِّيهِ للحُكمِ الشرعيِّ، مُبيِّناً ـ رحمة الله عليه ـ أنَّ ذلك كُفرٌ اعتقاديٌّ مُخرِجٌ من الملةِ؛ فقال رَحِمَهُ اللَّهُ مُعلقاً:

«ثم يُلقِّبُنا هؤلاءِ ـ بالباطلِ ـ مُرجئةَ العصرِ!!»[٣].

* * *

(١) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة ٤/ ٣٥٥.

(٢) السلسلة الصحيحة ٧/ ١٥٣ ـ ١٥٤.

(٣) التعريف والتنبئة ١٠٨.



الفصل الثاني

الإيمان باللَّه تعالى

المبحث الأول: الإيمان بوجود اللَّه تعالى وربوبيته

المبحث الثاني: الإيمان بألوهيته تعالى

المبحث الثالث: الإيمان بأسمائه تعالى وصفاته

تمهيد

لَقد قسَّمَ العُلماءُ من أهلِ السُّنةِ الإيمانَ بالله (التوحيد) إلى ثَلاثةِ أقسامٍ:

القسمُ الأوَّلُ: الإيمانُ بربوبيتِهِ تَعالى (توحيدُ الرُّبُوبيَّةِ):

وهذا هوَ القِسمُ الأوَّلُ مِن أقسامِ التوحيدِ، وَمَعناهُ: الإقرارُ بأنَّ الله عزَّ وجلَّ هو رَبُّ كُلِّ شيءٍ وَمَليكُهُ وَخالِقُهُ ورازِقُهُ، وأنَّهُ المُحيي والمُميتُ، والنافِعُ والضَّارُّ، وهو المتفرِّدُ بإجابةِ المضطرِّ، بيدِهِ الضرُّ والنفعُ، والعطاءُ والمنعُ، إليهِ يُرجَعُ الأمرُ كُلُّه، لا شَريكَ لَهُ في ذلكَ.

القسم الثاني: الإيمانُ بألوهيتِهِ تعالى (توحيدُ الألوهيَّةِ):

وهُوَ إفرادُ الله عزَّ وجلَّ بالمحبةِ والذُّلِّ، والخضوعِ والخُشُوعِ، والسُّجودِ والرُّكوعِ، والذَّبحِ والنَّذرِ، وَصرفِ سائِرِ أنواعِ العبادةِ لهُ وَحدَهُ لا شَريكَ لَهُ.

القِسمُ الثالثُ: الإيمانُ بأسمائِهِ وصِفاتِهِ (توحيدُ الأسماءِ والصِّفاتِ):

وهو إثباتُ ما أثبتَهُ الله لِنفسِهِ في كِتابِهِ، وما أثبتَهُ لَهُ رسولُهُ ﷺ من الأسماءِ والصِّفاتِ، على الوجهِ الذي يَليقُ بِهِ سُبحانهُ وتعالى، والإيمانُ بِها، مِن غَيرِ تَحريفٍ ولا تَعطيلٍ، ولا تَكييفٍ ولا تَمثيلٍ.

وهذا التقسيمُ للتوحيدِ قد امتلأت بِهِ كُتُبُ سَلفِ هذهِ الأمةِ؛ بالتَّصريحِ تارةً وبالإشارةِ تارةً أخرى، فَمِمَّن ذكرَ أقسامَ التوحيد الثلاثةِ ـ على سَبيلِ التمثيلِ لا الحصرِ ـ: الإمامُ أبو حنيفةَ في كتابِهِ «الفقهِ الأبسطِ»، وابن مِندة في كتابِهِ «التوحيد» نَقلاً عن أبي يوسُف صاحِبِ أبي حَنيفَةَ، والحافِظُ أبو القاسِمِ الأصبهانيّ في كتابِهِ «الحجّة»، والطَّبريُّ في «التفسير»، والطحاويُّ في «الطحاوية»، وابنُ حِبَّانَ في كِتابِهِ «روضَةُ العُقلاءِ»، وابن أبي زيدٍ القيرواني، وابن بطَّةَ العكبريّ في كِتابِهِ «الإبانة»، وأبو بكرٍ محمدِ بن الوليدِ الطرطوشيّ في كِتابِهِ «سِراجُ الملوكِ»، والقرطبيّ في «التفسيرِ»، ناهيكَ عن كُتُبِ شيخِ الإسلامِ ابن تيميَّة وَتِلميذِهِ ابن القيِّم ومُحمَّد بن عبدِ الوهَّابِ، وَقد ذَكَرَ العلامةُ الشنقيطيُّ في «أضواءِ البيانِ» أنَّ هذهِ الأقسامَ الثلاثَةَ حَقيقةٌ شَرعيةٌ مَعلومةٌ بالاستِقراءِ، وهذا التقسيمُ للتَّوحيدِ لدى علماءِ السَّلَفِ هُوَ استقراءٌ تامٌّ لنُصوصِ الشرعِ، وَهو مُطَّردٌ لَدى أهلِ كُلِّ فَنٍّ، كما في استقراءِ النُّحاةِ كلامَ العَرَبِ إلى اسمٍ وفِعْلٍ وحرْفٍ، والعَربُ لم تَفُهْ بِهذا، ولم يَعتِب على النُّحاةِ في ذلك عاتِبٌ، وهكذا مِن أنواعِ الاستقراءِ[1].

وهذه الأقسامُ الثلاثةُ دَعا إليها الشَيخُ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في مُحاضراتِهِ ودُروسِهِ، وفي كُتُبِهِ ومُصنَّفاتِهِ، ومن جُملَةِ كُتُبِهِ التي دعا فيها إلى هذهِ الأقسامِ الثلاثَةِ:

١ ـ (التوسُّل).

٢ ـ (التوحيدُ أولاً يا دُعاةَ الإسلامِ).

---

(١) ينظر لزيادة التفصيل: المختصر المفيد في دلائل أقسام التوحيد لعبد الرزاق بن عبد المحسن العباد ٣٠ ـ ٤٧.

٣ ـ (تحذيرُ الساجِدِ من اتخاذِ القبورِ مساجِدَ).

٤ ـ (الآياتُ البيِّناتُ) تعليقٌ وتخريجٌ.

٥ ـ (مُختَصَرُ العُلوّ).

٦ ـ تعليقُهُ على (رفعِ الأستارِ) للأميرِ الصنعانيِّ.

٧ ـ السلسلتينِ: الصحيحة والضعيفة.

٨ ـ شَرحُ العقيدةِ الطَّحاويَّةِ.

أما كَلامُهُ عن التوحيدِ في مَجالِسِهِ ومُحاضراتِهِ، فالمتتبِّعُ لها يعرِفُ ـ يقيناً ـ حِرص الشيخِ رَحِمَهُ اللهُ على تَقريرِ عَقيدةِ التوحيدِ والدفاعِ عَنها.

وَقد جَاءَ كلامُ الشيخُ الألبانيُّ في تقسيمِهِ للتوحيدِ مُطابقاً ـ تَماماً ـ لتقسيمِ العُلماءِ المتقدِّمينَ، فَقَد قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

«احفظوا هذا وتفقَّهوا فيهِ: **التوحيد ثَلاثَةُ أقسامٍ**:

تَوحيدُ الربوبيَّةِ: وهذا لا بُدَّ مِنهُ، لكنَّ المشركينَ لَمَّا آمنوا بِهِ، ما أفادهُم شيء، لا يَتِمُّ التوحيدُ إلا بالثَّاني والثالثِ:

الثاني: توحيدُ العبادَةِ: أن لا تَعبُدوا غيرَ الله إطلاقاً بأيِّ شيء، ولو بالحَلِفِ بغيرِ الله، وما أكثَرَ ما يَقَعُ الحَلِفُ بغيرِ الله.

التوحيدُ الثالثُ: هو أن توحِّدوا الله في أسمائِهِ وفي صِفاتِهِ، فلا تَصِفونَ بَشَراً من البَشَرِ بِصِفةٍ من صِفاتِ الله، مِنها: أن لا تظنُّوا أنَّ أحداً من المُصْطَفَيْنَ الأخيارِ يَعلَمُ الغيبَ، لا يَعلمُ الغَيبَ إلا الله»(١).

وقالَ رَحِمَهُ اللهُ **في موضعٍ آخرَ**:

---

(١) المنهج السلفي عند الشيخ ناصر الدين الألباني لعمرو عبد المنعم سليم ١٠٤.

«إن نفيَ الشَّريكِ عن الله تعالى لا يَتِمُّ إلا بنفيِ ثلاثَةِ أنواعٍ من الشِّركِ: **الأول**: الشِّركُ في الرُّبوبيةِ: وذلك بأن يَعتقِدَ أنَّ مع الله خالقاً آخَرَ ـ سبحانَهُ وتعالى ـ كما هوَ اعتقادُ المجوسِ القائلينَ بأن للشرِّ خالقاً غَيرَ الله سُبحانَهُ، وهذا النَّوعُ في هذه الأمة قَليلٌ والحَمدُ لله. . .

الثاني: الشركُ في الألوهيَّةِ أو العبوديَّةِ: وهو أن يَعبُدَ مع الله غيرَهُ من الأنبياءِ والصالحينَ كالاستغاثةِ بهم وَندائِهم عِند الشدائِدِ وَنحوِ ذلكَ. . .

الثالثُ: الشركُ في الصِّفاتِ: وذلكَ بأن يَصِفَ بَعضَ خلقِهِ تعالى بِبَعضِ الصِّفاتِ الخاصَّةِ بِهِ عَزَّ وجلَّ كعِلمِ الغَيبِ مثلاً»(١).

* * *

(١) العقيدة الطحاوية، شرح وتعليق الألباني ٣١ ـ ٣٢.



أولاً: الإيمانُ بوجودِ الله تعالى:

فَقد دلَّ على وُجودِ الله تعالى: الفِطرةُ، والعَقلُ، والشَّرعُ، والحِسُّ.

أ ـ **أما دِلالةُ الفِطرةِ** على وجودِهِ تَعالى؛ فَقد قَالَ عنها شيخُ الإسلامِ ابن تيميَّة: «ولَمَّا كانَ الإقرارُ بالصانِعِ فِطريّاً كما قالَ ﷺ: (**كُلُّ مولودٍ يولَدُ على الفِطرَةِ**)(٢) فإن الفِطرَةَ تتضمَّنُ الإقرارَ بالله والإنابَةَ إليهِ وهُو مَعنى لا إله إلا الله فإنَّ الإله هو الذي يُعرَفُ ويُعبَدُ»(٣).

قال الشيخ مُحمَّد بنُ صالح بن عُثيمين: «أمَّا دِلالة الفِطرَةِ على وجودِهِ: فإنَّ كُلَّ مَخلوقٍ قد فُطِرَ على الإيمانِ بِخالقِهِ مِن غيرِ سبقِ تَفكيرٍ أو تَعليمٍ، ولا يَنصَرِفُ عن مُقتضى هذهِ الفِطرةِ إلا من طَرأَ على قَلبِهِ ما يَصرِفُهُ عنها لِقولِ النبي ﷺ: (**ما مِن مولودٍ إلا يولَدُ على الفِطرةِ فأبواهُ يُهوِّدانِهِ أو يُنصِّرانِهِ أو يُمجِّسانِهِ**(٤))»(٥).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، بَاب إذا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ.. . ١/٤٥٦.
(٢) مجموع الفتاوى ٢/٦، وينظر: المصدر نفسه ٤/٢٤٣ ـ ٢٤٧.
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) شرح أصول الإيمان لمحمد بن صالح العثيمين ١٣.

ب ـ **وأما دِلالةُ العقلِ** على وُجودِهِ تعالى؛ فذلك أنَّ كُلَّ مَوجودٍ في الكونِ لا يُمكِنُ أن يوجِدَ نَفسَهُ بِنَفسِهِ، ولا يُمكِنُ أن يُوجَدَ صُدفَةً، فلا بُدَّ لَهُ مِن مُوجِدٍ يُوجِدُهُ، قالَ الحافِظُ ابن كثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ مُتَحدِّثاً عن دِلالَةِ العقلِ على وُجُودِ الله عزَّ وجلَّ في تَفسيرِ سُورةِ البقرةِ عِند قَولِهِ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١ ـ ٢٢]، قالَ رَحِمَهُ اللهُ:

«وهذه الآيةُ دالَّةٌ على تَوحيدِهِ تعالى بالعبادَةِ وَحدَهُ لا شريكَ لَهُ، وقد استدلَّ بِهِ كَثيرٌ من المفسِّرين كالرازي وغيرِهِ على وجودِ الصَّانِعِ تعالى: وهي دالَّةٌ على ذلك بِطَريقِ الأَوْلى، فإنَّ مَن تأمَّلَ هذه الموجوداتِ السُّفليَّةِ والعُلويَّةِ واختِلافِ أشكالها وألوانِها وَطِباعِها وَمَنافِعِها وَوَضْعِها في مَواضِعِ النَّفعِ بِها مُحكمة على قُدرَةِ خالِقِها وَحِكمتِهِ وَعِلمِهِ وإتقانِهِ وَعَظيمِ سُلطانِهِ، كَما قَالَ بعضُ الأعرابِ وَقَد سُئِلَ: ما الدليلُ على وُجودِ الربِّ تعالى؟ فَقال: يا سُبحانَ الله إنَّ البَعَرَ ليدلُّ على البعيرِ وإنَّ أثرَ الأقدامِ لَتَدُلُّ على المسيرِ فَسَماءٌ ذات أبراجٍ وأرضٌ ذاتُ فِجاجٍ وبِحارٌ ذاتُ أمواجٍ ألا يَدُلُّ ذلك على وُجُودِ اللَّطيفِ الخبيرِ»[1].

ثُمَّ قال بعدَ ذلك:

«من تأمَّلَ هذه السماواتِ في ارتفاعِها واتِّساعِها وما فيها من الكواكبِ الكِبارِ والصِّغارِ النيِّرَةِ من السيَّارَةِ ومن الثَّوابِتِ، وشاهَدَها كيفَ تَدورُ مَعَ الفَلَكِ العَظيمِ في كُلِّ يَومٍ وَليلةٍ دُوَيرَة ولها في أنفُسِها سَيْرٌ

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٥٩.

يَخُصُّها، ونظَر إلى البِحارِ المُكتَنِفَةِ للأرضِ من كُلِّ جانِبٍ والجبالِ الموضوعَةِ في الأرضِ لِتقرَّ ويَسكُنَ ساكِنوها مَعَ اختلافِ أشكالِها وألوانِها، كَما قَالَ تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٧ ـ ٢٨]، وَكذلكَ هذهِ الأنهارُ السارِحةُ مِن قُطرٍ إلى قُطرٍ للمَنافِعِ، وما ذَرأَ في الأرضِ مِن الحيواناتِ المتنوِّعةِ والنباتِ المختَلِفِ الطُّعومِ والأرابيجِ والأشكالِ والألوانِ مَعَ اتِّحادِ طبيعَةِ التُّربَةِ والماءِ؛ استدلَّ على وُجُودِ الصَّانِعِ وقُدرتِهِ العظيمَةِ وحكمتِهِ وَرَحمتِهِ بِخلقِهِ ولُطفِهِ بِهِم وإحسانِهِ إليهِم وَبِرِّهِ بِهِم، لا إله غَيرُهُ ولا رَبَّ سِواهُ، عَلَيه تَوكَّلتُ وإليهِ أُنيبُ، والآياتُ في القرآنِ الدَّالةِ على هذا المقامِ كَثيرةٌ جِدّاً»(١).

قالَ الشيخُ مُحمَّد بن صالح بن عُثيمين عِندَ ذِكرِ الدليلِ العَقليِّ على وُجودِ الله تعالى: «وقد ذَكر الله تعالى هذا الدليلَ العَقليَّ والبُرهانَ القَطعيَّ في سورةِ الطورِ، حَيثُ قال: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]، يعني أنهم لم يُخلَقوا من غَيرِ خالِقٍ، ولا هُم الذين خَلقوا أنفُسهم، فَتَعيَّن أن يَكونَ خالِقُهُم هو الله تبارَكَ وتعالى»(٢).

ج ـ وأما دلالةُ الشَّرعِ على وُجودِهِ تعالى فَقَد قَالَ عنها الشيخُ مُحمَّد بن صالح بن عُثيمين: «وأمَّا دِلالة الشَّرعِ على وُجودِ الله تعالى: فلِأن الكُتُبَ السماويَّة كُلَّها تَنطِقُ بِذلكَ، وما جاءَت بِهِ من الأحكامِ المتضمِّنةِ لمصالِحِ الخلقِ دَليلٌ على أنَّها مِن رَبٍّ حَكيمٍ عَليمٍ بِمَصالِحِ

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٦٠.
(٢) شرح أصول الإيمان ١٤.

خَلقِهِ، وما جاءَت بِهِ من الأخبارِ الكونيَّةِ التي شَهِدَ الواقِعُ بِصِدقِها دَليلٌ على أنَّها من رَبٍّ قادرٍ على إيجادِ ما أخبَرَ بِهِ»[1].

د ـ **وأما دِلالةُ الحسِّ** على وُجودِ الله عز وجل؛ فإنَّ الإنسانَ يَدعو الله عز وجل، يقولُ: يا ربِّ! وَيدعو بالشيءِ، ثم يُستَجابُ لَهُ فيهِ، وهذه دِلالة حِسِّيَّةٌ، هوَ نَفسهُ لم يَدْعُ إلا اللهَ، واستجابَ اللهُ لهُ، رأى ذلك رأيَ العينِ، وكذلك نَحنُ نَسمعُ عمَّن سَبَقَ وَعَمَّن في عَصرِنا، أنَّ الله استجابَ لَهُ.

قالَ الشيخُ مُحمَّد بن صالح بن عُثيمين: «وأمَّا أدلَّةُ الحسِّ على وجودِ الله فمِن وَجهينِ: **أحدهُما**: أننا نَسمَعُ ونُشاهِدُ مِن إجابَةِ الدَّاعينَ، وَغَوثِ المكروبينَ، ما يدلُّ دِلالةً قاطِعةً على وُجودِهِ تعالى، قَال اللهُ تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ [الأنبياء: ٧٦] وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩] وفي صحيحِ البخاريِّ عن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أنَّ أعرابياً دَخل يومَ الجُمُعَةِ والنبيُّ ﷺ يَخطُبُ، فَقالَ: يا رسول الله، هَلَكَ المالُ، وَجَاعَ العيالُ، فادعُ الله لنا. فَرَفعَ يَدَيهِ وَدَعا، فَثارَ السَّحابُ أمثالَ الجِبالِ فلم يَنْزِل عن مِنبرِهِ حتى رأيتُ المطرَ يَتَحادَرُ على لِحيتِهِ...) وما زالت إجابةُ الداعينَ أمراً مَشهوداً إلى يومِنا هذا لِمَن صَدَقَ اللجوءَ إلى اللهِ تعالى وأتى بِشرائِطِ الإجابةِ.

الوجهُ الثاني: أنَّ (آياتِ الأنبياءِ) التي تُسمَّى (المعجزات) ويُشاهِدُها النَّاسُ، أو يَسمَعونَ بها، بُرهانٌ قاطِعٌ على وجودِ مُرسِلِهِم،

---

(١) المصدر نفسه ١٥.

وهو الله تعالى، لأنَّها أمورٌ خارِجَةٌ عن نِطاقِ البشَرِ، يُجريها الله تعالى، تأييداً لرُسُلِهِ وَنَصراً لَهُم»(١).

ثانياً: الإيمانُ بربوبيتِهِ تعالى (توحيدُ الربوبيَّةِ):

تعريفُهُ: لغةً: الربوبيةُ: مَصدر مِن الفِعل (ربب)، فالربوبيةُ صِفةُ الله، وهي مأخوذةٌ من اسم الربِّ، قال ابنُ منظور: «الربُّ هو الله عز وجل هو ربُّ كُلِّ شيء أي مالِكُه، وَلَه **الربوبيةُ** على جَميعِ الخلقِ لا شَريكَ لَهُ وهو رَبُّ الأربابِ ومالِكُ الملوكِ والأملاكِ والرَّبُّ يَنقَسِمُ على ثَلاثةِ أقسامٍ: يَكُونُ الربُّ: المالكُ، ويكونُ الربُّ: السيِّدُ المطاعُ، قالَ الله تعالى: ﴿فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٤١] أي سيِّدهُ، وَيَكونُ الربُّ: المُصلِحُ»(٢).

اصطلاحاً: لقد تقدمَ تعريفُهُ، وهو كما قالَ الشيخُ محمد بن صالح ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «إفرادُ الله سبحانَهُ وتعالى بالخلقِ والمُلكِ والتدبيرِ»(٣).

قَال شَيخُ الإسلامِ ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإذا كانَ الحقُّ الحيُّ القيُّومُ الذي هوَ رَبُّ كلِّ شيءٍ وَمَليكُهُ وَموَصِّلُ كلِّ أصلٍ وَمُسبِّبُ كُلِّ سَبَبٍ وَعِلَّةٍ هوَ الدليلُ والبُرهانُ والأوَّلُ والأصلُ الذي يَستدِلُّ بِهِ العبدُ ويَفزَعُ إليهِ وَيَرُدُّ جميعَ الأواخِرِ إليهِ في العِلمِ، كانَ ذلكَ سَبيلَ الهُدى وَطَريقَهُ كما أنَّ الأعمالَ والحركاتِ لمَّا كانَ اللهُ مَصدَرَها وإليهِ مَرجِعُها كانَ المتوكِّلُ عليهِ في عَمَلِهِ القائلُ إنَّه لا حَولَ ولا قوَّة إلا بالله مُؤيَّداً مَنصوراً، فَجِماعُ الأمرِ أنَّ الله هوَ الهادي وَهوَ النَّصيرُ ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ

---

(١) شرح أصول الإيمان ١٥ ـ ١٦.

(٢) لسان العرب ١/ ٤٠٠ ـ ٤٠١.

(٣) شرح ثلاثة الأصول لمحمد بن صالح العثيمين ٣٤.

هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١] وَكُلُّ عِلمٍ فلا بُدَّ لَهُ مِن هِدايةٍ وكُلُّ عملٍ فلا بُدَّ لهُ مِن قوةٍ، فالواجِبُ أن يكونَ هو أصلُ كُلِّ هدايةٍ وعلمٍ وأصلُ كُلِّ نُصرةٍ وقوَّةٍ ولا يَستهدي العبدُ إلا إيَّاهُ ولا يَستَنصِرُ إلا إيَّاهُ، والعبدُ لمَّا كانَ مَخلوقاً مَربوباً مَفطوراً مَصنوعاً عَادَ في عِلمِهِ وعَمَلِهِ إلى خالِقِهِ وفاطِرِهِ وَربِّهِ وَصانِعِهِ فَصارَ ذلك تَرتيباً مُطابِقاً للحقِّ وتأليفاً مُوافقاً للحقيقةِ إذْ بِناءُ الفرعِ على الأصلِ وَتَقديمُ الأصلِ على الفَرعِ هو الحقُّ فهذِهِ الطَّريقةُ الصحيحةُ الموافِقَةُ لِفطرةِ الله وخِلقَتِهِ، ولكتابِهِ وسنَّتِهِ»[1].

وأما أدلَّةُ هذا النَّوعِ من التَّوحيدِ فهيَ من الكِتابِ والسنةِ والعقلِ:

١ ـ من الكتابِ: قولُه تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [لقمان: ١٠ ـ ١١]، وقولُهُ سبحانه: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]، وقولُهُ سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

٢ ـ من السُّنةِ: قولُ النبيِّ ﷺ: (**السيِّدُ الله تباركَ وتعالى...**)[2]، وقولُه ﷺ في وَصيَّتِهِ لابنِ عباسٍ: (وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لو اجْتَمَعَتْ على أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لم يَنْفَعُوكَ إلا بِشَيْءٍ قد كَتَبَهُ الله لك، وَلَوْ اجْتَمَعُوا على أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لم يَضُرُّوكَ إلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ، رُفِعَت الْأَقْلَامُ وَجَفَّت الصُّحُفُ)[3].

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/ ١٩ ـ ٢٠.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الأدب، بَاب في كَرَاهِيَةِ التَّمَادُحِ ٤/ ٢٥٤.

(٣) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ٤/ ٦٦٧.

٣ ـ **دِلالةُ العقلِ**: وهي مِن وَجهينِ، وَقَد ذكرَهُما الشيخُ المجدِّدُ مُحمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ بِقولِهِ: «فإذا قيل لَكَ: بِمَ عَرَفتَ ربَّكَ؟ فقُل: **بآياتِهِ ومخلوقاتِهِ**»(١).

قال الشيخ مُحمَّد بن صالح بن عثيمين شارحاً هذا القولَ: «أي: إذا قِيلَ لكَ: بأيِّ شيءٍ عَرَفتَ الله عزَّ وجلَّ؟ فقُل: عَرفتُهُ بآياتِهِ وَمَخلوقاتِهِ، والآياتُ: جمعُ آيةٍ وهي العَلامَةُ على الشيءِ التي تَدُلُّ عَلَيهِ وَتُبيِّنُهُ وآياتُ اللهِ تعالى نَوعانِ:

كونيَّةٌ وشرعيَّة، فالكونيَّةُ: هي المخلوقاتُ، والشرعيَّةُ: هي الوحيُ الذي أنزلَهُ الله على رُسُلِهِ، وعلى هذا يَكونُ قَولُ المؤلِّفِ رَحِمَهُ اللهُ: بآياتِهِ وَمَخلوقاتِهِ مِن بابِ عَطفِ الخاصِّ على العامِّ إذا فَسَّرنا الآياتِ بأنَّها الآياتُ الكونيَّةُ والشرعيَّةُ، أو مِن بابِ عطفِ المُبايِنِ المُغايِرِ إذا خصَصنا الآياتِ بالآياتِ الشرعيَّةِ، وعلى كلٍّ فالله عزَّ وجلَّ يُعرَفُ بآياتِهِ الكونيَّةِ وهي المخلوقاتُ العظيمَةُ وما فيها من عَجائِبِ الصَّنعةِ وبالِغِ الحِكمَةِ، وكذلك يُعرَفُ بآياتِهِ الشرعيَّةِ وما فيها من العَدلِ، والاشتمالِ على المصالِحِ، ودفعِ المفاسِدِ»(٢).

أما قولُ الله عز وجل: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] فإنَّهُ يُبيِّنُ لنا طَريقينِ عَظيمينِ أرشَدَنا الله للاستدلالِ بِهِما على رُبوبيَّتِهِ سُبحانهُ، وهُما:

١ ـ **الطريقُ النفسيُّ**: وهو النَّظرُ في آياتِ الله في خَلقِ النَّفسِ

(١) شرح ثلاثة الأصول ٤٢.

(٢) شرح ثلاثة الأصول ٤٢.

البشريَّةِ، فإنها آيةٌ من آياتِ الله العظيمةِ الدالَّةِ على تَفَرُّدِ الله وحدَهُ بالربوبيَّةِ لا شَريكَ لهُ، كما قالَ تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧]، ولهذا لو أنَّ الإنسانَ أمعَنَ النَّظَر في نَفسِهِ وما فيها من عَجائِبِ صُنعِ الله لأرشَدَهُ ذلك إلى أنَّ لَهُ ربّاً خالِقاً حَكيماً خَبيراً.

٢ ـ **الطريقُ الآفاقيُّ**: وهو النَّظرُ والتَّفكُّرُ في آياتِ الله في خَلقِ الكونِ، فإنَّ مَن تأمَّل ما فيهِ من سماءٍ وأرضٍ، وما اشتملت عَليهِ السماءُ من نُجُومٍ وَمَجَراتٍ وَشَمسٍ وَقَمَرٍ، وما اشتملت عَليهِ الأرضُ من جِبالٍ وأشجارٍ وبِحارٍ وأنهارٍ، وَمَن تأمَّلَ هذا النِّظامَ البَديعَ الدقيقَ الذي يَسيرُ بِهِ الكونُ أجمع، عَلِمَ بأنَّ لَهُ مُوجِداً، وَمُدبِّراً لشؤونِهِ، ولقد أحسنَ القائِلُ:

تأمَّل في نباتِ الأرضِ وانظُر ... إلى آثارِ ما صَنَعَ المليكُ
عُيونٌ من لُجَيْنٍ شاخصاتٌ ... بأحداقٍ هي الذهبُ السبيكُ
على قَضَبِ الزُّبُرْجُدِ شاهداتٍ ... بأنَّ الله ليسَ لَهُ شَريكُ

* * *

بيانُ أنَّ الإقرارَ بهذا التوحيدِ وَحدَهُ لا يَكفي للنَّجاةِ مِن النَّار

تبيَّن مما سَبَقَ بأنَّ توحيدَ الربوبيَّةِ هو أحدُ أقسامِ التَّوحيدِ الثلاثَةِ، ولذا فإنَّهُ لا يَصحُّ إيمانُ العبدِ ولا يَتحقَّقُ تَوحيدُهُ إلَا إذا وَحَّد الله في رُبوبيتِهِ، ولكنَّ هذا النَّوع من التوحيدِ لَيسَ هو الغايَةُ التي من أجلِها بَعَثَ الله الرُّسُلَ وأَنزَلَ الكُتُبَ، ولا يَكفي هذا النوعُ من التوحيدِ للنَّجاةِ مِن النَّارِ إلا إذا حَقَّقَ العبدُ النَّوعَ الآخَرَ من التوحيدِ وَهو: تَوحيدُ الألوهيَّةِ.

والبُرهانُ على ذلك هو قولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، ومعنى الآيةِ: ما يُقِرُّ أكثرُهُم بالله ربّاً وخالِقاً ورازقاً ومدبراً ـ وهذا من توحيدِ الربوبيَّةِ ـ إلا وهُم يُشرِكونَ معه غيرَهُ في عبادتِهِ مِن الأوثانِ التي يعبُدونَها وهي لا تضُرُّ ولا تنفَعُ، ولا تُعطي ولا تَمنَعُ.

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنه في تفسيرِ هذهِ الآيةِ: «مِن إيمانِهِم أنَّهم إذا قيلَ لَهُم: من خَلقَ السماواتِ ومَن خَلقَ الأرضَ وَمَن خَلقَ الجبالَ؟ قالوا: الله، وهُم مُشرِكونَ بِهِ»(١).

وقالَ عِكرِمةُ: «مِن إيمانِهِم إذا قِيلَ لَهُم من خَلَقَ السماواتِ قالوا: الله. وإذا سُئِلوا من خَلَقَهُم؟ قالوا: الله، وهُم يُشرِكُونَ بِهِ بَعدُ»(٢).

وقال مُجاهد: «إيمانُهُم قولُهُم الله خالِقُنا ويرزُقُنا ويُميتُنا، فهذا إيمانٌ مَعَ شركِ عبادتِهِم غيرَهُ»(٣).

وقال قَتادَةُ: «إنَّكَ لَستَ تَلقى أحداً مِنهم إلا أنبأَكَ أنَّ الله رَبَّهُ وهو الذي خَلَقَهُ وَرَزَقَهُ وهو مُشرِكٌ في عِبادَتِهِ»(٤).

وقالَ عبدُ الرحمنِ بن زيدٍ: «لَيسَ أحدٌ يَعبُدُ مَعَ الله غيرَهُ إلا وهو مُؤمنٌ بالله وَيعرِفُ أنَّ الله رَبَّهُ وأنَّ الله خالِقهُ ورازِقهُ وهو يُشرِكُ بِهِ ألا ترى كَيفَ قالَ إبراهيمُ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٥ ـ ٧٧] قد عَرَفَ أنهم

(١) تفسير الطبري ١٣/ ٧٧.
(٢) المصدر نفسه ١٣ / ٧٧.
(٣) تفسير الطبري ١٣/ ٧٨.
(٤) المصدر نفسه ١٣/ ٧٨.

يَعبُدونَ رَبَّ العالمينَ مَع ما يَعبُدونَ، قالَ فَلَيسَ أحدٌ يُشرِكُ بِهِ إلا وَهُو مُؤمنٌ بِهِ، ألا تَرى كيفَ كانت العربُ تُلَبِّي تَقولُ: لَبيكَ اللهمَّ لَبيكَ لا شَريكَ لَكَ إلا شريكاً هو لَك تَملِكُهُ وما مَلَكَ»(١).

والنصوصُ عن السَّلَفِ في هذا البابِ كَثيرةٌ، وَقَد دَلَّت كَثيرٌ من آياتِ الكتابِ على إقرارِ المشركينَ بِربوبيَّةِ الله عزَّ وجلَّ مع إشراكِهِم به في العِبادَةِ، ومِن ذلك قَولُهُ تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١]، وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٣]، وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقوله: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٩]، فَلَم يكُن المشركونَ يَعتقِدونَ أنَّ هذهِ الأصنامَ التي يَعبُدُونَها هي التي تخلُقُهُم وَتَرزُقُهُم وتُنزِلُ الغَيثَ وتُدبِّرُ شؤونَ العالَم، بل كانوا مقرِّينَ ومُعترفينَ بأنَّ ذلك من خَصائِصِ الربِّ جلَّ جلالُهُ، ولكنَّهم اتَّخذوا هذهِ الأوثانَ وسائطَ ـ بزعمِهِم ـ ويدعونَها لتُقرِّبَهُم إلى الله زُلفى، كما قالَ الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، أي: ليشفَعوا لَهُم عِندَ الله فيما يَطلُبُونَ وَيَبتغُونَ مِن الحوائِجِ.

وَمَعَ ذلكَ فإنَّ هذا الإقرارَ بربوبيَّةِ الله عزَّ وجلَّ لم يَنفعِ المشركينَ

---

(١) المصدر نفسه ١٣/٧٨ ـ ٧٩.

وَلَم يَعصِم دِماءَهُم وأموالَهُم لأنَّهم لم يُحقِّقوا النَّوعَ الثاني من التوحيدِ وهوَ: توحيدُ الألوهيَّةِ.

قال شيخُ الإسلامِ ابن تيميَّة مُقرِّراً هذا الأمرَ: «ومثلُ هذه العبوديَّةِ لا تُفرِّقُ بين أهلِ الجنَّةِ والنَّارِ ولا يَصيرُ بها الرجلُ مُؤمِناً كَما قَالَ تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، فإنَّ المشركينَ كانوا يُقرُّونَ أنَّ الله خالقُهُم ورازِقُهُم وَهُم يعبُدونَ غيرَهُ قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] وقال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٩]»(١).

ثمَّ إنه رَحِمَهُ اللَّهُ رَدَّ على كَثيرٍ مِن أهلِ الضَّلالِ والانحرافِ مِن الصوفيَّةِ وغيرِهِم، الذين ظنّوا أنَّ غايةَ مَعنى (لا إله إلا الله) هُو تَوحيدُ الربوبيَّةِ دُونَ تَوحيدِ العبادةِ، فَقالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَمَن وقَفَ عِند هذه الحقيقةِ(٢) وعِند شُهودِها ولم يَقُم بِما أُمِرَ بِهِ مِن الحقيقةِ الدينيَّةِ التي هي عِبادتُهُ المتعلِّقةُ بإلهيَّتِهِ وطاعَةِ أمرِهِ وأمرِ رَسولِهِ كان من جِنسِ إبليسَ وأهلِ النَّارِ، وإن ظنَّ مَع ذلك إنَّه خواصُّ أولياءِ الله وأهلِ المعرفَةِ والتحقيقِ الذين يَسقُطُ عنهُم الأمرُ والنَّهيُ الشرعيانِ كانَ مِن أشَرِّ أهلِ الكُفرِ والإلحادِ»(٣).

ولقد قرَّرَ الشيخُ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الأمرَ ـ وَهو عَدمُ الانتفاعِ بتوحيدِ الربوبيَّةِ إلا إذا انضمَّ إليه تَوحيدُ الألوهيَّةِ ـ وبيَّنَهُ ـ أحسنَ بيانٍ ـ في كَثيرٍ من مَجالِسِهِ وَكُتُبِهِ، وَمِن ذلك قَولُهُ:

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠/ ١٥٦.
(٢) وهي توحيد الربوبية.
(٣) مجموع الفتاوى ١٠/ ١٥٧.

«فالمشركونَ كانوا يُؤمِنونَ بأنَّ لهذا الكونِ خالقًا لا شَريكَ لهُ، ولكنَّهم كانوا يَجعَلونَ مع الله أندادًا وشركاءَ في عِبادتِهِ، فَهُم يؤمِنونَ بأنَّ الربَّ واحدٌ ولكن يَعتقِدونَ بأنَّ المعبوداتِ كثيرةٌ، ولذلك ردَّ الله تعالى ـ هذا الاعتقادَ ـ الذي سمَّاه عِبادةً لِغيرِه مِن دونِهِ بِقولِهِ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]»[(١)].

ثُمَّ إِنَّه رحمه الله قد بيَّن أنَّ كثيراً من المسلمينَ ـ اليومَ ـ يَقولونَ هذه الكلمةَ (لا إله إلا الله) وهُم لا يَفقَهونَ مَعناها، بل قَد يَفهمونَها على غيرِ وجهِها الصَّحيحِ، قالَ رحمه الله:

«أما غالبُ المسلمينَ اليومَ الذين يَشهدونَ بأنَّ (لا إله إلا الله) فَهُم لا يَفقَهونَ مَعناها جَيدًا، بَل لَعلَّهُم يَفهَمونَ معناها فَهمًا مَعكوسًا وَمَقلوبًا تَمامًا؛ أضرِبُ لذلكَ مَثلاً: بعضُهُم[(٢)] أَلَّفَ رسالةً في معنى (لا إله إلا الله) ففسَّرَها: (لا ربَّ إلا الله)!! وهذا المعنى هو الذي كَانَ المشركونَ يؤمنونَ بِهِ وكانوا عليهِ، وَمَع ذلكَ لم ينفَعهُم إيمانُهُم هذا، قالَ تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]»[(٣)].

ثُمَّ إِنَّه رحمه الله قد بيَّنَ أنَّ العرَبَ في الجاهليَّةِ كَانوا أكثَرَ فَهمًا لهذِهِ الكلِمةِ مِن كثيرٍ من المسلمينَ في وقتِنا الحاضِرِ فقالَ رحمه الله:

«لذلكَ، فإني أقولُ كلمةً ـ وهي نادِرَة الصُّدورِ مني ـ وهيَ: إنَّ واقِع كَثيرٍ من المسلمينَ اليومَ شرٌّ مِمَّا كانَ عَليهِ عامَّةُ العربِ في الجاهليَّةِ

(١) التوحيد أولاً يا دعاة الإسلام، للألباني ص ١٢.
(٢) هو الشيخ محمد الهاشمي، أحد شيوخ الصوفية «الطريقة الشاذلية» في سوريا من نحو ٥٠ سنة.
(٣) التوحيد أولاً ص ١٢.

الأولى مِن حيثُ سوءُ الفَهمِ لمعنى هذهِ الكلمةِ الطَّيِّبَةِ؛ لأن المشركين العرَبَ كانوا يَفهَمونَ، ولكنَّهم لا يؤمِنون، أمَّا غالِبُ المسلمينَ اليومَ، فإنَّهم يَقولونَ ما لا يَعتقِدونَ، يَقولونَ: لا إلٰه إلا الله، ولا يؤمنونَ ـ حقًّا ـ بِمَعناها[١]»[٢].

ثم إنَّهُ رَحِمَهُ اللهُ قد بيَّن أنَّ واجِبَ الدُّعاةِ ـ اليومَ ـ هو تَبصيرُ النَّاسِ بمعنى هذه الكلِمةِ الطَّيِّبَةِ (لا إلٰه إلا الله)، فَقَد قالَ رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا مِمَّا يوجِبُ عَلينا جميعًا ـ بصِفَتِنا دُعاةً إلى الإسلامِ: الدعوةَ إلى التوحيدِ وإقامَةَ الحُجَّةِ على مَن جَهِلَ معنى (لا إلٰه إلا الله) وهو واقِعٌ في خِلافِها. . . إنَّ أوَّلَ واجِبٍ على الدُّعاةِ المسلمينَ ـ حقًّا ـ هو أن يُدندِنوا حَولَ هذه الكَلِمَةِ وَحَولَ بيانِ معناها بِتَلخيصٍ، ثُمَّ بِتَفصيلِ لوازِمِ هذِهِ الكلمةِ الطَّيِّبَةِ بالإخلاصِ لله عزَّ وجلَّ في العباداتِ بِكُلِّ أنواعِها؛ لأنَّ الله عزَّ وجلَّ لما حَكى عن المشركينَ قَولَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، جَعلَ كُلَّ عبادةٍ تُوَجَّهُ لغيرِ الله كفرًا بالكلمةِ الطَّيِّبَةِ: لا إلٰه إلا الله؛ لهذا؛ أنا أقولُ اليوم: لا فائِدَةَ مُطلقًا من تَكتيلِ المسلمينَ ومن تَجميعِهِم، ثم تَركِهِم في ضَلالِهِم دونَ فَهمِ هذه الكلمَةِ الطَّيِّبَةِ، وهذا لا يُفيدُهُم في الدنيا قَبلَ الآخِرةِ»[٣].

* * *

(١) فهم يعبدون القبور، ويذبحون لغير الله عز وجل، ويدعون الأموات والصالحين من دون الله، بل إن الرافضة والصوفية يعتقدون أكثر من ذلك؛ فالحج الى القبور والطواف بها وبناؤها وتشييدها من عقائدهم الثابتة. نسأل الله السلامة والعافية.

(٢) التوحيد أولاً ص ١٤.

(٣) التوحيد أولاً ص ١٣ ـ ١٤.



المبحث الثاني:

الإيمان بألوهيته تعالى

الإيمان بألوهيته تعالى (توحيدُ الألوهيَّةِ):

أولاً: تَعريفُهُ: «الألوهيَّةُ مُشتقَّةٌ من اسم الإله، أي المعبودِ المُطاعِ، فالإلٰهُ اسمٌ مِن أسماءِ الله الحسنى، والألوهيَّةُ صِفَةٌ من صِفاتِ الله العظيمَةِ، فَهو سُبحانَهُ المألوهُ المعبودُ الذي يَجِبُ أن تأْلَهَهُ القلوبُ، وَتَخضَعَ لهُ وَتَذِلَّ وتَنقادَ، لأنَّهُ سُبحانه الربُّ العَظيمُ، الخالِقُ لهذا الكونِ المُدبِّرُ لِشؤونِهِ، الموصوفُ بِكُلِّ كَمالٍ، المُنَزَّهُ عن كُلِّ نَقصٍ، ولهذا فإنَّ الذُّلَّ والخُضُوعَ لا يَنبغي إلا لَهُ، فَحيثُ كانَ مُتفرِّداً بالخلقِ والإنشاءِ والإعادةِ لا يُشرِكُهُ في ذلكَ أحَدٌ؛ وَجَبَ أن يَنفَرِدَ وَحدَهُ بالعبادَةِ دُونَ سِواهُ، لا يُشرَكُ مَعَهُ في عِبادَتِهِ أحَدٌ»[١].

فَتَوحيدُ الألوهيَّةِ هوَ إفرادُ الله وحدَهُ بالعبادَةِ؛ وَذَلك بأن يَعلَمَ العَبدُ - يَقيناً - أنَّ الله وحدَهُ هوَ المألوهُ المعبودُ عَلى الحَقيقةِ، وأنَّ صِفاتِ الألوهيَّةِ وَمَعانيها لَيسَت مَوجودةً عِند أحدٍ من المخلوقاتِ ولا يَستحقُّها إلا اللهُ تعالى، فإذا عَلِمَ العبدُ ذلك واعترفَ بِهِ حقاً أفرَدَ الله بِجَميعِ أنواعِ العباداتِ الظاهرةِ والباطنةِ، لا يَقصِدُ بشيءٍ من ذَلك غَرَضاً من أَغراضِ الدنيا غَيرَ رِضا رَبِّه وَطَلَبِ ثَوابِهِ.

---

(١) كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، إعداد نخبة من العلماء ٢١.

ثانياً: أدلَّتُهُ: لَقَد تَنوَّعت النصوصُ في الدِّلالةِ على توحيدِ الألوهيَّةِ؛ فَتارةً جاءَ الأمرُ بِهِ مُباشرةً كما في قَولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، وقوله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وَنَحوِ ذلك مِن الآياتِ.

وَتارةً جَاءت النصوصُ مُبيِّنَةً بأنَّ المقصودَ مِن خَلقِ الإنسِ والجنِّ هو تَحقيقُ هذا النَّوعِ مِن التوحيدِ، وَذَلكَ في نَحوِ قَولِهِ تَعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وتارةً أخرى جَاءتِ النصوصُ مُبيِّنَةً بأنَّ إرسالَ الرُّسُلِ وإنزالَ الكُتُبِ مِن أجلِ تَحقيقِ هذا النَّوعِ مِن التوحيدِ؛ وَذَلكَ في نَحوِ قَولِهِ تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]، وقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقوله: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

وَتارةً جاءت مُبيِّنَةً عظيمَ الثَّوابِ لأهلِهِ وما أعدَّهُ الله لهم في الدُّنيا والآخرةِ، وَذَلكَ في نَحوِ قَولِهِ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وَتارةً بِذكرِ الوعيدِ المُترتِّبِ على تَركِ هذا التوحيدِ وَعَدَمِ تَحقيقِهِ، أو الإتيانِ بما يُضادهُ، وذلكَ في نَحوِ قَولِهِ تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقولِهِ: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩].

وأمَّا الأدلَّةُ مِن السُّنةِ النَّبويةِ على وُجُوبِهِ وأهميَّتِهِ فلا تَكادُ تُحصى،

فَمِن ذلك قَولُ النبي ﷺ: (**يا مُعَاذُ أتَدْرِي ما حَقُّ اللَّهِ على الْعِبَادِ؟** قال: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: **أَنْ يَعْبُدُوهُ ولا يُشْرِكُوا بِهِ شيئاً أَتَدْرِي ما حَقُّهُمْ عليه؟** قال: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: **أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ**)[١]. وقوله ﷺ لمعاذ لمَّا أرسلهُ إلى اليمنِ: (**إِنَّكَ تَقْدَمُ على قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ ما تَدْعُوهُمْ إليه عِبَادَةُ اللَّهِ فإذا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قد فَرَضَ عليهم خَمْسَ صَلَوَاتٍ...**)[٢]، وَقولُهُ ﷺ: (**من مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو من دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ**)[٣]، وَقوله ﷺ: (**من لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شيئاً دَخَل الْجَنَّةَ وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دخل النَّارَ**)[٤]، والأحاديثُ في تَوحيدِ الألوهيَّةِ أكثَرَ مِن أن تُحصَرَ[٥].

ثالثاً: أهميتُهُ: تَبيَّن مما سبَقَ بأنَّ تَوحيدَ الألوهيَّةِ هو أعظمُ الأصولِ على الإطلاقِ، فلا تَصلُحُ أحوالُ الناسِ ولا تَستقيمُ إلا بِهِ، فَتَحقيقُهُ أصلُ كُلِّ نِعمَةٍ، وفَقدُهُ أصلُ كُلِّ نِقمَةٍ.

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللهُ في بيانِ فَضلِ كَلمةِ التوحيدِ وأهميتِها:

«كلمةٌ قامَت بِها الأرضُ والسماواتُ وخُلِقت لأجلِها جَميعُ المخلوقاتِ، وبِها أرسلَ اللهُ تعالى رُسُلهُ وأنزلَ كُتُبَهُ وشَرَعَ شَرائِعَهُ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، بَاب ما جاء في دُعَاءِ النبي أُمَّتَهُ إلى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ٦/ ٢٦٨٥.

(٢) المصدر نفسه، كتاب الزكاة، باب أخذ العناق في الصدقة ٢/ ٥٢٩.

(٣) المصدر نفسه، كتاب الجنائز، باب في الجنائز... ٤/ ١٦٣٦.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَاب من مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شيئاً دخل الْجَنَّةَ ١/ ٩٤.

(٥) ينظر: كتاب أصول الإيمان ٢٣ ـ ٢٥.

ولأجلِها نُصِبَت الموازينُ ووضِعتِ الدَّواوينُ وقامَ سوقُ الجنَّةِ والنَّارِ، وبِها انقَسَمتِ الخَليقَةُ إلى المؤمنينَ والكُفَّارِ والأبرارِ والفُجَّارِ، فَهي مَنشأ الخَلقِ والأمرِ والثوابِ والعِقابِ وهيَ الحقُّ الذي خُلِقَت لهُ الخَليقَةُ وَعَنها وعن حُقوقِها السؤالُ والحِسابُ وَعَليها يَقَعُ الثَّوابُ والعِقابُ وعليها نُصِبَت القِبلةُ وَعَليها أُسِّستِ الملَّةُ ولأَجلِها جُرِّدت سُيوفُ الجِهادِ وهي حَقُّ الله على جَميعِ العبادِ، فَهي كَلِمةُ الإسلامِ وَمِفتاحُ دَارِ السَّلامِ وَعَنها يُسأَلُ الأوَّلونَ والآخِرونَ فلا تَزولُ قَدَما العَبدِ بَينَ يدي الله حتى يُسأَلَ عَن مَسألتينِ: ماذا كُنتم تَعبُدونَ، وماذا أجبتُم المرسلينَ»[١].

قالَ الشيخُ عبد الرحمنِ بن ناصر السعديُّ رَحِمَهُ اللهُ مُبيِّناً أهميتهُ:

«أعظمُ الأصولِ التي يُقرِّرُها القرآنُ ويُبرهِنُ عليها: تَوحيدُ الألوهيَّةِ والعبادَةِ، وهذا الأصلُ العظيمُ أعظمُ الأصولِ على الإطلاقِ، وأكمَلها وأفضَلها، وأوجَبها وألزَمها لِصالِحِ الإنسانيَّةِ، وهو الذي خَلَقَ الله الجنَّ والإنسَ لأجلِهِ، وَخَلَقَ المخلوقاتِ، وَشَرَعَ الشرائِعَ لِقيامِهِ، وَبوجُودِهِ يَكونُ الصلاحُ، وَبِفَقدِهِ يَكُونُ الشرُّ والفسادُ»[٢].

وَقالَ رَحِمَهُ اللهُ في مَوضِعٍ آخرَ:

«وَهوَ الذي خَلَقَ الله الخلقَ لأجلِهِ، وَشَرَعَ الجِهادَ لإقامتِهِ، وَجَعَلَ الثَّوابَ الدُّنيويَّ والأخرويَّ لِمَن قَامَ بِهِ وَحَقَّقَهُ، والعِقابَ لِمَن تَرَكَهُ، وبِهِ يَحصُلُ الفَرقُ بينَ أهلِ السعادةِ القائمينَ بِهِ، وأهلِ الشقاوةِ التاركينَ لَهُ، فَعلى العبدِ أن يَبذُلَ جُهدَهُ في مَعرفتِهِ، وتَحقيقِهِ، والتَّحقُّقِ بِهِ، وَيَعرِفَ حَدَّهُ وَتَفسيرَهُ، وَيَعرِفَ حُكمَهُ وَمَرتَبَتَهُ، وَيَعرِفَ آثارَهُ ومُقتضياتِهِ، وَشَواهِدَهُ

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ١/ ٣٤.
(٢) القواعد الحسان في تفسير القرآن للسعدي ١٩٢.

وأدلتهُ، وَمَا يُقوِّيهِ وَيُنمِّيهِ، وَمَا يَنْقُضُهُ أو يُنْقِصُهُ، لأنهُ الأصلُ الأصيلُ، لا تَصِحُّ الأصولُ إلا بِهِ، فَكيفَ بالفروعِ»(١).

وَلذلكَ كانَ هذا النوعُ مِن التوحيدِ هُوَ أساسُ دعوةِ الرسُلِ والغايَة من إرسالِهِم، وبِهِ أُمِر جميعُ الأنبياءِ بِدعوةِ أقوامِهِم، فتوحيدُ الله وإخلاصُ العبادَةِ لَهُ هي أصلُ بِعثةِ جَميعِ الرسلِ، قَالَ الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وَقَد ذَكَرَ اللهُ عزَّ وجلَّ حَالَ الأنبياءِ مَعَ أقوامِهِم في دَعوتِهِم إلى هَذا المَقامِ العَظيم، فقالَ عن نوحٍ عليه السلام: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ [نوح: ١ ـ ٣]، ثُمَّ ذَكَرَ طَريقَتَهُ في الدعوةِ فَقالَ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [نوح: ٥]، وقالَ أيضاً: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ٨ ـ ٩]، وبيَّنَ سُبحانَهُ وتعالى مدَّةَ لبثِهِ فيهِم يدعُوهم إلى هذا التوحيدِ صابراً مُثابراً، فَقالَ سُبحانَه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤]، فَلَو تأمَّلنا هذِهِ الآياتِ العظيمةِ: نَبيٌّ مِن أنبياءِ اللهِ عزَّ وجلَّ، بَل ومن أولي العزمِ مِنهُم، يَجِدُّ وَيَجتهِدُ، لَيلاً وَنَهاراً، سِراً وَجِهاراً، داعياً قَومَهُ إلى كَلِمةٍ واحِدةٍ، فيها نَجاتُهُم ونَجاحُهُم، وَفوزُهُم وَفَلاحُهُم، وهو مَعَ كُلِّ ذلك لا يَمَلُّ إعراضَهُم وصُدودَهُم، بل ويَمكُثُ فيهم قَريباً مِن ألفِ عامٍ داعياً لهم إلى هذا التوحيدِ، إذن: فما أعظمَها مِن كَلمةٍ، وما أعظمَهُ مِن تَوحيدٍ.

(١) الحق الواضح المبين في توحيد الأنبياء والمرسلين للسعدي ٦٨ ـ ٦٩.

وكذا قال سُبحانهُ عن نبيِّه هود عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥]، وقال عن صالح عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٦٥]، وعن شعيب عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨٥].

ثم إنَّ النصوصَ جَاءت مُبيِّنةً بأنَّ الخُصومةَ بَين الأنبياءِ وأقوامِهم إنما كَانت في هذا النَّوعِ من التوحيدِ؛ وهو إفرادُ الله بالعبادةِ وإخلاصُ الدينِ لَهُ، فالأنبياءُ دَعوا إلى التَّوحيدِ، وأقوامُهُم أصرُّوا على شِركِهم بالله عزَّ وجلَّ، إلا مَن هَداهُ الله مِنهُم بِفَضلِهِ:

قال تعالى عَن قَومِ نُوح عليه السلام: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ [نوح: ٢٣ ـ ٢٤]، وقال عن قوم هود عليه السلام: ﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ٥٣]، وقال عن قوم صالح عليه السلام: ﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: ٦٢]، وقال عن قوم شعيب عليه السلام: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]، وقال عن كُفارِ قريش وتكذيبِهم لرسولِ الله ﷺ: ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [ص: ٤ ـ ٧].

وَقد قَال النبي ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ الناس حتى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ**

إلا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فإذا فَعَلُوا ذلك عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إلا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ على اللَّهِ)(١).

ولقد كانَ للشيخِ الألبانيِّ رحمه الله **جهودٌ عظيمةٌ في بيانِ التوحيدِ والدعوةِ إليهِ،** فإنَّه رحمه الله رأى ما عَليهِ كَثيرٌ مِن المسلمينَ اليومَ من جَهلٍ بتَوحيدِ الله عزَّ وجلَّ، وَدَعا الدعاةَ والعامِلينَ إلى العملِ على إصلاحِ هذا الواقِعِ الأليمِ، فَقَالَ مُجيباً على سؤالٍ وُجِّهَ إليهِ؛ وَهوَ: كيفَ العِلاجُ للواقِعِ المؤلِمِ الذي تَعيشُهُ الأمَّةُ اليومَ مِن حَيثُ الجهلُ بالعقيدةِ ومسائلِ الاعتقادِ . . . ؟

فأجابَ رحمه الله: «بالإضافَةِ لما وَرَدَ في السؤالِ ـ السَّابِقِ ذكرُهُ آنفًا ـ من سوءِ واقِعِ المسلمينَ، نقولُ: إنَّ هذا الواقِعَ الأليم ليسَ شرًّا مما كانَ عليهِ واقِعُ العربِ في الجاهليَّةِ حينَما بُعِثَ إليهم نبيُّنا محمد ﷺ؛ لوُجودِ الرِّسالَةِ بينَنَا، وكمالها، ووجودِ الطائِفَةِ الظاهِرَةِ على الحقِّ، والتي تَهدي بِهِ، وَتَدعو النَّاسَ للإسلامِ الصَّحيحِ: عَقيدةً، وَعِبادةً، وَسُلوكاً، وَمَنهجاً، ولا شكَّ بأنَّ واقِعَ أولئكَ العربِ في عَصرِ الجاهليَّةِ مُمَاثِلٌ لِما عَليهِ كَثيرٌ مِن طَوائِفِ المسلمينَ اليومَ.

بِناءً على ذَلكَ نَقولُ: العلاجُ هو ذاكَ العِلاجُ، والدَّواءُ هَو ذاكَ الدَّواءُ، فَبِمثلِ ما عَالَجَ النبي ﷺ تِلكَ الجاهليَّةِ الأولى، فَعَلى الدُّعاةِ الإسلاميينَ اليومَ ـ جميعهم ـ أن يُعالِجوا سُوءَ الفهمِ لمعنى (لا إله إلا الله)،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَاب (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ) ١/ ١٧.

ويُعالِجوا واقِعهُم الأليم بِذاكَ العلاجِ والدواءِ نَفسِهِ، وَمَعنى هذا واضِحٌ جداً؛ إذا تَدبَّرنا قولَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]»[١].

ثُمَّ بَيَّنَ رَحِمَهُ اللهُ **بأنَّ على الدُّعاةِ** اليومَ أن يسلُكُوا السبيلَ الذي سَلَكَهُ النبيُّ ﷺ، فلا خُروجَ بالأمَّةِ مِن الواقِعِ الذي هي فيهِ إلا بِذلكَ، **فَقَالَ** رَحِمَهُ اللهُ:

«فَرسولُنا ﷺ هو الأسوَةُ الحسنَةُ في مُعالَجَةِ مَشاكِلِ المسلمينَ في عالَمِنا المُعاصِرِ وفي كُلِّ وَقتٍ وَحينٍ، وَيَقتَضي ذلك مِنَّا أن نَبدأَ بِما بَدأَ بِهِ نبيُّنا ﷺ وَهو إصلاحُ مَا فَسَدَ مِن عَقائِدِ المسلمينَ أوَّلاً، وَمِن عِبادَتِهِم ثانياً، وَمِن سُلوكِهِم ثالثاً»[٢].

ثُمَّ إنَّه رَحِمَهُ اللهُ **قد أنكَرَ** على كَثيرٍ من المُنتسبينَ إلى حَقْلِ الدعوةِ جَهلَهُم ـ أنفُسَهُم ـ بِمَعنى هذهِ الكلمَةِ الطَّيِّبَةِ، فَكَيفَ يَسْتَطيعونَ إيصالَها إلى النَّاسِ وهُم لَم يَفهَمُوها بَعدُ، **فَقَالَ** رَحِمَهُ اللهُ:

«الدعاةُ اليومَ ـ مَعَ الأسفِ الشَّديدِ ـ يَدخُلُ فيهِم كُلُّ مُسلمٍ وَلَو كانَ على فَقرٍ مُدقِعٍ مِن العِلمِ، فَصاروا يَعُدُّونَ أنفُسَهُم دُعاةً إلى الإسلامِ، وإذا تَذكَّرنا تِلكَ القاعِدةَ المعروفَةَ ـ لا أقولُ: عِندَ العُلماءِ فَقَط بَل عِندَ العُقلاءِ جَميعًا ـ تِلكَ القاعدةُ التي تَقولُ: فَاقِدُ الشيءِ لا يُعطِيهِ، فإنَّنا نَعلَمُ اليومَ بأنَّ هُناكَ طائفةً كَبيرةً جِداً يُعَدُّون بالملايينِ من المسلمينَ تَنصرِفُ الأنظارُ إليهِم حينَ يُطلَقُ لفظةُ: الدُّعاةِ؛ وأعني بِهِم: جَماعَةَ الدَّعوَةِ، أو: جَماعَةَ

---

(١) التوحيد أولاً ٦.

(٢) المصدر نفسه ٧.

التَّبليغِ، وَمَعَ ذلك فأكثرُهُم كَما قالَ الله عز وجل: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]»(١).

ثُمَّ إِنَّه أنكَرَ على الدُّعاةِ إعراضَهُم عن الاهتمامِ بهذا الأصلِ الأصيلِ؛ وهُوَ أن يبدءوا أولاً بِما بَدَأَ به جَميعُ الأنبياءِ عليهم السلام مِن نوحٍ إلى نبيِّنا ﷺ وهو الدَّعوةُ إلى التوحيدِ، **فقالَ** رحمه الله:

«وَمَعلومٌ مِن طَريقَةِ دَعوتِهِم أنَّهُم قد أعرَضُوا بالكُليَّة عن الاهتمامِ بالأصلِ الأوَّلِ ـ أو بالأمرِ الأهمِّ ـ من الأُمورِ التي ذَكرتُ آنفًا، وأَعني: العَقيدَةَ والعِبادَةَ والسُّلوكَ، وأعرَضوا عن الإصلاحِ الذي بَدأَ بِهِ الرَّسولُ ﷺ بَلْ بدأَ بِهِ كُلُّ الأنبياءِ، وَقَد بَيَّنه الله تعالى بِقَولِهِ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، فَهُم(٢) لا يَعنُونَ بِهذا الأصلِ الأصيلِ والرُّكنِ الأوَّلِ مِن أركانِ الإسلامِ ـ كما هو مَعلومٌ لَدى المسلمينَ جميعًا ـ هذا الأصلُ الذي قامَ يَدعو إليهِ أوَّلُ رَسولٍ من الرُّسُلِ الكِرامِ؛ ألا وهُو نوحٌ ﷺ قُرابَةَ ألفِ سنةٍ، والجَميعُ يَعلَمُ أن الشرائعَ السابِقة لَم يَكُن فيها من التَّفصيلِ لأحكامِ العباداتِ والمعاملاتِ ما هُوَ مَعروفٌ في دينِنا هذا؛ لأنَّهُ الدِّينُ الخاتَمُ للشرائعِ والأديانِ، وَمَعَ ذلكَ فَقد لَبِثَ نوحٌ في قَومِهِ ألفَ سنةٍ إلا خمسينَ عاماً يَصرِفُ وَقتَهَ وجُلَّ اهتمامِهِ للدعوَةِ إلى التوحيدِ، وَمَع ذلك أعرَضَ قومُهُ عن دَعوتِهِ كما بيَّن الله ـ عز وجل ـ ذلكَ في مُحكَمِ التَّنْزيلِ ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

فَهذا يَدُلُّ دِلالَةً قَاطِعَةً على أنَّ أهمَّ شيءٍ يَنبغي على الدُّعاةِ إلى

---

(١) التوحيد أولاً ٧.

(٢) أي: هؤلاء الدعاة المذكورون.

الإسلامِ الحقِّ الاهتمامَ بِهِ دائمًا هُوَ: الدعوةُ إلى التوحيدِ، وهو مَعنى قَولِهِ ـ تبارَكَ وتعالى ـ : ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] هكذا كانَت سُنَّة النبيِّ ﷺ عَملاً وتَعليماً»[١].

رابعاً: وجوبُ إفرادِ الله بالعبادَةِ:

١ ـ تعريفُ العبادةِ: ذَكَرَ الشيخُ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله تعريفاً عامّاً للعبادَةِ فقالَ: «هي التذلُّلُ لله محبَّةً وتعظيماً بِفِعلِ أوامِرِهِ واجتنابِ نواهِيهِ، على الوجهِ الذي جاءَت بِهِ شرائِعُهُ»[٢].

وأمَّا على التفصيلِ فَقَد عرَّفَها شيخُ الإسلامِ ابن تيميَّة رحمه الله بقولِهِ:

«العبادَةُ هي اسمٌ جامِعٌ لِكلِّ ما يُحِبُّهُ الله ويرضاهُ من الأقوالِ والأعمالِ الباطنةِ والظاهرةِ، فالصلاةُ والزَّكاةُ والصيامُ والحجُّ وَصِدقُ الحديثِ وأداءُ الأمانَةِ وبِرُّ الوالدَينِ وَصِلةُ الأرحامِ والوفاءُ بالعهودِ والأمر بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ والجهاد للكفَّارِ والمنافقين والإحسانِ إلى الجارِ واليَتيم والمسكينِ وابنِ السَّبيلِ والمملوكِ من الآدميينَ والبهائِمِ والدُّعاءِ والذِّكرِ والقِراءَةِ وأمثالِ ذلكَ مِن العِبادَةِ، وكذلكَ حُبُّ الله ورسولِهِ وخَشيَةِ الله والإنابَةِ إليهِ وإخلاصِ الدِّينِ لَهُ والصبرِ لحُكمِهِ والشكرِ لِنِعمِهِ والرِّضا بقضائِهِ والتوكُّلِ عليهِ والرجاءِ لرحمتِهِ والخوفِ لعذابِهِ وأمثالِ ذلك هي مِن العبادةِ للهِ»[٣].

«والعِبادةُ تُبنى على ثَلاثَةِ أركانٍ:

---

(١) التوحيد أولاً ٨ ـ ٩.
(٢) شرح ثلاثة الأصول ٣١.
(٣) مجموع الفتاوى ١٠/ ١٥٠.

الأولُ: كَمالُ الحبِّ للمَعبودِ سُبحانَهُ، كَما قالَ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

الثاني: كَمالُ الرَّجاءِ، كَما قالَ تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ﴾ [الإسراء: ٥٧].

الثالثُ: كمالُ الخوفِ مِنَ الله سبحانَهُ، كما قالَ سُبحانه: ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]»(١).

٢ ـ أركانُ العبادَةِ: إن للعبادَةِ رُكنَينِ أساسيَّينِ لا تَكونُ مقبولةً إلا بِهِما:

الأوَّلُ: أن تكونَ خالِصَةً لله عزَّ وجلَّ، فإنَّ الله سبحانَهُ لا يقبَلُ عملاً إلا إذا كَانَ خالِصاً لِوجهِهِ، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وقولُهُ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، وقولُهُ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾ [الزمر: ١٤]، وقولُ النبيِّ ﷺ: **(قالَ اللهُ تعالى: أنا أغنى الشُّركاءِ عَن الشِّركِ فَمَن عَمِلَ عَمَلاً وأشرَكَ فيهِ غَيري فأنا مِنهُ بَراءٌ وَهُوَ لِمَن عمِلَ لَهُ)**(٢).

الثاني: أن يَكُونَ موافِقاً لِسنَّةِ النبيِّ ﷺ وَهَديِهِ وَطَريقَتِهِ، فَلا يَقبَلُ الله عَمَلاً إلا إذا كَانَ صَواباً على السُّنَّةِ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]، وقال النبيُّ ﷺ: **(وَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيسَ عَليهِ أَمْرُنا فَهُوَ رَدٌّ)**(٣).

---

(١) شرح أصول الإيمان ٢٩.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقاق، بَاب من أَشْرَكَ في عَمَلِهِ غير اللَّهِ ٤/٢٢٨٩.
(٣) صحيح البخاري، كتاب البيوع، بَاب النَّجْشِ... ٢/٧٥٣.

قال الفُضيلُ بن عِياض رَحِمَهُ اللهُ في قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، قالَ: «أخلَصُهُ وأصوَبُهُ فإنَّهُ إذا كانَ خالِصاً ولَم يَكُن صَواباً لم يُقبَل وإذا كانَ صواباً ولم يَكُن خالِصاً لم يُقبَل حتى يَكونَ خالِصاً، والخالِصُ إذا كانَ لله، والصوابُ إذا كانَ على السُّنَّةِ»(١).

قال الحافِظُ ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ:

«هذانِ رُكنا العملِ المُتَقَبَّلِ: لا بُدَّ أن يكُونَ خالِصاً لله، صَواباً على شَريعَةِ رسولِ الله ﷺ»(٢).

ومن الآياتِ التي جَمعَت هذينِ الرُّكنينِ لِقَبولِ العمَلِ قَولُهُ تعالى في سورَةِ الكهفِ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

ولقد بيَّنَ الشَّيخُ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ هذينِ الرُّكنَينِ لقَبُولِ العَمَلِ في عدة مواضع من كتبهِ، ومِن ذلكَ قولُهُ:

«وقد تبيَّنَ من الكتابِ والسُّنَّةِ أنَّ العمَلَ حتى يَكُونَ صالِحاً مَقبولاً يُقرِّبُ إلى الله سبحانَهَ فلا بُدَّ من أن يَتوفَّرَ فِيهِ أمرانِ هامَّانِ عظيمانِ:

أولُهما: أن يكُونَ صاحِبُهُ قَد قَصَدَ بِهِ وجْهَ الله عزَّ وجلَّ.

وثانيهِما: أن يكونَ موافقاً شِرْعَةَ الله تبارَكَ وتعالى في كِتابِهِ أو بَيَّنَهُ رسولُهُ في سُنَّتِهِ فإذا اختَلَّ واحدٌ من هذينِ الشَّرطَينِ لم يَكُن العَمَلُ صالحاً ولا مَقبولاً.

ويدلُّ على هذا قولُهُ تبارَكَ وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٩٥.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ١٠٩.

أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، فَقَد أمَرَ سبحانَهُ أن يَكونَ العملُ صالِحاً أي مُوافِقاً للسُّنَّةِ ثُمَّ أمَرَ أن يُخلِصَ بِهِ صاحِبُهُ لله لا يبتَغِي بِهِ سواهُ»[١].

وأوردَ رَحِمَهُ اللهُ حَديثَ عائِشَةَ لما سأَلت رسولَ الله ﷺ عن قَولِ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] فَقالَت: هُمُ الذينَ يشرَبونَ الخَمرَ ويُسرِفونَ؟ قالَ: (**لا يا بِنتَ الصِّدِّيقِ، ولكنَّهم الذينَ يَصومونَ وَيُصلُّونَ ويتصدَّقونَ وَهُم يَخافونَ أن لا يُقبَلَ مِنهُم** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [المؤمنون: ٦١])[٢]، **قال عَقِبَهُ**: «قُلتُ: والسِّرُّ في خَوفِ المؤمنينَ أن لا تُقبَلَ مِنهُم عِبادَتُهُم؛ ليسَ هو خَشيَتَهُم أن لا يوفِّيَهُم الله أُجورَهُم. . . . إنَّما السِّرُّ أن القَبولَ مُتعلقٌ بالقِيامِ بالعبادَةِ كما أمَرَ الله عزَّ وجلَّ، وهم لا يَستَطيعونَ الجَزْمَ بأَنَّهُم قاموا بِها على مُرادِ الله، بل يظنُّونَ أنَّهم قصَّروا في ذلك، ولِذا فَهُم يَخافون أن لا تُقبَلَ مِنهُم.

فَليتأملِ المؤمنُ هذا عَسى أن يزدادَ حِرصاً على إِحسانِ العبادَةِ والإتيانِ بِها كَما أَمَرَ اللهُ، **وذلك بالإخلاصِ فيها لَهُ، واتِّباعِ نبيِّه ﷺ في هديِهِ فيها**، وذلكَ معنى قَولِه تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]»[٣].

٣ ـ ذِكرُ بعضِ أنواعِ العبادَةِ:

والعِبادةُ على أنواعٍ كثيرةٍ، فهي كما تَقَدَّم مِن تعريفِها أقوالٌ

---

(١) التوسل أنواعه وأحكامه للألباني ١٦.
(٢) سنن الترمذي، كتاب الزهد، بَاب التَّوَقِّي على الْعَمَلِ ٥/٣٢٧.
(٣) السلسلة الصحيحة ١/٣٠٥ ـ ٣٠٦.

وأفعالٌ، ظاهرةٌ وباطنةٌ، وَكُلُّ ما يُحِبُّهُ الله وَيَرضاهُ مِنها فَهوَ عبادَةٌ، وفيما يلي ذِكرُ بعضِ أنواعِها على سَبيلِ التمثيلِ لا الحصرِ:

الدعاءُ:

وهو مِن أعظمِ أنواعِ العبادَةِ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ١٤]، وقالَ سبحانه: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وقالَ سبحانه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥ ـ ٦].

قال شَيخُ الإسلامِ ابن تيميَّة:

«فكُلُّ مَن دَعا غيرَ الله فهوَ مُشرِكٌ، والعِيانُ يُصدِّقُ هذا؛ فإنَّ المخلوقينَ إذا اشتكى إليهِم الإنسانُ فَضرَرُهُم أقرَبُ من نَفعِهِم، والخالِقُ جلَّ جلالُهُ وَتَقَدَّسَت أسماؤهُ ولا إله غَيرُهُ إذا اشتَكى إليهِ المخلوقُ وأنزَلَ حَاجَتَهُ بِهِ واستغفَرَهُ من ذُنوبِهِ أيَّدَهُ وقوَّاهُ وَهَداهُ وَسَدَّ فَاقَتَهُ وأغناهُ وقرَّبَهُ وأقناهُ وأحبَّهُ واصطفاهُ، والمخلوقُ إذا أنزَلَ العَبدُ بِهِ حاجَتَهُ استَرْذَلَهُ وازدراهُ ثم أعرَضَ عنهُ»[١].

وَدَليلُ الدعاءِ مِن السُّنَّةِ قولُهُ ﷺ: «**الدعاءُ هو العِبادَةُ، ثُمَّ قرأَ:** ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]»[٢].

قالَ الشيخُ الألبانيُّ رحمه الله شارحاً هذا الحديثَ الشَّريفَ:

«وإن مما لا شكَّ فِيهِ أن الاستِكبارَ عَن عِبادَتِهِ تعالى ودُعائِهِ؛

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٤٠.
(٢) سنن أبي داود، باب الدعاء ٢/ ٧٦.

يَستَلزِمُ غَضَبَ الله تعالى على مَن لا يَدعُوهُ... وَقَد غَفَلَ عن هذهِ الأحاديثِ بعضُ جَهلَةِ الصوفيَّةِ أو تَجاهَلوها، بَزعمِهِم أن دُعاءَ الله سوءُ أدَبٍ مع الله؛ مُتأثِّرينَ في ذلكَ بالأثَرِ الإسرائيليِّ: «عِلمُهُ بحالي يُغني عَن سؤالي»!.

فَجهِلوا أن دُعاءَ العَبدِ لربِّهِ لَيسَ من بابِ إعلامِهِ بحاجَتِهِ إليه سُبحانَهُ وتعالى، فَهو: ﴿يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾ [طه: ٧]، وإنَّما مِن بابِ إظهارِ عُبوديَّتِهِ وَحاجَتِهِ إليهِ وَفَقرِهِ»[١].

وقال الشَّيخُ الألبانيُّ في موضعٍ آخَرَ:

«قالَ الطيبيُّ في شَرحِهِ: أتى بضميرِ الفصلِ والخبَرِ المعرَّفِ باللَّامِ [هو العبادةُ] ليدُلَّ على الحَصرِ، وأنَّ العبادَةَ لَيسَت غيرَ الدُّعاءِ.

وَقالَ غيرُهُ: المعنى هو مِن أعظَمِ العِبادةِ فَهو كَخَبَرِ **(الحجُّ عَرَفَةُ)**[٢] أي رُكنُهُ الأكبَرُ، وَذَلك لدلالتِهِ على أنَّ فاعِلَهُ يُقبِلُ بوجهِهِ إلى الله، مُعرِضاً عمَّا سِواهُ، لأنَّه مَأمورٌ بِهِ، وَفِعلُ المأمورِ عِبادةٌ، وَسمَّاهُ عبادةً ليخضَعَ الداعي ويُظهِرَ ذِلَّتهُ وَمَسكنَتَهُ وافتِقارَهُ، إذ العبادَةُ ذُلٌّ وَخُضوعٌ وَمَسكَنَةٌ.

قُلتُ: فإذا كان الدُّعاءُ مِن أعظمِ العبادةِ؛ فَكيفَ يُتَوَجَّهُ بِهِ إلى غيرِ الجِهةِ التي أُمِرَ باستقبالِها في الصلاةِ، ولذلكَ كَانَ مِن المقرَّرِ عند العلماءِ المحقِّقينَ أنَّه: لا يُستَقبَلُ بالدُّعاءِ إلا ما يُستَقبَلُ بالصلاةِ».

ثم قرَّرَ الشيخُ الألبانيُّ في مَوضعٍ آخرَ بأنَّ الأصلَ في الدُّعاءِ الإسرارُ لا الجهرُ، فَقَالَ:

---

(١) السلسلة الصحيحة ٦/ ٣٢٦.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الحج، بَاب ما جاء فِيمَنْ أَدْرَكَ الْإِمَامَ بجَمْعٍ ٣/ ٢٣٧.

«ومِن المعلوم أن التأمينَ دُعاءٌ والأصلُ فيهِ الإسرارُ لِقولِهِ تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]»(١).

والدعاءُ لا يَجُوزُ صرفُهُ إلا لله عزَّ وجلَّ، فَمَن دَعا غَيرَ الله بِشيءٍ لا يَقدِرُ عَلَيهِ إلا الله فَهوَ مُشرِكٌ كافِرٌ، قال الشيخُ مُحمَّد بن صالح بن عُثيمين رَحِمَهُ الله:

«الدعاءُ يَنقَسِمُ إلى ثَلاثةِ أقسامٍ:

الأولُ: جائِزٌ، وهوَ أن تَدعوَ مَخلوقاً بأمرٍ من الأمورِ التي يُمكِن أن يُدرِكَها بأشياءَ مَحسوسةٍ مَعلومةٍ، قال ﷺ في حُقوقِ المسلِم على أخيهِ: (وإذا دعاكَ فأجِبهُ)(٢)، وقالَ ﷺ: (وتُعينُ الرجُلَ في دابَتِهِ)(٣).

الثاني: أن تَدعوَ مخلوقاً مُطلقاً ـ سواء كان حياً أو ميتاً ـ فيما لا يَقدِر عَليهِ إلا الله فهذا شِركٌ أكبر، لأنَّ هذا مِن فِعلِ الله لا يَستَطيعُهُ البَشَرُ، مِثل: يا فُلانُ اجعل ما في بَطنِ امرأتي ذَكَراً.

الثالث: أن تَدعوَ مخلوقاً لا يُجيبُ بالوسائِلِ الحسيَّةِ المعلومَةِ كَدُعاءِ الأمواتِ فهذا شِركٌ أكبر أيضاً، لأنَّ هذا لا يَقدِرُ عليهِ المدعوُّ ولا بُدَّ أن يَعتَقِدَ فيهِ الداعي شيئاً سِريّاً يُدَبِّرُ بِهِ الأُمورَ»(٤).

---

(١) تمام المنة في التعليق على فقه السنة للألباني ١٧٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب السلام، بَاب من حَقِّ الْمُسْلِمِ لِلْمُسْلِمِ رَدُّ السَّلَامِ ٤/ ١٧٠٥.

(٣) المصدر نفسه،كتاب الزكاة، بَاب بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ.. ٢/ ٦٩٩.

(٤) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٢/ ١٢٩ ـ ١٣٠.

والدعاءُ نوعانِ:

الأولُ: دُعاءُ المسألَةِ: وهو دُعاءُ الطَّلَبِ، وهو أن يَطلُبَ العبدُ حاجَتَهُ من الله عزَّ وجلَّ.

الثاني: دُعاءُ العبادةِ: وهو التَّعبُّد للمدعوِّ طَمَعاً في ثوابِهِ وَهَرَباً مِن عِقابِهِ، وهذا النوعُ إذا صُرِفَ لغيرِ الله عزَّ وجلَّ فَهوَ شِركٌ أكبَرُ.

ومِن أنواعِ العِبادةِ: **الاستغاثَةُ**:

وهي طَلَبُ الغَوثِ، وهو الإنقاذُ من الشَّدائِدِ والهلَكاتِ، وَدَليلُ الاستغاثَةِ قولُهُ تعالى: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ**﴾ [الأنفال: ٩]، وهذا النَّوعُ مِن العِبادَةِ كثيراً ما يَقَعُ الشِّركُ فيهِ عِندَ الصوفيَّةِ وعُبَّادِ القبورِ، فَهم يَستَغيثونَ بالأولياءِ وغيرِهِم مِن دونِ الله عزَّ وجلَّ، فَتراهُم يَقولونَ: يا فُلانُ أغثني، أو: الغوثَ يا فُلانُ، وهذا شِركٌ أكبرُ يَنقُلُ عَن الملَّةِ.

وقد كانَ الشيخُ الألبانيُّ من أبرزِ المدافعينَ عن مَقامِ التوحيدِ، فَقَد كانَت لهُ مَع هؤلاءِ الخُرافيِّينَ الَّذينَ يَستَغيثُون بغيرِ الله تعالى وَقَفاتٍ مُشرِّفةٍ، وَمِن ذلك قَولُهُ:

«وإنَّ مما يأسَفُ لَهُ كُلُّ مُسلم طاهِرِ القلبِ؛ أن يَجِدَ كثيراً من المسلمينَ قَد وَقَعوا في مُخالفَةِ شَريعَةِ سيدِ المرسلينَ ﷺ التي جاءَت بالابتعادِ عن كُل ما يَخدِجُ بالتوحيدِ ثمَّ يَزدادُ أسفاً حين يرى قليلاً أو كثيراً من المشايِخِ يُقرُّونهم على تِلكَ المخالَفةِ بدعوى أن نيَّاتِهم طيِّبَة، وَيَشهدُ الله أنَّ كَثيراً مِنهُم قَد فَسَدَت نياتُهُم وَرانَ عليها الشِّركُ بِسبَبِ سُكوتِ أمثالِ هؤلاءِ المشايخِ؛ بَل تَسويغهم كُل ما يَرونَهُ من مَظاهرِ الشركِ بِتلكَ الدَّعوى الباطلَةِ! أينَ النيَّةُ الطَّيِّبَةُ يا قَومُ مِن أناسٍ كلَّما وَقَعوا

في ضيقٍ جاءوا إلى مَيتٍ يَرونَهُ صالِحاً فَيدعونَهُ مِن دونِ الله ويستغيثونَ بِهِ وَيَطلبونَ مِنهُ العافيَةَ والشِّفاءَ وَغيرِ ذلكَ مما لا يُطلَبُ إلا مِن الله وما لا يَقدِرُ عَليهِ إلا الله؟! بَل إذا زَلَّت قدمُ دابَّتِهم نادَوا: يا الله يا بازُ! بينَما هؤلاءِ المشايخُ قد يَعلمونَ أنَّ النبي ﷺ سمِعَ يوماً بعضَ الصحابَةِ يقولُ لهُ: ما شاءَ الله وَشِئتَ فَقالَ: (**أجعلتني لله ندًّا؟**)(١)، فإذا كانَ هذا إنكارُ رسولِ الله ﷺ عَلى مَن آمنَ بِهِ ﷺ فِراراً مِن الشِّركِ، فَلِماذا لا يُنكِرُ هؤلاء المشايخُ على الناسِ قَولَهم: يا الله يا بازُ، مع أنَّهُ في الدلالةِ على الشركِ أوضَحُ وأظهَرُ مِن كَلِمَةِ ما شاءَ الله وَشئتَ؟ ولماذا نَرى العامَّةَ يَقولونَ دونَ أي تَحَرُّجٍ: تَوكلنا على اللهِ وَعَليكَ وما لَنا غيرُ الله وأنتَ؟ ذلك لأنَّ هؤلاءِ المشايخ إما أنَّهم مِثلُهم في الضَّلالِ وَفاقِدُ الشيءِ لا يُعطيهِ، وإما أنَّهُم يُدارونَهُم بل يُداهِنوهُم كي لا يوصَموا بِبَعضِ الوصماتِ التي تَقضي على وَظائِفِهم وَمَعاشاتِهم غيرَ مُبالين بِقولِ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]»(٢).

وقالَ رحمه الله في مَوضعٍ آخرَ:

«المُصيبةُ العُظمى التي وَقَعَ فيها كَثيرٌ مِن عامَّةِ المسلمينَ، وَبَعضِ خاصَّتِهم، ألا وهي الاستغاثةُ بالأنبياءِ والصالحينَ مِن دونِ الله تعالى في الشَّدائِدِ والمصائِبِ، حتى أنكَ لَتَسمَعُ جَماعاتٍ مُتعدِّدَة عِندَ بَعضِ القُبورِ يَستَغيثونَ بأصحابِها في أمورٍ مُختلفةٍ، كأنَّ هؤلاءِ الأمواتِ يَسمعونَ ما يُقالُ لَهُم، وَيُطلبُ مِنهم مِن الحاجاتِ المختلفَةِ بِلُغاتٍ مُتبايِنَةٍ، فَهُم عِند

(١) السنن الكبرى للنسائي ٦/ ٢٤٥.
(٢) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد للألباني ١٠٧ ـ ١٠٩.

الـمُستغيثينَ بِهِم يَعلَمونَ مُختَلِفَ لُغاتِ الدنيا، ويُميِّزونِ كُلَّ لُغةٍ عن الأخرى، وَلَو كانَ الكلامُ بِها في آنٍ واحِدٍ، وهذا هو الشِّركُ في صِفاتِ الله تعالى الذي جَهِلهُ كَثيرٌ من النَّاسِ، فَوَقعوا بِسَببِهِ في هذه الضَّلالةِ الكُبرى»(١).

ثم إنَّهُ رَحِمَهُ اللهُ قد ذَكَرَ ما جَرى بَينَهُ وَبَين بَعضِ المجيزينَ لِهذِهِ الاستغاثَةِ الشركيَّةِ، وأسوقُها هنا حَتى يَتبيَّن كَم كانَ الشيخُ رَحِمَهُ اللهُ مُدافِعاً عَن العقيدةِ الصحيحَةِ وَنابذاً كلَّ ما يُضادُّها، **قالَ** رَحِمَهُ اللهُ:

«وَلَقد جَرى نِقاشٌ طَويلٌ بَعدَ بِضعِ سنين مِن تأليفهِ بَيني وَبَين أحدِ الخُطباءِ يَوم الجُمُعَةِ في بَيتِهِ حولَ الاستغاثةِ بِغيرِ الله، فَصَرَّحَ الشيخُ بِجَوازِها بَحجَّةِ أن المُستغيثَ يَعلَمُ أن الميِّتَ لا يَضرُّ ولا يَنفَعُ! فَقُلتُ لهُ: لو كان الأمرُ كذلك فَلِماذا يُناديهِ؟ قالَ: واسطةٌ، قُلتُ: الله أكبر: قُلتُم: كَما قَالَ غيرُكُم ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، ثُم قُلتُ لَهُ: فإذا كُنتُم تَعتقِدونَ حَقاً أنَّهم لا يَعتقِدُونَ فيهم ضَراً ولا نَفعاً فَهل تَرى بَأساً مِن أن يَكشِفَ المُستغيثُ بغيرِ الله عن عَقيدتِهِ التي تَزعمها بِقولِهِ: يا بازُ؟ يا من لا يَضرُّ ولا يَنفعُ؟ فَقَالَ: نَعم يَجوزُ، قلتُ: فهذا أكبرُ دَليلٍ على أنَّكَ أنتَ فَضلاً عن العامَّةِ تَرى في نِدائِهِم نَفعاً، وإلا سوَّيتُم بَين نِدائِهِم وَبَين نِداءِ الجماداتِ والأحجارِ بَل الأصنام، وما أظنُّكُم تَرونَ جَوازَ نِدائِها أيضاً بِحُجةِ أنَّها لا تَضرُّ ولا تَنفعُ! فَبُهِتَ، ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢]»(٢).

ثم إنه رَحِمَهُ اللهُ **قد بيَّنَ** بأنَّ هذه العَقيدةَ الفاسِدَةَ التي هي عِندَ كَثيرٍ من

---

(١) حياة الألباني ١/ ٤٣٢.

(٢) تحذير الساجد ١٠٨.

المسلمينَ قد استغلَّها أعداءُ الإسلامِ مِن المشركينَ وَغيرِهم حتى أنَّهم صاروا يَصِفُونَهُم بأنَّهم كاليهودِ، فَقَالَ:

«يا حَسرةً على هؤلاءِ المسلمينَ لَقَد كان المفروضُ فيهم أن يكونوا دُعاةً لجميعِ النَّاسِ إلى دينِ التوحيدِ وَسَبباً لإنقاذِهِم من الوثنيَّةِ وأدرانِها ولكنَّهم بِسَببِ جَهلِهِم بدينِهِم واتِّباعِهِم أهواءهم عَادوا مَضرَبَ مَثَلٍ للوثنيَّةِ مِن قِبَلِ المشركينَ أنفسِهِم فصاروا يَصفُونَهم بأنَّهم كاليهودِ في بِنائِهِم المساجِدَ على القُبورِ»(١).

ثُمَّ نَقَلَ ﷺ كَلاماً للأستاذِ عَبدِ الرحمنِ الوكيلِ ﷺ أنقلُهُ هنا لأهميَّتِهِ وَصِلتِهِ بالموضوعِ:

«وَقَد سَجَّلَ على المسلمينَ هذه الوثنيَّة المستشرقُ الإنكليزيُّ اللئيمُ (ادوارد لين) في كِتابِهِ (المصريون المحدثون) فقال: (ص ١٦٧ ـ ١٨١):

«وَيَحمِلُ المسلمونَ وَبِخاصَّةٍ المصريونَ على اختلافِ مَذاهِبِهِم ـ مَا عدا الوهابيينَ ـ للأولياءِ الـمُتَوَفَّيْنَ احتِراماً وَتَقديساً **لا سَنَدَ لَهُما من القرآنِ أو الأحاديثِ أكثرَ مما يَحمِلونَ للأحياءِ مِنهَم، وَيُشَيِّدونَ فَوقَ أغلَبِ قُبورِ الأولياءِ المشهورينَ مَساجِدَ كَبيرةً وَجَميلةً**، وَيَنصِبونَ فَوقَ قُبورِ مَن هُم أقلّ شُهرةً مِنهم بناءً صَغيراً مُبيَّضاً بالكِلسِ وَمُتَوَّجاً بِقُبَّةٍ ويُقامُ فوقَ البرِّ مباشرةً نَصبٌ مُستطيلٌ من الحجرِ أو القِرميدِ يُسمّى تَركيبةً، أو من الخشبِ وَيُسمّى تابوتاً وَيُغطّى النَّصبُ عادةً بالحريرِ أو الكتَّانِ المطرَّزِ بالآياتِ القرآنيةِ ويُحيطُ بهِ قُضبانٌ أو سِترٌ من الخشبِ يُسمّى مَقصورةً، وأكثرُ أضرحةِ الأولياءِ في مِصرَ مَدافِن، إلا أنَّ أكثرها يَحتوي على آثارٍ

(١) المصدر نفسه ١٠٩.

قليلةٍ لَهم وَبعضُها لَيست إلا قُبوراً فارِغةً أُقيمت تِذكاراً للميتِ ـ إلى أن يَقولَ ـ وَقَد جَرَت العادةُ أن يَقومَ المسلمونَ كَما كانَ يَفعَلُ اليهودُ بتجديدِ بِناءِ قُبورِ أوليائِهِم وَتَبييضِها وَزَخرفتِها وَتَغطيَةِ التَّركيبةِ أو التَّابوتِ أحياناً بِغِطاءٍ جَديدٍ وأكثَرُ هؤلاءِ يَفعَلونَ ذلكَ رِياءً كما كانَ يَفعَلُ اليهودُ»(١).

والاستغاثَةُ أنواعٌ؛ قالَ الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

«**الأولُ**: الاستغاثةُ بالله عز وجل وهذا مِن أفضلِ الأعمالِ وأكملِها وَهو دَأبُ الرُّسُلِ وأتباعِهِم. . .

الثاني: الاستغاثَةُ بالأمواتِ أو بالأحياءِ غَيرِ الحاضِرينَ القادِرينَ على الإغاثةِ؛ فهذا شِركٌ؛ لأنَّه لا يَفعَلُهُ إلا مَن يَعتَقِدُ أنَّ لهؤلاءِ تَصرُّفاً خَفيّاً في الكونِ فَيجعَلَ لهُم حَظّاً من الربوبيَّةِ، قال الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

الثالثُ: الاستغاثةُ بالأحياءِ العالِمِينَ القادِرينَ على الإغاثةِ؛ فَهذا جائِزٌ كالاستعانَةِ بِهِم، قال الله تعالى في قِصَّةِ موسى: ﴿فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥].

الرابعُ: الاستغاثةُ بِحَيٍّ غَيرِ قَادِرٍ مِن غَيرِ أن يَعتَقِدَ أنَّ لَهُ قُوةً خَفيَّةً؛ مِثلَ أن يَستَغيثَ الغَريقُ بِرَجُلٍ مَشلولٍ؛ فَهذا لَغوٌ وَسُخريَةٌ بِمَن استغاثَ بِهِ فَيمنعُ مِنهُ لِهذهِ العلَّةِ، ولِعلَّةٍ أخرى وهي الغَريقُ ربَّما اغترَّ بذلك غَيرُهُ فَتوهَّمَ أنَّ لِهذا المشلولِ قُوةً خَفيَّةً يُنقِذُ بها مِن الشدَّةِ»(٢).

(١) تحذير الساجد ١٠٩ ـ ١١٠، نقلاً عن كتاب «عوة الحق» ص: ١٧٦ ـ ١٧٧.
(٢) شرح ثلاثة الأصول ٦٠ ـ ٦١.

خامساً: حمايةُ النبيِّ ﷺ جنابَ التوحيدِ:

إن المتتبعَ لسيرةِ النبي ﷺ والناظرَ في حديثِهِ يَرى إنَّه كَانَ حَريصاً أشدَّ الحرصِ على أمَّتِهِ، لِتَكونَ عَزيزةً مَنيعةً، مُحقِّقَّةً لِتَوحيدِ اللهِ عزَّ وجلَّ، مُجانِبَةً لكلِّ سَبَبٍ مُوصِلٍ إلى ما يُضادّ التوحيدَ أو يُقرِّبُ مِن الشركِ، وَقَد أشارَ القرآنُ الكريمُ إلى ذلكَ بِقولِهِ تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وَلَقد كانَ النبيُّ ﷺ شَديدَ التَّحذيرِ لأمَّتِهِ من الشِّركِ وأسبابِهِ ووسائِلِهِ وكلِّ ما يُفضي إليهِ أو يُقرِّب مِنهُ، حَريصاً على حِمايةِ التوحيدِ مِن كُلِّ ما قَد يَشوبُهُ من الأقوالِ والأعمالِ التي يَنتَفي بِسَببِها التوحيدُ أو يَنتَقِصُ.

وفيما يأتي من المطالِبِ نَعرِضُ بِتفصيلٍ كَيفَ كانَ النبيُّ ﷺ يَحرِصُ على حِمايَةِ جَنابِ التوحيدِ، وَسدِّ كلِّ طَريقٍ يؤدي إلى الشِّركِ والباطِلِ.

١ ـ الرُّقى:

تعريفُ الرُّقى:

لغةً: الرُّقية العَوذَة، قال رؤبة[١]:

فما تَرَكا من عَوذَةٍ يَعرفانها ولا رُقيَةٍ إلا بِها رَقَياني

والجَمْعُ رُقى، وَتَقول: استَرقَيتُه فَرَقاني رُقيَةً فَهوَ راقٍ[٢].

والرُّقى نَوعان: رُقيةٌ مَشروعةٌ، ورُقيةٌ مَمنوعَةٌ.

---

(١) هو رؤبة بن العجاج، الراجز المشهور، استشهد به أهل اللغة، مات أيام المنصور عام ١٤٥هـ، ينظر: طبقات الأدباء٣/ ٣٤١.

(٢) ينظر: لسان العرب مادة (رقا) ١٤/ ٣٣١ ـ ٣٣٢.

أما الرُّقيةُ المشروعةُ فَتَعريفُها اصطلاحاً: هي القراءةُ والنَّفثُ طَلَباً للشفاءِ والعافيةِ والبرءِ من الأسقامِ، سَواء كانت مِن القرآنِ الكريمِ أو مِن الأدعيةِ النبويَّةِ المأثورَةِ.

والأدلَّةُ على جَوازِها كَثيرةٌ:

منها: عَن عوفِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قَالَ: كنا نَرْقِي في الْجَاهِلِيَّةِ فَقُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَرَى في ذلك؟ فَقال: **(اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ؛ لا بَأْسَ بِالرُّقَى ما لَم يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ)**[١].

ومنها: عن أَنَسٍ قال: **(رَخَّصَ رسول اللَّهِ ﷺ في الرُّقْيَةِ من الْعَيْنِ وَالْحُمَةِ**[٢] **وَالنَّمْلَةِ**[٣]**)**[٤].

ومنها: عن جَابِر بن عبد اللَّهِ قال: قال رسول الله ﷺ: **(من اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ)**[٥].

ومنها: عَن عائِشةَ رضي الله عنها قَالَت: **(كانَ رسولُ الله ﷺ يَتعوَّذُ بِهذِهِ الكلماتِ: أذهِبِ الباسَ ربَّ الناسِ واشفِ وأنتَ الشافي لا شِفاءَ إلا شفاؤكَ شفاءً لا يغادِرُ سَقَماً، قالت: فلمَّا ثقُلَ رسولُ الله ﷺ في مرضِهِ الذي ماتَ فيهِ، أخذتُ بيدِهِ فجعلتُ أمسحُها وأقولُها، قالت: فنزَعَ يدهُ**

(١) رواه مسلم، كتاب السلام، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك ٤/ ١٧٢٧.
(٢) الحُمَة: بالتخفيف السم، ينظر: النهاية في غريب الأثر ١/ ٤٤٦.
(٣) النَّمْلة: قروح تخرج من الجنب، ينظر: النهاية في غريب الأثر٥/ ١١٩.
(٤) رواه مسلم، كتاب السلام، باب استحباب الرقية٠٠٠ ٤/ ١٧٢٥.
(٥) المصدر نفسه، كتاب السلام، باب استحباب الرقية٠٠٠ ٤/ ١٧٢٦.

من يدي وقالَ: اللَّهمَّ اغفِر لي وألحِقني بالرفيقِ الأعلى، قالت: فكانَ هذا آخرُ ما سمعتُ مِن كلامِهِ)[١].

قالَ الشيخُ الألبانيُّ معلِّقاً على هذا الحديثِ:

«وفي الحديثِ مَشروعيَّةُ تَرقِيَةِ المريضِ بِهذا الدُّعاءِ الشريفِ، وذلكَ مِن العملِ بِقولِهِ ﷺ: (**مَن اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ**)[٢]»[٣].

وقد ذَكرَ الشيخُ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ حديثَ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنَّ رسول اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَامْرَأَةٌ تُعَالِجُهَا أَوْ تَرْقِيهَا فَقَالَ: (**عَالِجِيهَا بِكِتَابِ اللَّهِ**)[٤] فقالَ عَقِبَهُ:

«وفي الحديثِ مَشروعيَّةُ الترقِيَةِ بِكتابِ الله تعالى، وَنَحوه مِمَّا ثَبتَ عن النبي ﷺ من الرُّقى... وأما غَيرُ ذلكَ مِن الرُّقى فلا تُشرَع، لا سيَّما ما كانَ مِنها مكتوباً بالحروفِ المقطَّعةِ، والرُّموزِ المغلَقَةِ، التي لَيسَ لها مَعنى سَليمٌ ظاهرٌ»[٥].

ويُشتَرطُ لجوازِ الرُّقيَةِ شُروطٌ ثَلاثةٌ[٦]:

الأولُ: أن لا يُعتَقَدَ أنَها تَنفعُ لِذاتِها مِن دونِ الله، لأنَّ ذلك اعتقادٌ مُحرَّمٌ، بل هو شِركٌ، فالصحيحُ أن يُعْتَقَدَ أنَّها سَبَبٌ لا تَنفَعُ إلا بإذنِ الله.

الثاني: أن لا تَكونَ فِيها مخالفةٌ شَرعيةٌ، كما لو كانَ فيها دُعاءُ غيرِ

(١) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة ٥/ ٤٦.
(٢) رواه مسلم، كتاب السلام، باب استحباب الرقية... ٤/ ١٧٢٤.
(٣) السلسلة الصحيحة ٦/ ٦٤٣.
(٤) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، كتاب الرقى والتمائم ١٣/ ٤٦٤.
(٥) السلسلة الصحيحة ٤/ ٥٦٦.
(٦) ينظر: كتاب أصول الإيمان ٣٦ ـ ٣٧.

الله، أو استغاثةٌ بالجنّ، فإنَّ ذلكَ حَرامٌ، بَل هو شِركٌ.

الثالثُ: أن تَكونَ مَفهومةً مَعلومةً، فإن كانت مِن جِنسِ الطلاسِمِ والشعوذَةِ وما لا يُفهَمُ فإنّها لا تَجوزُ.

وأما الرُّقيةُ الممنوعةُ: فهي كُلُّ رُقيَةٍ لم تَتوفَّر فيها الشُّروطُ السَّابِقةُ، فإنَّها مُحرَّمةٌ مَمنوعةٌ.

وقد ذَكَرَ الشيخُ الألبانيُّ أنواعاً للرقيةِ الممنوعةِ، فقالَ رَحِمَهُ الله:

«الرُّقى غير المشروعَةِ: وهي ما ليسَ من القرآنِ والسُّنةِ الصحيحةِ، وهي التي جاءَ إطلاقُ لَفظِ الشِّركِ عَليها في غَيرِ ما حَديث... وَقَد يَكونُ الشِّركُ مُضمَراً في بَعضِ الكَلِماتِ المَجهُولَةِ المعنى، أو مَرمُوزاً لَهُ بأحرُفٍ مُقَطَّعَةٍ، كما يُرى في بَعضِ الحُجُبِ الصادِرةِ مِن بَعضِ الدجاجِلةِ»[١].

ثم ذَكَرَ الشيخُ الألبانيُّ نوعاً آخر مِن الرُّقى الممنوعةِ، وهو ما يُسمُّونَهُ في الوقتِ الحاضِرِ بـ (الطبِّ الرَّوحاني) أو (التنويم المغناطيسي)، **فَقَالَ** رَحِمَهُ الله:

«ومِن هذا القَبيلِ[٢] مُعالَجةُ بَعضِ المتظاهرينَ بالصلاحِ للناسِ بِما يُسمُّونهُ بـ (الطبِّ الروحاني)، سواء كانَ ذلكَ على الطَّريقةِ القَديمةِ من اتِّصالِهِ بِقَرينِهِ من الجنِّ، كما كانوا عَلَيهِ في الجاهليَّةِ، أو بِطَريقَةِ ما يُسمَّى اليومَ باستحضارِ الأرواحِ، وَنَحوه عندي التنويمُ المغناطيسيُّ، فإنَّ ذلكَ كُلَّه من الوسائِلِ التي لا تُشرَعُ؛ لأن مَرجِعَها إلى الاستعانَةِ بالجنِّ التي كانَت سَبَباً مِن أسبابِ ضَلالِ المشركينَ، كما جاءَ في القرآنِ الكريمِ:

(١) السلسلة الصحيحة ٦/ ٦١٣.

(٢) يعني الرقى المحرمة.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]، أي خَوفاً وإثماً»[١].

ثم إنَّ الشيخَ الألبانيَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَد رَدَّ على مَن يَستعينُ بِهؤلاءِ الدَّجالينَ بِحُجَّةِ أنَّه لا يَستعينُ إلا بالصالحينَ مِنهُم، فَقالَ:

«وادِّعاءُ بَعضِ الـمُبتَلينَ بالاستعانَةِ بِهِم أنَّهم إنما يَستَعينونَ بالصالحينَ مِنهم، دعوى كاذِبة، لأنَّهم مما لا يُمكنُ ـ عادةً ـ مخالَطَتُهُم وَمُعاشَرتُهُم؛ التي تَكشِفُ عن صلاحِهِم أو طلاحِهِم، وَنَحن نَعلَمُ بالتَّجربَةِ أنَّ كثيراً مِمَّن تُصاحِبُهم أشدَّ المصاحبةِ من الإنسِ، يَتبيَّنُ لكَ أنَّهم لا يَصلُحونَ، قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤]، هذا في الإنسِ الظاهرِ، فَما بالكَ بالجنِّ الذينَ قالَ الله تعالى فِيهِم: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]»[٢].

ولا يَفوتُني في هذا المُقامِ أن أذكر نَوعاً من أنواعِ الرُّقى يَكادُ يَكونُ الآنَ أكثَرَ أنواعِ الرُّقى انتشاراً، وهي الرُّقية التي تُسمَّى اليومَ بـ(رقيةِ المسِّ)، وهي الرُّقيةُ التي تُقرأُ على مَن دَخَلَ الشيطانُ في بَدَنِهِ، وَلَستُ هنا في صَدَدِ بيانِ جَوازِ دُخولِ الجانِّ بَدَنَ الإنسانِ، فإنَّ ذلك ثابتٌ بالكتابِ والسنةِ وأقوالِ العلماءِ، ولكنَّ الناسَ تَوسَّعوا اليومَ في رُقيةِ من ابتُليَ بذلكَ، حتى أنَّهم أدخلوا فيها أموراً مَمنُوعةً كالضَّربِ الشديدِ بالعِصِيِّ، واستحضارِ الجنِّ والتَّكلُّمِ مَعَهُ، وَغيرِ ذلكَ.

وقد كانَ للشيخِ الألبانيِّ جُهودٌ طيبةٌ في بيانِ ذلكَ، فَقد أورَدَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

---

(١) السلسلة الصحيحة ٦/ ٦١٤.

(٢) السلسلة الصحيحة ٦/ ٦١٤ ـ ٦١٥.

حَديثَ عثمان بن أبي العاص الثقفيِّ رضي الله عنه حينَ قالَ: (شَكَوْتُ إلى رسول اللَّهِ ﷺ نِسْيَانَ الْقُرْآنِ، فَضَرَبَ صَدْرِي بيده فقال: **(يا شَيْطَانُ اخْرُجْ من صَدْرِ عُثْمَانَ)** قال عُثْمَانُ: فما نَسِيتُ منه شيئاً بَعْدُ أَحْبَبْتُ أَنْ أَذْكُرَهُ)[1] **فقد ردَّ الشيخُ الألبانيُّ** ـ بَعد إيرادِ الحديثِ وتصحيحِهِ وإثباتِ تلبُّسِ الجنِّ بالإنسانِ ـ على من زَعَمَ خِلافَ ذلكَ بردٍّ مُفحِمٍ مدعَّم بالأدلَّةِ، قلَّ أن يُوجَدَ في بابِهِ مِثلُهُ، ثم بيَّنَ توسُّع الناسِ في هذهِ الرُّقيَةِ بأنواعٍ من المخالفاتِ الشرعيَّةِ فقالَ:

«ولكنني من جانبٍ آخرَ أُنكِرُ أشدَّ الإنكارِ على الذين يستغلُّونَ هذِهِ العقيدةَ، ويتَّخِذونَ في ذلكَ من الوسائلِ التي تَزيدُ على مُجرَّدِ تلاوةِ القرآنِ مما لم يُنْزِلِ الله بِهِ سُلطاناً، كالضَّربِ الشديدِ الذي يَترتَّبُ عليهِ أحياناً قَتلُ المُصابِ. . .لقد كانَ الذين يَتَوَلَّونَ القراءةَ على المصروعينَ أفراداً قَليلينَ صالحينَ فيما مَضى، فَصاروا اليومَ بالمئاتِ، وفيهِم بَعضُ النِّسوةِ المتبرِّجاتِ، فَخرجَ الأمرُ عن كَونِهِ وَسيلةً شَرعيَّةً لا يَقومُ بِها إلا الأطبَّاءُ عادةً، إلى أمورٍ ووسائِلَ أخرى لا يَعرِفُها الطبُّ ولا الشَّرعُ مَعاً، فهي ـ عندي ـ نَوعٌ مِن الدَّجلِ والوساوِسِ يوحي بِها الشيطانُ إلى عَدوِّهِ الإنسان: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، وَهو نَوعٌ من الاستعاذةِ بالجنِّ التي كانَ عَليها المشركونَ في الجاهليَّةِ، المذكورةُ في قَولِه تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]، فَمَن استعانَ بِهِم على فَكِّ سِحرٍ ـ زعموا ـ أو مَعرِفةِ هويَّةِ الجنيِّ المتلبسِ بالإنسيِّ أذَكرٌ هو أم أنثى؟ مُسلمٌ أم كافرٌ؟ وَصدَّقهُ المستعينُ بِهِ، ثم صَدَّقَ

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ٩/ ٤٧.

هذا الحاضرونَ عِندَهُ، فَقَد شَمِلهُم جَميعاً وَعيدُ قَولِهِ ﷺ: **(مَن أتى عَرَّافاً أو كاهِناً فَصَدَّقَهُ بِما يَقولُ فَقَد كَفَرَ بما أُنزلَ على مُحمَّدٍ)**[١]، وفي حَديثٍ آخرَ: (لم تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً[٢])[٣].

ثم ختمَ الشيخُ الألبانيُّ كلمتهُ بنصيحةٍ للعاملينَ في هذا المجالِ بقولِهِ:

«فَيَنبَغي الانتباهُ لهذا؛ فَقَد عَلِمتُ أنَّ كثيراً ممن ابتُلوا بِهذِهِ المهنةِ هُم من الغافِلينَ عَن هذهِ الحقيقةِ، فأنصحُهُم - إن استمروا في مِهنتِهِم - أن لا يَزيدوا في مُخاطَبَتِهِم على قولِ النبي ﷺ: **(اخرج عدوَّ الله)**[٤]، مُذَكِّراً لَهُم بِقولِهِ تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]»[٥].

ثم إنَّ الشيخَ الألبانيَّ أورَدَ أثرينِ في الرُّقى، أحدُهُما مانِعٌ مِنها وهو أثرُ الحسنِ عِندما سألَهُ رجلٌ عن النُّشرةِ؟ فَذَكرَ عن النبي ﷺ أنه قالَ: **(هي مِن عملِ الشيطانِ)**[٦]، وأثرٌ آخَر مُبيحٌ لها وَهو أثرُ سعيدِ بن المسيّبِ عِندَما سَألَه قَتادَةُ: رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ أو يُؤْخذُ عن امْرَأَتِهِ أَيُحَلُّ عنه أو يُنَشَّرُ؟ قال: **(لا بَأْسَ بِهِ، إنما يُرِيدُونَ بِهِ الْإِصْلَاحَ، فَأَمَّا ما يَنْفَعُ الناس فلم يُنْهَ عنه)**[٧].

---

(١) سنن البيهقي الكبرى ٨/ ١٣٥.
(٢) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكاهن ٤/ ١٧٥١.
(٣) السلسلة الصحيحة ٦/ ١٠٠٩.
(٤) مسند الإمام أحمد ٤/ ١٧٢.
(٥) السلسلة الصحيحة ٦/ ١٠١٠.
(٦) مسند الإمام أحمد ٣/ ٢٩٤.
(٧) أخرجه البخاري تعليقاً، كتاب الطب، باب الشرك والسحر من الموبقات ٥/ ٢١٧٥.

قال مُبيِّناً الجمعَ بَين الأثرينِ وَمُفَرِّقاً بَين الرُّقيةِ المشروعةِ والرُّقيةِ الممنوعةِ:

«هذا ولا خِلافَ عِندي بَين الأثرينِ، فأثرُ الحسَنِ يُحمَلُ على الاستعانةِ بالجنِّ والشياطينِ والوسائِلِ المرضيةِ لهم كالذبحِ لهم وَنَحوِهِ، وهو المرادُ بالحديثِ، وأثرُ سَعيد على الاستعانةِ بالرُّقى والتعاويذِ المشروعةِ بالكتابِ والسُّنةِ»(١).

٢ ـ التَّمائِم:

تَعريفُ التمائِمِ:

لغة: التَّمائِمُ والتَّميمُ، واحِدها تَميمةٌ، وَهي خَرَزاتٌ كانَ الأعرابُ يُعلِّقونَها على أولادِهم يَنفونَ بِها النَّفسَ أي العَين(٢).

وأما تَعريفُها الاصطلاحيُّ فهو مُرادِفٌ لتعريفِها اللُّغويِّ، وهي: «ما يوضَعُ على العُنُقِ وَغَيرِهِ من تَعويذاتٍ أو خَرَزاتٍ أو عِظامٍ أو نَحوِها، لِجَلبِ نَفعٍ أو لِدَفعِ ضرٍّ، وكانَ العربُ في الجاهليَّةِ يُعلِّقونها على أولادِهم يَتَّقونَ بِها العينَ بزعمِهمُ الباطل»(٣).

وأما الشيخُ الألبانيُّ فَقَد عَرَّفها تعريفاً مُطابقاً لما تَقَدَّمَ، فَقَالَ: «والتمائمُ جَمعُ تَميمةٍ، وأصلُها خَرَزات تُعلِّقُها العربُ على رَأسِ الوَلَدِ لِدَفعِ العينِ، ثُمَّ توسَّعوا فيها، فَسمَّوا بِها كُلَّ عَوْذَةٍ»(٤).

---

(١) السلسلة الصحيحة ٦/ ٦١٤.
(٢) ينظر: المغرب في ترتيب المعرب مادة (تمم)١/ ١٠٧، لسان العرب مادة (تمم) ١٢/ ٦٩.
(٣) كتاب أصول الإيمان ٣٧.
(٤) السلسلة الصحيحة ١/ ٦٥٠.

وأما حكمُها: فَهي حَرامٌ، بَل هي نَوعٌ من أنواعِ الشركِ؛ وذلك لأن فيها تَعلُّقاً بِغيرِ الله عزَّ وجلَّ، فلا يَدفَعُ الضُّرَّ إلا الله، ولا يَجوزُ طَلَبُ ذلكَ إلا بالله وأسمائِهِ وَصِفاتِهِ.

والأدلَّةُ على تَحريمِها كثيرةٌ:

منها: عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قالَ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: **(إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ[1] شِرْكٌ)**[2].

ومنها: عن عُقْبَةَ بن عَامِرٍ قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: **(من تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ الله له، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً[3] فَلَا وَدَعَ الله له)**[4].

قال ابنُ عبد البرِّ شارحاً للحديثِ:

«وهذا كُلُّهُ تَحذيرٌ وَمَنعٌ مما كانَ أهلُ الجاهليَّةِ يَصنعونَ مِن تَعليقِ التمائِمِ والقلائِدِ، يَظنُّونَ أنَّها تقيهِم وَتَصرِفُ البلاءَ عنهم، وذلكَ لا يصرِفهُ إلا الله عزَّ وجلَّ، وَهو المُعافي والمُبتلي لا شريكَ لهُ، فَنَهاهُم رسولُ الله ﷺ عمَّا كانوا يَصنَعونَ مِن ذلكَ في جاهليَّتِهِم»[5].

ومِنها أيضاً: عَن عُقْبَةَ بن عَامِرٍ الجهني: أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَقْبَلَ إليه رَهْطٌ فَبَايَعَ تِسْعَةً وأمسك عن وَاحِدٍ فَقَالُوا: يا رَسُولَ اللَّهِ بَايَعْتَ تِسْعَةً

(١) وهو ما يحبب المرأة إلى زوجها من السحر، ينظر: غريب الحديث لابن الجوزي ١/ ١١٣.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب ما جاء في العين ٤/ ٩.

(٣) وهي خرز بيض في بطونها شق كشق النواة •ينظر: لسان العرب مادة(ودع) ٨/ ٣٨٠.

(٤) مسند الإمام أحمد ٤/ ١٥٤.

(٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر ١٧/ ١٦٣.

وَتَرَكْتَ هذا؟ قال: **(إن عليه تَمِيمَةً، فأدخل يَدَهُ فَقَطَعَهَا، فَبَايَعَهُ وقال: من عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أشرك)**[(١)].

وقد بيَّن الشيخُ الألبانيُّ رحمه الله **حُرمةَ تعليقِ التَّمائِم**، وبيَّن أنَّ مِنها: «تَعليقُ بعضِهم نَعلَ الفرسِ على بابِ الدارِ، أو في صَدرِ المكانِ، وَتَعليق بَعضِ السائقينَ نَعلاً في مُقدِّمَةِ السيارةِ أو مؤخِّرتِها، أو الخَرَزِ الأزرقِ على مِرآةِ السيارةِ، التي تَكونُ أمامَ السائِقِ من الداخِلِ، كُلُّ ذلك مِن أجلِ العَينِ زَعموا!»[(٢)].

وقالَ رحمه الله **في مَوضعٍ آخرَ:**

«ولا تَزالُ هذهِ الضلالةُ فاشيَةً بين البَدوِ والفلاحينَ وَبَعضِ المدنيينَ، ومِثلها الخرزاتُ التي يَضعُها بعضُ السائِقينَ أمامَهُم في السيارةِ يُعلِّقونَها على المرآةِ! وَبَعضُهُم يُعلِّقُ نَعلاً عَتيقَةً! في مُقَدمةِ السيارةِ أو مؤخرتِها، وَغيرُهم يُعلِّقونَ نَعلَ فَرسٍ في واجهةِ الدارِ أو الدُّكانِ، كُلُّ ذلك لدفعِ العينِ زَعَموا، وَغيرِ ذلكَ مما عَمَّ وطمَّ بِسَببِ الجهلِ بالتوحيدِ، وما يُنافيهِ من الشركياتِ والوثنياتِ التي ما بُعثت الرُّسُلُ ولا أُنزلتِ الكُتُبُ إلا من أجلِ إِبطالها والقَضاءِ عَلَيها، فإلى الله المشتكى من جَهلِ المسلمينَ اليومَ، وبُعدِهِم عن الدِّينِ»[(٣)].

ثم إنَّ الشيخَ الألبانيَّ رحمه الله لَم يَكتَفِ ببيانِ حُرمةِ ذلكَ والتَّحذيرِ مِنهُ، بَل ردَّ على مَن أفتى بِجَوازِ ذلكَ فَقَالَ:

---

(١) مسند الإمام أحمد ٤/ ١٥٦.
(٢) السلسلة الصحيحة ١/ ٦٥٠.
(٣) السلسلة الصحيحة ١/ ٨٩٠.

«وَلَم يَقِفِ الأمرُ بِبعضِهِم عِند مُجرَّدِ المخالَفَةِ، بَل تَعدَّاهُ إلى التقرُّبِ بِها إلى الله تعالى، فهذا الشيخُ الجزولي صاحِبُ (دَلائلِ الخيراتِ) يَقولُ. . . «اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ، ما سَجَعت الحمائمُ، وَحمَّت الحوائِمُ، وَسَرَحت البهائِمُ، **وَنَفَعت التمائمُ**»، وتأويلُ الشارحِ لـ (الدلائلِ) بأنَّ: «التمائمَ جَمعُ تَميمةٍ، وهي الوَرَقةُ التي يُكتبُ فيها شيءٌ من الأسماءِ أو الآياتِ، وَتُعلَّقُ على الرأسِ مثلاً للتبرُّكِ» فَمِمَّا لا يَصِحُّ؛ لأن التمائمَ عند الإطلاقِ إنما هي الخرزاتُ. . .على أنَّه لو سُلِّم بِهذا التأويلِ؛ فلا دَليلَ في الشَّرعِ على أن التميمةَ بِهذا المعنى تَنفَعُ»[١].

حكمُ المعلَّقِ من القرآنِ الكريم

أما إذا كانَ المعلَّقُ من القرآنِ الكريمِ، فهذه المسألةُ اختلفَ فيها العلماءُ، فَذَهبَ بَعضُهُم إلى جَوازِ ذلكَ، وذهبَ بعضُهم إلى المنعِ منهُ، وقالوا لا يَجوزُ تَعليقُ القرآنِ للاستشفاءِ وذلكَ لوجوهٍ أربعةٍ:

الأولُ: عُمومِ النهيِ عَن تَعليقِ التمائمِ ولا يوجَدُ مُخصِّصٌ للعمومِ.

الثاني: سَدّاً للذريعةِ، فهو يُفضي إلى تَعليقِ ما لَيسَ من القرآنِ.

الثالثُ: أنَّه إذا عُلِّقَ فلا بُدَّ أن يُمتَهَن المُعلَّق بأن يُحمَلَ حالَ قَضاءِ الحاجَةِ والدخولِ إلى الخَلاءِ وَنَحوِ ذلكَ.

الرابعُ: أنَّ الاستشفاءَ بالقرآنِ وَرَدَ على صِفَةٍ مُعينةٍ، وهي القراءةُ على المريضِ، فلا تُتَجاوَزُ إلى غيرِها.

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٨٩٠ ـ ٨٩١.

٣ ـ التبرُّكُ بالأشجارِ والأحجارِ ونحوِها:

تَعريفُ التبرُّكِ:

لُغةً: هو طَلَبُ البَرَكَة.

واصطلاحاً: فالتبرك يَنقَسمُ إلى قِسمَينِ:

الأوَّلُ: أن يَكونَ التبرُّكُ بأمرٍ شَرعيٍّ مَعلوم، مِثلَ كِتابِ الله عزَّ وجلَّ، يقولُ الله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢]، فَمِن بَرَكتِهِ أنَّهُ شِفاءٌ لما في الصُّدورِ وأنَّه نورٌ وَهِدايةٌ للقلوبِ، إلى غَيرِ ذلكَ من بَرَكاتِهِ التي لا تُحصى.

وَقَد ذَكَر الشيخُ الألبانيُّ رحمه الله مَشروعيَةَ التبرُّكِ بآثارِ النبيِّ ﷺ من ثيابٍ أو شَعرٍ ونحوِها، وأنَّ الصحابةَ رضي الله عنهم **فَعَلوا ذلكَ** في حَياةِ النبي ﷺ وبإقرارٍ مِنهُ على ذلكَ(١).

ومن الأدلَّةِ على ذلكَ ما ذكرهُ عُروةُ في قصَّةِ الحديبيةِ أنَّهُ قالَ عن الصحابةِ رضي الله عنهم: (**فَوَاللَّهِ ما تَنَخَّمَ رسول اللَّهِ ﷺ نُخَامَةً إلا وَقَعَتْ في كَفِّ** رَجُلٍ منهم فَدَلَكَ بها وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وإذا أَمَرَهُم ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وإذا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ على وَضُوئِهِ)(٢).

ثم إنَّ الشيخَ الألبانيَّ قد بيَّنَ أن ذلكَ أمرٌ بَعيدٌ في الوقتِ الحاضِرِ؛ وذلك لبُعدِ العَهدِ بِتلكَ الآثارِ الشريفةِ، فَقَالَ:

«هذا ولا بُدَّ من الإشارةِ إلى أنَّنا نؤمنُ بِجَوازِ التَّبَرُّكِ بآثارِه ﷺ ولا نُنكرُهُ خِلافاً لما يُوهِمُهُ صَنيعُ خُصومِنا ولكن لِهذا التبرُّكِ شُروطاً؛ مِنها:

(١) ينظر: التوسل ١٣٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد... ٢/٩٧٦.

الإيمانُ الشرعيُّ المقبولُ عِند الله، فَمَن لَم يَكُن مسلماً صادقَ الإسلامِ فَلَن يُحقِّقَ الله لهُ أيَّ خَيرٍ بِتبَرُّكِهِ هذا، كما يُشتَرطُ للراغِبِ في التبرُّكِ أن يَكونَ حاصِلاً على أثرٍ من آثارهِ ﷺ وَيَستعملُهُ، ونحنُ نَعلَمُ أن آثارَهُ مِن ثيابٍ أو شعرٍ أو فَضَلاتٍ قَد فُقِدَت وليسَ بإمكانِ أحدٍ إثباتُ وُجودِ شيءٍ منها على وَجهِ القَطعِ واليقينِ، وإذا كانَ الأمرُ كذلكَ فإن التبرُّكَ بهذِهِ الآثارِ يُصبِحُ أمراً غيرَ ذي مَوضِعٍ في زمانِنا هذا وَيكونُ أمراً نَظريّاً مَحضاً»[1].

الثاني: أن يَكونَ التبرُّكُ بأمرٍ غَيرِ مَشروعٍ، كالتبرُّكِ بالقبورِ والقِبابِ والأحجارِ وَنَحوِها، فَهذا كُلُّهُ مِن الإشراكِ بالله.

فَعَن أبي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا خَرَجَ إلى خيبر مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لها ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عليها أَسْلِحَتَهُمْ فَقَالُوا: يا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لنا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كما لهم ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فقال النبي ﷺ: **سُبْحَانَ اللَّهِ هذا كما قال قَوْمُ مُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾** [الأعراف: ١٣٨]، **وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ من كان قَبْلَكُمْ**)[2].

ففي هذا الحديثِ دِلالةٌ واضحةٌ على أنَّ الذي يُفعلُ عِند الأشجارِ والقبورِ والأضرحِةِ والمقاماتِ وَنَحوِها من التبرُّكِ بها والعُكُوفِ عَلَيها والذبحِ لَها والطَّوافِ عِندَها أنَّ هذا من الشِّركَ بالله عزَّ وجلَّ، وَلِذلك أخبَرَهُم النبيُّ ﷺ بأنَّ طَلبَهُم هذا كَطَلَبِ بني إسرائيلَ لما قالوا لموسى عليه السلام: **﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾** [الأعراف: ١٣٨]، فهؤلاءِ طَلَبوا شجرةً يَتبرَّكونَ بِها كما كَانَ يفعلُ المشركونَ، وَقومُ موسى طلبوا إلٰهاً كما

---

(١) التوسل ١٤٤.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الفتن، بَاب ما جاء لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ من كان قَبْلَكُمْ ٤/ ٤٧٤.

لَهُم آلهةٌ، فَيَكونُ الطلبانِ ـ كما هو مَعلومٌ ـ مُنافيانِ للتوحيدِ، لأنَّ التبرُّكَ بالشَّجَرِ نَوعٌ من أنواعِ الشِّركِ بالله، واتخاذُ إلٰهٍ مَعَ الله شِركٌ واضِحٌ.

قالَ الشيخُ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في مَعرِضِ كَلامِهِ على حُرمةِ التبرُّكِ بالقبورِ والأشجارِ وَنَحوِها: «. . .ألا ترى أن شَجَرةَ الرِّضوانِ التي بُويِعَ تَحتَها النبيُّ عليه الصلاةُ والسلامُ من أصحابِهِ الكرامِ، قَد عُمِيَت على الصحابَةِ أنفسِهِم ثمَّ على الَّذين جاؤوا مِن بعدِهِم، حتى صارَ مَكانُها نَسْياً مَنسيّاً . . . وما ذلكَ إلا سدّاً للذريعَةِ، وَقَطعاً لِدابِرِ الفِتنَةِ، ولا سيَّما للذين يأتونَ مِن بَعدِهِم مِمَّن لا مَعرِفَةَ لَدَيهِم بالكتابِ والسُّنَّةِ وأُصولِ الشريعَةِ وَقَواعِدِها الـمُحكمَةِ، وَقَد قيلَ إنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ هو الذي قَطَعَها»[١].

٤ ـ النهيُ عن أعمالٍ تتعلقُ بالقبورِ:

لَقَد كانَ الأمرُ النبويُّ الأوَّلُ هو النَّهيُ عن زيارةِ القُبُورِ؛ وذلكَ لأنَّ الناسَ كانوا حديثي عَهدٍ بِجاهليةٍ وَكُفرٍ، وما ذلكَ إلا حِمايةً من النبي ﷺ لِجَنابِ التوحيدِ، فلمَّا تَرسَّختِ العَقيدةُ في قُلُوبِ النَّاسِ وَثَبَتَ الإيمانُ فيها وأشرقت شَمسُ التوحيدِ وَبَدَّدت أنوارُهُ ظُلُماتِ الشِّركِ والوثنيَّةِ؛ جاءت الإباحةُ بِزيارتِها مُحدِّدَةً أهدافَها وَمَقاصِدَها.

فَقَد قالَ رسولُ الله ﷺ مُبيحاً وَمُعلِّلاً: **(نَهيتُكُم عن زيارةِ القبورِ فَزوروها)**[٢]، وفي روايةٍ: **(إني نَهيتُكم عن زيارةِ القبورِ فَزوروها فإنَّ فيها عِبرَةً)**[٣]، وفي روايـةٍ: **(فزوروها فإنَّها تُذكِّرُ الآخِرةَ)**[٤]، وفي روايةٍ:

---

(١) حياة الألباني ١/ ٤٢٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي... ٢/ ٦٧٢.

(٣) مسند الإمام أحمد ٣/ ٣٨.

(٤) سنن الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الرخصة في زيارة القبور ٣/ ٣٧٠.

(كُنتُ نهيتكم عَن زيارةِ القبورِ ألا فَزوروها فإنَّهُ يَرِقُّ القَلْبُ وَتَدمعُ العينُ وَتُذكِّرُ الآخرة ولا تَقولوا هَجراً)[1]، وفي روايةٍ: **(كان رسول اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إذا خَرَجُوا إلى الْمَقَابِرِ فَكَانَ قَائِلُهُمْ يقول: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ من الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَإِنَّا إن شَاءَ الله لَلَاحِقُونَ، أَسْأَلُ اللَّهَ لنا وَلَكُم الْعَافِيَةَ)**[2].

إذن فَقَد تَبيَّن لنا من الأحاديثِ السابقِةِ وَغَيرِها أن إباحةَ زيارَةِ القُبورِ كانت لِتَحقيقِ مَصلَحتينِ عَظيمَتينِ:

الأولى: التذكيرُ بالموتِ والآخرةِ، والاعتبارِ بِحالِ أهلِ القبورِ، وَهَذا مما يَزيدُ في الإيمانِ وَيَبعثُ العَبدَ على التزوُّدِ ليومِ المَعادِ.

الثانية: زِيارةُ الأمواتِ والدُّعاء لَهُم والتَّرحُّم عَليهِم وَسؤال المغفرَةِ والرحمةِ لهُم، فهذانِ الغرضانِ هُما اللَّذانِ جاءتِ السُّنَّةُ النبويَّةُ بِهِما والذي يَدَّعي غيرَ ذلكَ فَعَلَيهِ أن يأتيَ بالدليلِ على صِحَّةِ دَعواهُ، **وقد أشارَ الشيخُ الألبانيُّ إلى هذينِ المقصدينِ**[3]، فإنَّ السُّنَّة قد جاءَت بالنهيِ عن مُخالفاتٍ كَثيرةٍ تَتَعلَّقُ بالقُبورِ وزيارتِها صِيانةً للتوحيدِ وَحِمايةً لِجَنابِهِ، فَيَجِبُ على كُلِّ مُسلمٍ أن يَعرِفَها حتى يُحقِّقَ السَّلامةَ في **دينِهِ ومُعتَقَدِهِ**، وَمِن هذه المخالفاتِ:

المخالفةُ الأولى: النهيُ عَن قَولِ الهجرِ عِند زِيارةِ القُبُورِ:

فَقَد سَبَقَ قَولُهُ ﷺ: (وَلا تَقُولوا هَجراً)، والمرادُ بِهِ كُلُّ أمرٍ مَحظورٍ

(١) المستدرك على الصحيحين ١/ ٥٣٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها ٢/ ٦٦٩.

(٣) ينظر: أحكام الجنائز وبدعها للألباني ٢٢٧، والمصدر نفسه ٢٣٩.

شَرعاً، وفي مُقدِّمةِ ذلكَ دُعاءُ المقبورينَ وسؤالُهُم مِن دونِ الله عزَّ وجلَّ، والاستغاثةُ بِهِم وطلبُ المدَدِ والعونِ مِنهم، فكُلُّ ذلكَ من الإشراكِ بالله والكُفرِ بِهِ عزَّ وجلَّ.

المخالفةُ الثانيةُ: الذَّبحُ والنَّحرُ عِندَها:

وهوَ من الإشراكِ بالله عزَّ وجلَّ إذا كانَ تقرُّباً إلى الميِّتِ لِقضاءِ الحاجاتِ وَكَشفِ الكُرُباتِ، (عن أَنَسٍ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: (**لَا عَقْرَ في الْإِسْلَامِ**) قال عبد الرَّزَّاقِ: كَانُوا يَعْقِرُونَ عِنْدَ الْقَبْرِ بَقَرَةً أو شَاةً)(١)، قال الشوكانيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَمِن المفاسِدِ البالغةِ إلى حَدٍّ يَرمي بِصاحِبِهِ **وراءَ حائِطِ الإسلامِ**؛ وَيُلقيهِ على أُمِّ رأسِهِ من أعلى مَكانِ الدِّينِ: أنَّ كَثيراً مِنهُم يأتي بأحسَنِ ما يَملِكُهُ من الأنعامِ وأجوَدِ ما يَحوزُهُ مِن المواشي فَيَنحرُهُ عِندَ ذلكَ القَبرِ، مُتَقرِّباً بِهِ إليهِ، راجياً ما يَضمَنُ حُصولَهُ لَهُ مِنهُ، فَيُهِلُّ بِهِ لغيرِ الله وَيَتعبَّدُ بِهِ لوثنٍ من الأوثانِ، إذ إنَّه لا فَرقَ بَين نَحرِ النَّحائِرِ لأحجارٍ مَنصوبَةٍ يُسمُّونَها وَثَناً، وَبَينَ قَبرٍ لميِّتٍ يُسمُّونَهُ قَبْراً، وَمُجرَّدُ الاختلافِ في التَّسميةِ لا يُغني مِن الحقِّ شَيئاً»(٢).

قال الشيخُ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ بَعدَ إيرادِ حَديثِ أنس المتقدمِ:

«هذا إذا كانَ الذبحُ هناكَ لله تعالى وأما إذا كانَ لِصاحِبِ القَبرِ كما يَفعَلُهُ بَعضُ الجُهَّالِ فَهوَ شِركٌ صَريحٌ، وأكلُهُ حَرامٌ وفِسقٌ كما قال تعالى:

(١) سنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب كراهية الذبح عند القبر٣/ ٢١٦.

(٢) شرح الصدور بتحريم رفع القبور للشوكاني ٢٠ نقلاً عن كتاب: دمعة على التوحيد ٦٩ ـ ٧٠.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١]، أي: والحالُ أنهُ كذلكَ بأن ذَبَحَ لغيرِ الله، إذ هذا هوَ الفِسقُ هنا كَما ذَكَرَهُ الله تعالى بِقولِهِ: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [الأنعام: ١٤٥]»[١].

المخالفةُ الثالثةُ: رَفْعُها زيادةً عَن التُّرابِ الخارجِ مِنها، وَتَجصيصُها، والكِتابة عليها، والبِناء عليها، والقُعُود عَليها:

وَتُعدُّ هذهِ الأمورُ مِن أعظَم ذَرائِعِ الشِّركِ، فَعَن جابِرٍ رضي الله عنه قالَ: (**نَهى رسولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ وَأَنْ يُقْعَدَ عليه وَأَنْ يُبْنَى عليه**)[٢]، وفي روايةٍ: (**أو يُزادَ عليهِ أو أن يُكتَبَ عليهِ**)[٣].

وقد أطالَ الشيخُ الألبانيُّ النَّفَسَ في الكلامِ على هذهِ المخالفةِ التي تَقَعُ عِندَ القُبورِ، وَمِن ذلكَ قَولهُ:

«ويَحرُمُ عِند القُبورِ ما يأتي: الذبحُ لوجهِ الله؛ رَفعُها زيادةً على التُّرابِ الخارِجِ مِنها، طَليُها بالكِلسِ وَنَحوِهِ، الكِتابَةُ عليها، البِناءُ عَليها، القُعودُ عَليها»[٤].

وَساقَ بَعدَ ذلكَ جُملةً من الأحاديثِ في النهيِ عَن ذلكَ وكذا أقوالُ الأئمَّةِ في التحذيرِ من هذهِ المخالفةِ الشنيعةِ، وَنَقلَ كلِمَةً ذهبيَّةً للإمامِ الشوكانيِّ أرى من المناسِبِ نَقْلَها هُنا وَهيَ قولُ الشوكانيِّ رحمه الله: «ومِن رَفعِ القبورِ الداخلِ تَحتَ الحديثِ دُخولاً أوَّلياً القُبَبُ والمشاهِدُ المعمورةُ

---

(١) أحكام الجنائز ٢٥٩ ـ ٢٦٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه ٢/ ٦٩٦.

(٣) سنن أبي داود، أول كتاب الجنائز، باب في البناء على القبر ٣/ ٢١٦.

(٤) أحكام الجنائز ٢٦٠.

على القُبورِ، وأيضاً هو مِن اتِّخاذِ القُبورِ مَساجِدَ، وَقَد لَعَنَ النبيُّ ﷺ فاعلَ ذلكَ كما سيأتي وَكَم قَد نَشأَ عَن تَشييدِ أبنيةِ القُبورِ وَتَحسينِها مِن مَفاسِدَ يَبكي لها الإسلامُ، مِنها: اعتقادُ الجَهلَةِ لها كاعتقادِ الكُفَّارِ للأصنامِ، وَعَظُمَ ذلك فَظنَّوا أنَّها قادِرَةٌ على جَلبِ النَّفعِ وَدَفع الضَّرَرِ، فَجَعلوها مَقصِداً لِطَلَبِ قَضاءِ الحوائِجِ، وَمَلجَأً لِنَجاحِ المطالِبِ، وسألوا مِنها ما يَسألُهُ العُبَّادُ مِن رَبِّهم، وَشَدُّوا إليها الرِّحالَ وَتَمسَّحوا واستغاثُوا، وبالجملَةِ إنَّهم لَم يَدَعُوا شيئاً مما كانتِ الجاهليةُ تَفعلُهُ بالأصنامِ إلا فَعَلوهُ! فإنا للهِ وإنا إليهِ راجِعونَ، وَمَعَ هذا المُنكرِ الشَّنيعِ والكُفرِ الفَظيعِ لا نَجِدُ مَن يَغضَبُ لله، وَيَغارُ حَميَّةً للدينِ الحنيفِ، لا عالماً ولا مُتَعلِّماً، ولا أميراً ولا وَزيراً ولا مَلِكاً، وَقَد تَوارَدَ إلينا مِن الأخبارِ ما لا يُشَكُّ مَعَهُ أنَّ كَثيراً مِن هؤلاءِ القبوريِّينَ أو أكثرُهُم إذا توجَّهَتْ عليهِ يَمينٌ مِن جِهةِ خَصمِهِ حَلَفَ بالله فاجراً، فإذا قِيلَ لَهُ بعدَ ذلكَ: احلِف بشيخِك وَمُعتَقَدِكَ الوليِّ الفلانيِّ! تَلَعثَمَ وتلكَّأَ وأبى واعتَرَفَ بالحقِّ! وهذا مِن أبيَنِ الأدلةِ الدالَّةِ على أن شِركهُم قَد بَلغَ فَوقَ شِركِ من قالَ: إنَّه تعالى ثانيَ اثنينِ، أو ثالِثَ ثلاثةٍ، فيا عُلماء الدِّينِ ويا مُلوك المسلمينَ أي رزءٍ للإسلامِ أشدُّ من الكُفرِ، وأيّ بَلاءٍ لهذا الدينِ أضرُّ عليهِ من عِبادةِ غَيرِ الله، وأيّ مُصيبةٍ يُصابُ بها المسلمونَ تَعدِلُ هذه المصيبة، وأيّ مُنكرٍ يَجِبُ إنكارُهُ إن لَم يَكُن إنكارُ هذا الشِركِ واجباً؟!

لَقد أسمَعتَ لو ناديتَ حيّاً ... وَلكن لا حَياةَ لمن تُنادي
ولو ناراً نَفَختَ بِها أضاءت ... ولكن أنتَ تَنفُخُ في رَمادِ»(١).

---

(١) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار للشوكاني ٤/ ١٣١ ـ ١٣٢.

المخالفةُ الرابعةُ: الصلاةُ إلى القُبورِ وَعِندها وَبِناء المساجِدِ عَلَيها:

فَعَن أبي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيِّ قَال: سَمِعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقول: (**لا تُصَلُّوا إلى الْقُبُورِ ولا تَجْلِسُوا عليها**)[١].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ إلا الْمَقْبَرَةَ وَالْحَمَّامَ**)[٢].

وَعَن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالت: قال رَسول اللَّهِ ﷺ في مَرَضِهِ الذي لَم يَقُمْ مِنه: (لَعَنَ الله الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ)[٣].

قال الشَّيخُ الألبانيُّ رحمه الله:

«ولا تَجوزُ الصلاةُ في أماكِنَ عَشَرَةٍ:

الأولُ: المقبرةُ وهي الموضِعُ الذي دُفِنَ فيه إنسانٌ واحدٌ فأكثرُ... وَسَواءٌ في ذلك أكانَ القَبرُ قِبلَتَهُ أو عن يَمينِهِ أو عَن يَسارِهِ أو خَلفَهُ لكنَّ استقبالَهُ بالصَّلاةِ أشدّ»[٤].

ثم إنَّ الشَّيخَ الألبانيَّ رحمه الله **قَد بيَّن** أن العِلَّةَ في النهيِ إنما هي لِسدِّ ذَريعةِ الشركِ التي غالباً ما تَحصُلُ عِند القُبورِ، وكذا ردَّ رحمه الله على مَن قَالَ بِغيرِ ذلك وَساقَ أقوالَ كَثيرٍ من العلماءِ والأئمةِ في هذهِ المسألةِ، وَمِمَّا قَالَهُ رحمه الله:

«يُضافُ إلى ما تَقَدَّمَ أن الصلاةَ في المساجِدِ المبنيَّةِ على القُبورِ قَد

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه ٢/ ٦٦٨.

(٢) سنن الترمذي، كتاب أبواب الصلاة، باب ما جاء أن الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام ٢/ ١٣١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ... ١/ ٤٦٨.

(٤) الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب للألباني ١/ ٣٥٧.

تُفضي بِصاحِبِها أو بِمَن يَقتدِي بِهِ من العوامِّ والجُهَّالِ إلى تَخصيصِ الميتِ بِبعضِ العباداتِ الخاصَّةِ بالله تعالى كالاستغاثةِ والسجودِ كَما هُوَ وَاقعٌ في أكثرِ المساجِدِ المبنيَّةِ على القُبورِ وهو مُشاهَدٌ، فَنَهى عَن ذلكَ سَدّاً للذَّريعةِ، فَهو كالنهيِ عَن الصلاةِ في الأوقاتِ الثلاثَةِ المكروهَةِ تَحريماً، بل المفسدةُ في تِلكَ المساجِدِ أوضَحُ وأظهرُ مِنها في هذهِ الأوقاتِ كما يشهدُ بِهِ الواقِعُ، وهذا كُلُّه فيمَن لَم يَقصِدِ الصلاةَ في تلكَ المساجِدِ وأمَّا قَصدُها لأجلِ صَاحِبِ القبرِ مُتبرِّكاً بِهِ مُعتقِداً أن الصلاةَ عِندهُ أفضلُ مِن الصلاةِ في المساجِدِ المجرَّدةِ عن القُبورِ فَهوَ عينُ المشاقَّةِ والمحادَّةِ للهِ ولرسولِهِ وهذهِ الصلاةُ حَقيقٌ بِها قَولُ مَن قالَ بِبُطلانِها»(١).

ثم إنَّهُ رحمه الله **بيَّن اتفاقَ العلماءِ** على كَراهَةِ الصلاةِ في المساجِدِ المبنيَّةِ على القُبورِ وأنَّها مَسألةٌ هامَّةٌ قَد أغفَلَها كَثيرٌ مِن الفقهاءِ، **فَقَالَ**:

«وإنَّ مما يَتعجَّبُ مِنه المؤمنُ البصيرُ في دِينِهِ تَهاوُنُ أكثرِ الفقهاءِ بِهذِهِ المسألَةِ الخَطيرَةِ حَيثُ إنَّهم لم يَتعرَّضوا لها بِذِكرٍ صَريحٍ في كُتُبِهِم وفتاويهِم فيما عَلِمتُ، ولذلكَ كَانَ مِن العَسيرِ إقناعُ المُقلِّدينَ بِها ـ على وُضُوحِ الحُجَّةِ فيها ـ وأنَّى لَهُم أن يأخذوا بِها وَهُم أو أكثرُهُم يُقدِّمون قَولَ الإمامِ ـ بَل قَولَ بعضِ أتباعِهِ ولو مِن المتأخرينَ ـ على قولِ الله تعالى وَقَولِ رسولِهِ ﷺ ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلا بالله»(٢).

المخالفةُ الخامِسةُ: اتخاذُها عيداً وَشدُّ الرِّحالِ إليها:

فَعَن أبي هُرَيْرَةَ قَال: قَال رَسول اللَّهِ ﷺ: **(لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا**

---

(١) الثمر المستطاب ١/ ٣٧٥.

(٢) المصدر نفسه١/ ٣٧٦، وينظر: تمام المنة ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

ولا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا وَصَلُّوا عليَّ فإن صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ)[١].

وقال ﷺ: **(لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إلى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى، وَمَسْجِدِي)**[٢].

قال الشَّيخُ الألبانيُّ رحمه الله:

«وَمِن فضلِ هذهِ المساجِدِ الثلاثةِ أنَّهُ لا يَجوزُ قَصدُ السفرِ على مَسجِدٍ أو مَوضِعٍ من المواضِعِ الفاضلةِ والصَّلاةِ فيها إلا إليها»[٣].

ثُمَّ بيَّن حُرمَةَ شدِّ الرِّحالِ إلى المشاهِدِ بقولِهِ:

«فالمنعُ مِن السَّفرِ إلى غيرِها أولى لا سيما إذا كانَ المكانُ المقصودُ قُبورَ أنبياء وَصالحين فإنهُ حُرِّمَ بِناءُ المساجِدِ عليها كما مَضَى فَكَيفَ يُسمَحُ بالذهابِ إليها ولم يُسمَح بالسفرِ إلى المساجِدِ المبنيَّةِ على تَقوى الله؟ وهذا ـ بِحمدِ الله ـ بَيِّنٌ لا يَخفى»[٤] **ثمَّ قالَ بعدَ ذلكَ:**

«ولأنَّ السفرَ إلى زِيارةِ قبورِ الأنبياءِ والصالحينَ بِدعةٌ لم يَفعَلْها أَحَدٌ من الصِّحابةِ والتابعينَ ولا أَمَرَ بِها رَسولُ الله ﷺ ولا استحبَّ ذلك أَحَدٌ من أئمَّةِ المسلمينَ فمن اعتَقَدَ ذلكَ عِبادةً وَفَعَلَها فَهوَ مُخالِفٌ للسُّنَّةِ ولإجماعِ الأئمَّةِ»[٥].

---

(١) سنن أبي داود، أول كتاب المناسك، باب زيارة القبور ٢/ ٢١٨.
(٢) صحيح البخاري، أبواب التطوع، بَاب مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ١/ ٤٠٠.
(٣) الثمر المستطاب ٥٤٩.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٥٦٢.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٥٦٣.

٥ ـ التوسُّلُ أنواعهُ وأحكامهُ:

أ ـ تَعريف التوسُّل:

لُغةً: ما يُتوَصَّلُ بِهِ إلى الشيءِ وَيُتَقَرَّبُ بِهِ إليهِ(١).

قال الشَّيخُ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«إنَّ لَفظَةِ التوسُّلِ لَفظةٌ عَرَبيَّةٌ أصيلةٌ وَرَدَت في القرآنِ والسنةِ وكلامِ العربِ من شِعرٍ وَنَثرٍ، وَقَد عُنيَ بِها التقرُّبُ إلى المطلوبِ والتوصُّلِ إليهِ بِرَغبَةٍ»(٢).

«وفي الشَّرعِ: يُرادُ بِهِ التوصُّلُ إلى رضوانِ الله والجنَّةِ؛ بِفِعلِ ما شَرَعهُ وَتَركِ ما نَهى عَنهُ»(٣).

ب ـ معنى الوسيلة في القرآن الكريم:

وَرَدَت لَفظةُ الوسيلةِ في القرآنِ في مَوضِعينِ:

الأولُ قَولُهُ تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥]، الثاني قَولُه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾ [الإسراء: ٥٧].

والمرادُ بالوسيلةِ في الآيتينِ هي القُربَةُ إلى الله تعالى بالعَمَلِ بما يُحبُّه وَيَرضاهُ، وَنَقلَ الحافِظُ ابن كثيرٍ عن ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ مَعنى الوسيلةِ فيها القُربَةُ، وَنَقَلَ مثلَ ذلكَ عن مُجاهد وأبي وائل والحسنِ وَعَبدِ الله بن

---

(١) ينظر: لسان العرب ١١/ ٧٢٥.

(٢) التوسل ١١.

(٣) أصول الإيمان ٤٦.

كثيرٍ والسُّدي وابنِ زيدٍ وَغَيرِ واحدٍ، وَنَقَلَ عَن قَتَادَةَ قَولَهُ فيها: «أي تقرَّبوا إليهِ بطاعتِهِ والعمَلِ بما يُرضِيهِ»[١]، ثُمَّ قالَ ابنُ كَثيرٍ: «وهذا الذي قالَهُ هؤلاءِ الأئمةُ لا خِلافَ بين المفسِّرينَ فيهِ . . . والوسيلةُ هي التي يُتوصَّل بِها إلى تَحصيلِ المقصودِ»[٢].

وأما الآيةُ الثانيةُ فَقَد بَيَّن الصحابيُّ الجَليلُ عَبد الله بن مَسعودٍ رضي الله عنه مُناسَبَةَ نُزولِها التي تُوَضِّحُ مَعناها فَقَالَ:

«نَزَلت في نَفَرٍ من العربِ كانوا يَعبُدونَ نَفَراً من الجنِّ فأسلَمَ الجِنِّيُّونَ والإنسُ الذينَ كانوا يَعبُدونَهُم لا يَشعُرونَ»[٣].

قال الحافظُ ابنُ حجر رحمه الله: «أي استمرَّ الإنسُ الذينَ كانوا يَعبُدونَ الجِنَّ على عِبادةِ الجنِّ، والجنُّ لا يَرضَونَ بذلكَ لِكَونِهِم أسلَموا وَهُم الَّذينَ صاروا يَبتَغونَ إلى ربِّهمُ الوسيلة. . . وهذا هُوَ المُعتَمَدُ في تَفسيرِ الآيةِ»[٤].

قال الشَّيخُ الألبانيُّ رحمه الله:

«وهي صَريحَةٌ في أنَّ المرادَ بالوسيلةِ ما يُتقرَّبُ بِهِ إلى اللهِ تعالى ولذلكَ قالَ: (يبتغون) أي يَطلُبونَ ما يَتَقَرَّبونَ بِهِ إلى الله تعالى من الأعمالِ الصالِحَةِ وهي كذلكَ تُشيرُ إلى هذِهِ الظاهِرَةِ الغريبَةِ المُخالِفَةِ لِكُلِّ تَفكيرٍ سَليمٍ ظاهِرُهُ أن يَتوجَّهَ بَعضُ الناسِ بِعبادَتِهِم وَدُعائِهِم إلى

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٣.
(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٣ ـ ٥٤.
(٣) صحيح مسلم، كتاب التفسير، باب قوله تعالى أولئك الذين يدعون... ٤/ ٢٣٢١.
(٤) فتح الباري ٨/ ٣٩٧.

بَعضِ عِبادِ الله يَخافونَهُم وَيَرجُونَهم مع أنَّ هؤلاءِ العِبادِ المعبودينَ قَد أعلَنوا إسلامَهُم وأقرُّوا للهِ بِعبوديَّتِهِم وأَخَذوا يَتَسابَقُونَ في التقرُّبِ إليه سُبحانَهُ بالأعمالِ الصالِحَةِ التي يُحبُّها وَيَرضاها وَيَطمَعونَ في رَحمتِهِ وَيَخافونَ مِن عِقابِهِ فهو سُبحانَهُ يُسفِّهُ في هذهِ الآيةِ أحلامَ أولئكَ الجاهلينَ الذين عَبَدوا الجنَّ واستمرُّوا على عِبادتِهِم مع أنَّهم مَخلوقونَ عابِدونَ لهُ سبحانَهُ وضُعفاءُ مثلُهُم لا يَملِكونَ لأنفُسِهِم نَفعاً ولا ضَرّاً وَيُنكرُ الله عَليهِم عَدَمَ تَوجُّهِهِم بالعبادةِ إليهِ وَحدَهُ تَبارَكَ وتعالى وهوَ الذي يملِكُ وَحدَهُ الضرَّ والنفعَ وبيدِهِ وَحدَهُ مقاديرُ كُلِّ شيءٍ وهو المهيمنُ على كُلِّ شيءٍ»(١).

معنى الوسائلِ الكونيةِ والشرعيةِ

لَقد بيَّنَ الشيخُ الألبانيُّ أنَّ الوسائِلَ تَنقسمُ إلى قِسمينِ: كَونيةٍ وَشَرعيةٍ، وبيَّن أن الوسيلةَ الكونيةَ: «هي كُلُّ سَبَبٍ طَبيعيٍّ يُوصِلُ إلى المقصودِ بِخِلقَتِهِ التي خَلَقَهُ الله بِها ويؤدِّي إلى المطلوبِ بِفِطرتِهِ التي فطرَهُ الله عليها، وهي مُشتركةٌ بين المؤمنِ والكافِرِ مِن غَيرِ تفريقٍ، وَمِن أمثلتِها: الماءُ، فَهو وَسيلةٌ إلى رِيِّ الإنسانِ، والطعامُ وَسيلةٌ إلى شبعِهِ واللِّباسُ وَسيلةٌ إلى حِمايتِهِ مِن الحرِّ والقَرِّ والسيارةُ وَسيلةٌ إلى انتقالِهِ مِن مَكانٍ إلى مَكانٍ وهكذا»(٢).

وأما الوسيلةُ الشرعيةُ فَقالَ عَنها: «هي كُلُّ سَبَبٍ يُوصِلُ إلى المقصودِ عن طَريقِ ما شَرَعهُ الله تَعالى وَبيَّنهُ في كِتابِهِ وَسُنَّةِ نَبيِّهِ، وهي خاصةٌ بالمؤمِنِ المتَّبعِ أمرَ الله وَرسولِهِ.

---

(١) التوسل ١٤ ـ ١٥.

(٢) المصدر نفسه ١٧.

ومِن أمثلتِها: النُّطقُ بالشهادتينِ بإخلاصٍ وَفَهمٍ وَسيلةٌ إلى دُخولِ الجنَّةِ والنَّجاةِ مِن الخُلودِ في النَّارِ»[١].

أقسامُ التوسُّلِ:

يَنقسِمُ التوسُّلُ إلى قِسمينِ: تَوسُّلٌ مشروعٌ، وَتَوسُّلٌ مَمنوعٌ.

الأول: التوسُّلُ المشروعُ: هو التوسُّلُ إلى اللهِ بالوسيلَةِ الصحيحَةِ المشروعَةِ، والطريقُ الصحيحُ لِمَعرفَةِ ذلكَ هو الرجوعُ إلى الكتابِ والسُّنةِ وَمَعرفةِ ما وردَ فيهِما عَنها، فما دلَّ الكتابُ والسُّنةُ على أنَّه وَسيلةٌ مَشروعةٌ، فهوَ من التوسُّلِ المشروعِ، وما سِوى ذلكَ فإنَّه تَوسُّلٌ مَمنوعٌ.

أقسامُ التوسلِ المشروعِ:

وهو على ثلاثةِ أقسامٍ، **قال الشيخ الألبانيُّ** رَحِمَهُ اللهُ:

«التوسُّلُ المشروعُ الذي دَلَّت عَليهِ نُصوصُ الكِتابِ والسُّنَّةِ وَجَرى عَليهِ عَمَلُ السَّلفِ الصالحِ وأجمعَ عَليهِ المُسلِمونَ هوَ:

١ ـ التوسُّلُ باسمٍ مِن أسماءِ الله تباركَ وتعالى أو صِفةٍ مِن صِفاتِهِ.

٢ ـ التوسُّلُ بِعَمَلٍ صالِحٍ قَامَ بِهِ الداعي.

٣ ـ التوسُّلُ بِدُعاءِ رَجُلٍ صالِحٍ»[٢].

أ ـ التوسُّلُ إلى الله تعالى باسمٍ من أسمائه أو صفةٍ من صفاتِهِ، كأن يقولَ المسلمُ في دُعائِهِ: اللهمَّ إني أسألُكَ بأنَّكَ أنتَ الرحمنُ الرحيمُ أن تُعافيَني، أو يَقولَ: أسألكَ بِرحمتِكَ التي وَسِعت كُلَّ شيء أن تَغفِرَ لي وَتَرحَمَني، وَنَحو ذلك.

---

(١) المصدر نفسه ١٧.

(٢) التوسل ٤٢.

أما دليلُ مشروعيةِ هذا التوسُّلِ فقد قال الشَّيخُ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَدَليل مَشروعيةِ هذا التوسلِ قَولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، والمعنى: ادعوا الله تعالى مُتوسِّلينَ إليهِ بأسمائِهِ الحُسنى، ولا شكَّ أنَّ صِفاتِهِ العُليا عزَّ وجلَّ داخِلةٌ في هذا الطلَبِ لأنَّ أسماءَهُ الحُسنى سُبحانه صِفاتٌ لهُ خُصَّت بِهِ تباركَ وتعالى.

وَمِن ذلكَ: ما ذَكَرَهُ الله تعالى من دُعاءِ سليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حيثُ قالَ: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]»(١).

ثم ساقَ الشيخُ الألبانيُّ أدلةً كثيرةً من السنةِ على هذا النوعِ من التوسُّلِ، منها حديثُ أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ ﷺ **(كانَ إذا حَزَبَهُ أمرٌ قالَ: يا حَيُّ يا قَيومُ بِرحمتِكَ أستغيثُ)**(٢).

ثم قالَ الشيخُ الألبانيُّ بَعدَ إيرادِ هذهِ الأدلَّةِ: «فهٰذِهِ الأحاديثُ وما شابَهَها تُبيِّنُ مَشروعيَّةَ التوسُّلِ إلى الله تعالى باسمٍ من أسمائِهِ أو صِفةٍ مِن صِفاتِهِ وأنَّ ذلك مما يُحبُّهُ الله سبحانهُ وَيَرضاهُ ولذلكَ استعمَلَهُ رسولُ الله ﷺ وَقَد قالَ الله تبارَكَ وتعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧] فكانَ مِن المشروعِ لنا أن نَدعوَهُ سُبحانَهُ بِما دَعاهُ بِهِ رَسولُهُ ﷺ فذلكَ خَيرٌ ألفَ مرَّةٍ من الدُّعاءِ بأدعيةٍ نُنشِئُها وَصِيَغٍ نَختَرِعُها»(٣).

ب ـ التوسلُ إلى الله بعملٍ صالِحٍ قامَ بهِ الداعي، كأن يَقولَ المسلمُ: اللهم إني أسألُكَ بِحُبِّي لكَ واتِّباعي لِرسولِك ﷺ وإيماني بِكَ

(١) المصدر نفسه ٣٠.
(٢) سنن الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥/ ٥٣٩.
(٣) التوسل: ٣٢.

أن تُفَرِّج عني، أو أن يَذكُرَ الداعي أمراً ذا بالٍ قامَ بِهِ فَيَتَوَسَّلُ بِهِ إلى رَبِّهِ.

قال الشيخ الألبانيُّ رحمه الله:

«وهذا تَوسُّلٌ جيدٌ وَجَميلٌ قَد شرَعَهُ الله وارتضاهُ وَيدُلُّ على مَشروعيَّتِهِ قَولُهُ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦] وقوله: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣] وقوله: ﴿إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣] وقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩] وأمثالِ هذهِ الآياتِ الكريماتِ المباركاتِ»(١).

ثم بيَّن رحمه الله دَليلَ هذا النوعِ مِن التوسُّلِ مِن السُّنةِ النَّبويَةِ بِما رَواهُ بريدةُ بن الحصيب رضي الله عنه قالَ: سَمِعَ النبيُّ ﷺ رَجُلاً يَقُولُ: (اللَّهمَّ إني أسألُكَ بأني أشهدُ أنكَ أنتَ الله الذي لا إله إلا أنتَ الأحدُ الصمدُ الذي لم يَلِد وَلَم يُولَد ولَم يَكن لَهُ كُفُواً أحَدُ) فقالَ: (**قَد سألَ الله باسمِهِ الأعظمِ الذي إذا سُئِلَ بِهِ أعطى وإذا دُعيَ بِهِ أجابَ**)(٢)، وكذلكَ بقِصةِ أصحابِ الغارِ المشهورَةِ، وَهيَ مُخَرَّجَةٌ في الصحيحينِ(٣).

ج ـ التوسلُ إلى الله تعالى بدعاءِ الرجلِ الصالِحِ الذي تُرجى إجابةُ دعائِه، وقد بيَّنَهُ الشيخُ الألبانيُّ بقولِهِ:

«كأن يَقَعَ المسلمُ في ضِيقٍ شَديدٍ أو تَحُلُّ بِهِ مُصيبةٌ كَبيرةٌ وَيَعلمُ مِن

---

(١) المصدر نفسه ٣٣.

(٢) سنن أبي داود: أبواب قراءة القرآن... ، باب الدعاء ٢/ ٧٧.

(٣) ينظر: التوسل: ٣٣ ـ ٣٧.

نَفسِهِ التَّفريطَ في جَنبِ الله تباركَ وتعالى فَيُحِبُّ أن يأخُذَ بِسَبَبٍ قَويٍّ إلى الله فيذهبَ إلى رَجُلٍ يَعتَقِدُ فيهِ الصلاحَ والتَّقوى أو الفَضلَ والعِلمَ بالكتابِ والسُّنةِ، فَيطلُبَ مِنهُ أن يَدعوَ لِيفرِّجَ عَنهُ كَربَهُ وَيُزيلَ عَنهُ هَمَّهُ، فهذا نَوعٌ آخر مِن التوسلِ المشروعِ دَلَّت عَلَيهِ الشريعةُ المطهَّرةُ وأرشَدَت إليهِ»[(١)].

وقد استدلَّ لهُ الشيخُ رحمه الله **بأدلَّةٍ من السنةِ النبويَّةِ**، مِنها ما رَواهُ أَنس ابن مالِكٍ رضي الله عنه: أنَّ عُمَرَ بن الخطابِ رضي الله عنه كانَ إذا قَحِطوا استسقى بالعبَّاسِ بنِ عبدِ المُطَّلبِ فَقَالَ: (اللَّهم إنا كُنَّا نتوسَّلُ إليكَ بنبيِّنا ﷺ فَتَسقيَنا وإنا نَتوسَّلُ إليكَ بِعَمِّ نَبيِّنا فاسْقِنا، قالَ: فيُسْقَونَ)[(٢)].

وَقَد استدلَّ كذلكَ بأدلَّةٍ أخرى فَليُراجِعها مَن شاءَ[(٣)]، وهذا النَّوعُ من التوسُّلِ إنما يَكونُ في حَياةِ مَن يُطلَب مِنهُ الدُّعاءَ، أما بعدَ مَوتِهِ فلا يَجوزُ لأنَّهُ لا عَمَلَ لهُ بعدَ الموتِ»[(٤)].

الثاني: **التوسلُ الممنوعُ**:

هو كُلُّ ما عَدا هذِهِ التوسُّلاتِ السَّابِقَةِ، وَهو التوسُّلُ إلى اللهِ تعالى بِما لَم يَثبُت في الشريعةِ أنَّهُ وَسيلةٌ، **قال الشيخُ الألبانيُّ** رحمه الله:

«وأما ما عَدا هذِهِ الأنواعِ مِن التوسُّلاتِ فَفيهِ خِلافٌ، والذي نَعتَقِدُهُ وَنَدينُ الله تعالى أنهُ غَيرُ جائِزٍ ولا مَشروعٍ لأنَّه لَم يَرِد فِيهِ دَليلٌ

---

(١) المصدر نفسه: ٣٨.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا ١/٣٤١.

(٣) ينظر: التوسل: ٣٨ ـ ٤٢.

(٤) ينظر: أصول الإيمان: ٥٠.

تَقومُ بِهِ الحُجَّةُ وَقَد أنكرهُ العُلماءُ الـمُحقِّقُونَ في العصورِ الإسلاميَّةِ الـمُتعاقِبَةِ»(١).

ومن التوسلاتِ الممنوعةِ:

أ - **التوسلُ إلى الله تعالى بِدعاءِ الموتى** والغائبينَ والاستغاثَةِ بِهِم وَسؤالِهِم قضاءَ الحاجاتِ وَتَفريجَ الكُرُباتِ، فَهذا كُلُّهُ مِن الشِّركِ الأكبرِ الناقِلِ عَن المِلَّةِ.

وفي ذلكَ يقولُ الشيخُ الألبانيُّ: «فَقَد يَحدُثُ أن يَدعوَ أحدُهُم وليّاً أو يَستَغيث بِمَيِّتٍ فَيَتَحقَّق طَلَبُهُ وَينَال رَغبَتَهُ فَيدَّعي أنَّ هذا دليلٌ على قُدرةِ الموتى والأولياءِ على إغاثَةِ الناسِ وَعلى جَوازِ دُعائِهِم والاستغاثَةِ بِهِم، وما حُجَّته في ذلكَ غَيرُ حُصولِهِ على طَلَبِهِ وَقَد قرأنا مع الأسفِ في بَعضِ الكُتُبِ الدينيةِ أشياءَ كَثيرةً مِن هذا القَبيلِ، إذ يُقولُ مُسطِّرُها أو يَنقُل عَن بَعضِهِم قَولَهُ مثلاً: إنه وقَعَ في شِدَّةٍ واستغاثَ بالوليِّ الفلانيِّ أو الصالِحِ العلانيِّ وَناداهُ باسمِهِ، فَحَضَرَ حالاً أو جاءَهُ في النومِ فأغاثَهُ وَحَقَّقَ لَهُ ما أرادَ»(٢).

ب - **التوسُّلُ إلى الله تعالى بِفعلِ العِباداتِ عِندَ القُبورِ والأضرِحَةِ** والدُّعاءِ عِندَها، والبِناءِ عليها، وَوَضعِ القناديلِ والسُّتورِ وَنَحوِ ذلكَ، وهذا مما يُنافي كَمالَ التوحيدِ، وَهو مِن الذَّرائِعِ الـمُفضيَةِ إلى الشِّركِ الأكبرِ.

ج - **التوسُّلُ إلى الله تعالى بجاهِ الأنبياءِ الصالحينَ** وَمَكانَتِهِم وَمَنزِلَتِهِم عِندَ الله تعالى؛ وَهذا مُحَرَّمٌ، بَل هو مِن البِدَعِ المحدَثةِ، لأنَّه

(١) التوسل: ٤٢.
(٢) المصدر نفسه: ٢٣.

تَوسُّلٌ لَم يَشرَعْهُ الله وَلَم يَأذَن بِهِ، قال تعالى: ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْۖ﴾ [يونس: ٥٩] ولأنَّ جاهَ الصالحينَ وَمَكانَتِهِم إنما تَنفَعُهُم هُم، كَما قالَ الله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩]، ولذا لَم يَكُن هذا التوسُّلُ مَعروفاً في عَهدِ النبيِّ ﷺ وأصحابِهِ.

قال الإمامُ أبو حنيفةَ: «يُكرَهُ أن يَقولَ الداعي: أسألكَ بِحقِّ فُلانٍ أو بِحقِّ أوليائِكَ وَرُسُلكَ، أو بِحَقِّ البيتِ الحرامِ والمشعرِ الحرامِ»(١).

قال الشيخُ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فهذهِ الأدعيةُ الوارِدَةُ في القرآنِ الكريمِ وهي كَثيرةٌ لا نَجِدُ في شيءٍ منها التوسُّلَ بالجاهِ أو الحُرمةِ أو الحقِّ أو المكانَةِ لشيءٍ من المخلوقاتِ .... إلى آخرِ ما هُنالِكَ من الأدعيةِ القرآنيةِ الكريمةِ، وَبَعضُها مما يُعلِّمُنا الله تعالى أن نَدعوَ بِها ابتداءً وَبَعضُها مِمَّا يَحكيهِ سُبحانَهُ عَن بَعضِ أنبيائِهِ وَرُسلِهِ أو بَعضِ عبادِهِ وأوليائِهِ وواضِحٌ أنَّه لَيس في شيءٍ مِنها ذاكَ التوسُّلَ المُبتَدَعَ الذي يُدندِنُ حَولَهُ المتعصِّبونَ وَيُخاصِمُ فيه المخالفونَ»(٢).

ثم قالَ بعدَ ذلكَ: «وإذا انتَقلنا إلى السُّنَّةِ الشَّريفَةِ لِنطَّلِعَ مِنها على أدعيةِ النبيِّ ﷺ التي ارتضاها الله تعالى لَهُ وَعَلَّمهُ إيَّاها وأرشَدَنا إلى فَضلِها وَحُسنِها نَراها مُطابِقةً لما في أدعيةِ القرآنِ السالفةِ مِن حَيثُ خُلوِّها مِن التوسُّلِ المُبتَدَعِ المُشارِ إليهِ»(٣).

---

(١) تبين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي الحنفي: ٦/ ٣١.
(٢) التوسل: ٤٣ ـ ٤٤.
(٣) المصدر نفسه: ٤٤.

شُبُهاتٌ وَرَدُّها في بَابِ التَّوسُّلِ:

بَعد أن عَرَفنا حَقيقةَ التوسُّلِ وأقسامَهُ، فَقَد أورَدَ بَعضُ المخالفينَ في هذا الباب شُبَهاتٍ واعتِراضاتٍ، لِيَتَوَصَّلوا بِها إلى دَعمِ تَقريراتِهِم الخاطِئَةِ، وَليوهِموا عَوامَّ المسلمينَ بِصِحَّةِ ما ذَهَبوا إليهِ، ولا تَخلُو شُبُهاتُ هؤلاءِ عَن أحَدِ أمرينِ:

الأول : إما أحاديث ضَعيفةٌ أو مَوضوعَةٌ يَستَدِلُّ بِها هؤلاءِ إلى ما ذَهبوا إليهِ، وَمِن ذلكَ:

* حديث: (توسَّلوا بِجاهي فإنَّ جاهي عِندَ الله عَظيمٌ)، وَهو حَديث باطِلٌ لَم يَروِهِ أحدٌ مِن أهلِ العلمِ ولا هو في شيءٍ من كُتُبِ الحديثِ.

* حديث: (إذا أعيَتكُم الأمورُ فعليكم بأهلِ القبورِ)، وهو حديثٌ مكذوبٌ مفترى باتفاقِ العلماءِ.

* حديث: (لو أحسنَ أحدكم ظنَّهُ بحجرٍ لنفعهُ)، وهو حديثٌ مناقِضٌ للدينِ وضعَهُ بعضُ المشركينَ.

* حديث: (لما اقترفَ آدمُ الخطيئةَ قالَ: يا ربِّ أسألك بحقِّ محمدٍ لما غفَرت لي، فقالَ: يا آدمُ: وَكَيفَ عرفتَ محمداً ولم أخلُقْهُ؟ قالَ: يا رَبِّ لما خَلَقتَني بيدكَ وَنَفَختَ فيَّ مِن رُوحِكَ رَفَعتُ رأسي فَرأيتُ على قَوائِمِ العَرش مَكتوباً: لا إله إلا الله مُحمَّدٌ رَسولُ الله، فَعَلِمتُ أنكَ لم تُضِف إلى اسمكَ إلا أحَبَّ الخَلقِ إليكَ، فَقَالَ: غَفَرتُ لكَ وَلَولا مُحمَّدٌ ما خَلَقتُكَ) وَهو حَديثٌ باطِلٌ لا أصلَ لهُ.

الثاني: أحاديث صَحيحةٌ ثابتةٌ يُسيءُ هؤلاءِ فهمَها وَيُحَرِّفُونَها عَن مَدلولِها وَمُرادِها، ومن ذلكَ:

* ما رواهُ أنس بن مالكٍ ﷺ: أن عمرَ بن الخطابِ ﷺ كانَ إذا قَحِطوا استسقى بالعباسِ بن عَبدِ المطلبِ فقالَ: (اللَّهم إنَّا كنَّا نتوسلُ إليكَ بِنَبينا ﷺ فَتَسقِيَنا وإنا نَتوسَّلُ إليكَ بِعَمِّ نَبيِّنا فاسقِنا. قَال: فَيُسقَونَ)(١).

فَفَهِموا من هذا الحديثِ أنَّ تَوسُّلَ عمر ﷺ إنما كانَ بِجاهِ العبَّاسِ ﷺ وَمَكانتِهِ عِند الله عزَّ وجلَّ، وهذا فَهمٌ خاطئٌ وَتأويلٌ بَعيدٌ لا يَدُلُّ عَلَيهِ سِياقُ النَّصِّ لا مِن قَريبٍ ولا مِن بَعيدٍ، إذ لَم يكُن مَعروفاً عِند الصحابةِ التوسُّلُ إلى الله بِذاتِ النبي ﷺ أو جَاهِهِ، وإنَّما كانوا يَتوسَّلونَ إلى الله بِدُعائِهِ حالَ حَياتِهِ، كما تَقَدَّمَ بَعضُ هذا المعنى، وَعُمَرُ ﷺ لَم يُرِد بِقَولِهِ: (إنا نَتوسلُ إليك بِعَمِّ نَبيِّنا) أي ذاتِهِ وَجَاهِهِ، وإنما أرادَ دُعاءَهُ، وَلَو كَانَ التوسُّلُ بالذَّاتِ أو الجاهِ مَعروفاً عِندَهُم لما عَدَلَ عُمَرُ عن التوسُّلِ بالنبيِّ ﷺ إلى التوسُّلِ بالعبَّاسِ ﷺ، بل وَلَقالَ لَهُ الصحابةُ إذ ذاكَ: كيفَ نَتوسَّلُ بالعباسِ وَنَعدِلُ عن التوسُّلِ بالنبي ﷺ الذي هو أفضلُ الخَلقِ، فَلما لَم يَقُل ذلك أحدٌ مِنهُم، وَقَد عُلِمَ أنَّهم في حَياتِهِ تَوسَّلوا بِدُعائِهِ، وَبَعدَ مَماتِهِ تَوسَّلوا بدعاءِ غَيرِهِ عُلِمَ أن المشروعَ عِندَهُم التوسلُ بِدُعاءِ المتوَسِّلِ لا بِذاتِهِ.

* حديث عُثْمَانَ بن حُنَيْفٍ: (أَنَّ رَجُلًا ضَرِيرَ الْبَصَرِ أتى النبي ﷺ فَقَال ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي قال: «**إن شِئْتَ دَعَوْتُ وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، قال: فَادْعُهُ، قال: فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ وَيَدْعُوَ بهذا الدُّعَاءِ: **اللهم إني أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ إني تَوَجَّهْتُ بِكَ إلى رَبِّي في حَاجَتِي هذه لِتُقْضَى لِيَ، اللَّهم فَشَفِّعْهُ فِيّ**)(٢).

---

(١) تقدم تخريجه ص ١٤٨.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الدعوات ٥/ ٥٦٩.

فَفَهِموا من الحديثِ أنَّه يَجوزُ التوسُّلُ بِجاهِ النبي ﷺ أو غَيرِهِ من الصالحينَ، وَلَيس في الحديثِ ما يَشهَدُ لِذَلكَ، فإنَّ الأعمى قَد طَلَبَ من النبيِّ ﷺ أن يَدعوَ لَهُ بأن يَرُدَّ الله عَليهِ بَصَرَهُ، فَقالَ لَهُ: (إن شئتَ صَبَرتَ وإن شِئتَ دَعوتُ)، فَقَالَ: فادعُه، وهذا تَوسُّلٌ بِدُعاءِ النبي ﷺ لا بِذاتِهِ وَجَاهِهِ.

وعلى كُلِّ حالٍ فَلا حُجَّةَ لهؤلاءِ فيما ذَهبوا إليه إما لِعَدَمِ صِحَّتِهِ، أو لِعَدَمِ دِلالَتِهِ على ما ذَهبوا إليهِ[1].

٦ ـ الشِّركُ والكُفرُ وأنواعُهما:

ما مِن رَيبٍ أنَّ في مَعرِفةِ المسلمِ للشِّركِ والكُفرِ وأسبابِهما ووسائِلِهما وأنواعِهما فَوائِدَ عَظيمةً، إذا عَرفَها مَعرِفَةً يَقصِدُ مِن وراءِها السلامةَ مِن هذهِ الشُّرورِ والنجاةَ مِن تِلكَ الآفاتِ، واللهُ سُبحانهُ يُحِبُّ أن تُعرَفَ سَبيلُ الحقِّ لتُحَبَّ وتُسلَكَ، وَيُحِبُّ أن تُعرَفَ سُبُلُ الباطِلِ لتُجتَنَبَ وَتُبغَضَ، والمسلمُ كَما أنَّهُ مُطالبٌ بِمَعرفةِ سَبيلِ الخيرِ لِيُطبِّقَها، فَهو كذلكَ مُطالَبٌ بِمَعرفةِ سَبيلِ الشرِّ لِيَحذَرَها، وَلهذا ثَبَتَ في الصَّحيحينِ عَن حُذَيفَةَ بن اليمانِ رضي الله عنهما أنَّهُ قالَ: (كانَ الناسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَن الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي)[2]، والقرآنُ الكريمُ مَليءٌ بالآياتِ المبيِّنةِ للشركِ والكُفرِ والـمُحذِّرةِ من الوقوعِ فيهما، والدالَّةِ على سُوءِ عاقِبتِهما في الدُّنيا والآخِرةِ، بَل إن ذلكَ مَقصدٌ عَظيمٌ مِن مَقاصِدِ القرآنِ الكريمِ والسُّنةِ المطهَّرةِ، وفيما يَلي ذِكرٌ للمَطالِبِ الـمُتَعَلِّقَةِ بِهذا الجانِبِ.

---

(١) ينظر لتفصيل المسألة: التوسل ٥١ ـ ١٥٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٣/١٣١٩.

الشِّرك:

تَعريفُهُ: لُغةً: يُرادُ بِهِ عِدَّةُ مَعانٍ: مِنها: النَّصيبُ.

وَلَهُ في الشَّرعِ مَعنَيانِ: عامٌّ وَخاصٌّ.

المعنى العامُّ:

تَسويةُ غَيرِ الله بالله فِيما هُوَ مِن خَصائِصِهِ سُبحانهُ، **قالَ الشيخُ الألبانيُّ** رَحِمَهُ اللهُ:

«المشرِكُ: كُلُّ مَن أشركَ مَعَ الله شيئاً في ذاتِهِ تعالى، أو في صِفاتِهِ، أو في عِبادتِهِ»(١)، وَيَندَرِجُ تَحتَهُ ثَلاثةُ أنواعٍ:

الأولُ: الشركُ في الربوبيَّةِ، وَهو تَسويَةُ غَيرِ الله بالله فيما هو مِن خَصائِصِ الربوبيَّةِ، أو نِسبَةُ شيءٍ مِنها إلى غَيرِهِ، كالخَلقِ والرزقِ والإيجادِ والإماتةِ والتَّدبيرِ لهذا الكَونِ وَنَحوِ ذلكَ، قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣].

الثاني: الشركُ في الأسماءِ والصفاتِ، وهو تسويةُ غيرِ الله بالله في شيٍ منها، والله تعالى يقولُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

الثالث: الشركُ في الألوهيةِ، وهو تَسويةُ غيرِ الله بالله في شيء من خَصائِصِ الألوهيةِ، كالصلاةِ والصيامِ والدُّعاءِ والاستغاثةِ والذَّبحِ والنَّذرِ وَنَحوِ ذلك، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ﴾ [البقرة: ١٦٥].

---

(١) ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/ ٨٧.

المعنى الخاصُّ: وهو أن يَتَّخِذَ مَعَ الله نِدّاً يَدعوهُ كَما يَدعو الله ويسألُهُ الشفاعةَ كما يَسألُ الله وَيَرجوهُ كما يَرجو الله، وهذا هو المعنى المتبادَرُ مِن كَلِمَةِ (الشركِ) إذا أُطلِقت في القرآنِ أو السُّنةِ[1].

أنواعُهُ:

يَنقَسِم الشِّركُ إلى قِسمَينِ:

الأولُ: الشِّركُ الأكبرُ: هو اتِّخاذُ نِدٌّ مَعَ الله يَعبُدُهُ كَما يَعبُدُ الله، وَهو نَاقِلٌ من مِلَّةِ الإسلامِ مُحبِطٌ للأعمالِ كُلِّها، وَصاحِبُهُ إن مَاتَ عَلَيهِ يَكُونُ مُخلَّداً في نارِ جَهنَّم، وهو المرادُ بِقولِهِ تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

الثاني: الشركُ الأصغرُ: وَهو كُلُّ ما كَانَ ذَريعَةً إلى الشِّركِ الأكبرِ وَوَسيلةً إلى الوُقوعِ فِيهِ، أو ما جَاءَ في النُّصوصِ تَسمِيَتُهُ شِركاً وَلَم يَصِل إلى حَدِّ الأكبرِ، وَحُكمُهُ أَنَّهُ واقِعٌ تَحتَ المشيئةِ كَحُكمِ مُرتكِبِ الكَبيرةِ[2].

الفرقُ بين الشركِ الأصغرِ والأكبرِ:

لا شك أنَّ هناكَ فُروقاً بَين الشركِ الأكبرِ والأصغرِ، أهمُّها ما يَلي:

الأولُ: أنَّ الشركَ الأكبرَ لا يَغفِرُ الله لِصاحِبِهِ إلا بالتَّوبةِ، وأما الأصغرُ فَهوَ وَاقعٌ تَحتَ المشيئَةِ، **قال الشيخُ الألبانيُّ** رَحِمَهُ الله:

«إنَّ المسلمَ لا يَستَحِقُّ مَغفِرَةَ الله إلا إذا لَقِيَ الله عزَّ وجلَّ ولم

---

(١) ينظر: أصول الإيمان: ٥٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٦١ ـ ٦٣.

يُشرِكَ بِهِ شيئاً، ذلك لأنَّ الشركَ أكبرُ الكبائِرِ كَما هُو مَعروفٌ في الأحاديثِ الصحيحةِ، وَمِن هُنا يَظهَرُ لَنا ضَلالُ أولئكَ الذينَ يَعيشونَ مَعَنا وَيُصلُّون صَلاتنا... ولكنَّهم يُواقِعونَ أنواعاً من الشِّركياتِ والوَثَنياتِ، كالاستغاثةِ بالموتى مِن الأولياءِ والصالحينَ وَدُعاؤهُم في الشَّدائِدِ مِن دُونِ الله، والذَّبحِ لَهُم والنَّذرِ لَهُم... ولا يَصُدَّنَّهم عَن ذلكَ بَعضُ مَن يُوحي إليهم مِن الموسوِسينَ بأنَّ هذِهِ الشِّركياتِ إنَّما هي قُرُباتٌ وَتَوَسُّلاتٌ»[1].

الثاني: أنَّ الشرك الأكبرَ مُحبِطٌ لِجَميعِ الأعمالِ، وأما الأصغرُ فَلا يُحبِطُ إلا العَمَلَ الذي قارَنَهُ.

الثالث: أن الشرك الأكبرَ مُخرِجٌ لِصاحِبه مِن مِلَّةِ الإسلامِ، وأما الأصغرُ فَلا يُخرِجُهُ مِنها.

الرابعُ: أنَّ الشِّرك الأكبرَ صَاحِبُهُ خالِدٌ في النارِ وَتَحرُمُ عَليهِ الجنَّةُ، بِخِلافِ الأصغرِ فإنَّه كَغَيرِهِ مِن الذنوبِ[2].

الكفرُ

تَعريفُهُ: **لُغةً**: يُطلقُ على السترِ والتَّغطِيَةِ[3].

وَشَرعاً: هوَ ضِدُّ الإيمانِ، وَهوَ عَدمُ الإيمانِ بالله ورسولِهِ، سَواءٌ كانَ مَعَهُ تَكذيبٌ أم لَم يَكُن مَعَهُ تَكذيبٌ، بَل عن شَكٍّ وَرَيبٍ، أو إعراضٍ

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٣/ ٣٠١ ـ ٣٠٢. وينظر: المصدر نفسه ٦/ ١٢٦٨.

(٢) ينظر: أصول الإيمان: ٦٤ ـ ٦٥.

(٣) ينظر لسان العرب: مادة (كفر) ٥/ ١٤٤.

عَن ذلكَ حَسَداً وَكِبْراً، أو اتباعاً لِبَعضِ الأهواءِ الصَّارفةِ عن اتِّباعِ الرِّسالةِ(١).

أنواعُ الكُفرِ:

وهو نوعانِ: أكبرُ وأصغرُ.

الأول: الكُفر الأكبرُ: هو الموجِبُ للخُلُودِ في النَّارِ، وَهو أنواعٌ:

أ ـ **كُفرُ التَّكذيبِ**، وهو اعتِقادُ كَذِبِ الرُّسُلِ عَلَيهِمُ السلامُ، فَمَن كَذَّبَهم فيما جاءوا بِهِ ظاهراً أو باطناً فَقَد كَفَرَ، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٨].

ب ـ **كُفرُ الإباءِ والاستكبارِ**، وذلك بأن يَكونَ عالِماً بِصِدقِ الرسولِ، وأنَّه جاءَ بالحقِّ مِن عِند الله، ولكنَّه لا يَنقادُ استكباراً وَعِناداً، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

ج ـ **كُفرُ الشكِّ**، وَهو عَدَمُ الجزم بِصِدقِ الرَّسولِ، وَيُقالُ لَهُ كُفرُ الظنِّ، والدَّليلُ قَولُهُ تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٣٥ ـ ٣٨].

د ـ **كفرُ الإعراضِ**، والمرادُ هنا الإعراضُ بالكليَّةِ عَن الدينِ، والدَّليلُ قَولُهُ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣].

هـ ـ **كُفرُ النِّفاقِ**، والمرادُ هو النِّفاقُ الاعتقاديُّ بأن يُظهِرَ الإيمانَ

---

(١) ينظر: أصول الإيمان: ٦٥.

ويُبطِنَ الكُفرَ، والدَّليلُ قولُهُ تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٣](١).

وَقَد أقرَّ الشيخُ الألبانيُّ رحمه الله بِجَميعِ هذهِ الأنواعِ لما قُرِئت عَليهِ إقراراً تامّاً دُونَ ردٌ أو اعتراضٍ على واحِدٍ مِنها(٢).

ثم إن الشيخَ رحمه الله قَد نَقَلَ كلامَ الإمامِ ابن القيِّمِ في تَقسيمِهِ الكفرَ إلى اعتقاديٌّ وَعَمَليٌّ نَقلَ إقرارٍ وَقَبُولٍ (٣).

الثاني: الكفرُ الأصغرُ: وهو لا يُخرِجُ صاحِبَهُ من الملَّةِ، ولا يوجِبُ لَهُ الخُلودَ في النَّارِ، ولكن يَلحَقُ صاحِبَهُ الوَعيدُ الشَّديدُ، وَقَد بَيَّن ذلكَ الشيخُ الألبانيُّ بِقَولِهِ:

«... إنَّ الكُفرَ قِسمانِ: اعتقاديٌّ وَعَمَليٌّ... وَالعَمَليُّ مَحلُّهُ الجوارِحُ... وعلى هذا النَّوعِ تُحمَلُ الأحاديثُ التي فيها إطلاقُ الكُفرِ عَلى مَن فَعَلَ شيئاً مِن المعاصي مِن المسلمينَ، ولا بأسَ من ذِكرِ بَعضِها:

١ ـ (اثنتانِ في النَّاسِ هما بهم كفرٌ: الطعنُ في الأنسابِ والنياحةُ على الميِّتِ)(٤).

---

(١) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم: ١/ ٣٣٧ ـ ٣٣٩.

(٢) ينظر: الرد البرهاني في الانتصار للعلامة المحدث ناصر الدين الألباني لعلي الحلبي: ٢٠١.

(٣) ينظر: السلسلة الصحيحة: ٧/ ١٣٤، والمصدر نفسه ٦/ ١١٢

(٤) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، بَاب إِطْلَاقِ اسْمِ الْكُفْرِ على الطَّعْنِ في النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةِ، ١/ ٨٢.

٢ ـ (الجدالُ في القرآنِ كفرٌ)[١].

٣ ـ (سبابُ المسلمِ فسوقٌ وقتالُهُ كفرٌ)[٢].

٤ ـ (كفرٌ بالله تبرؤٌ من نسبٍ وإن دَقَّ)[٣].

٥ ـ (التحدُّثُ بنعمةِ الله شكرٌ وتركُها كفرٌ)[٤].

٦ ـ (لا تَرجِعوا بَعدي كُفَّاراً يَضرِبُ بَعضُكُم رِقابَ بَعضٍ)[٥] . . . فَمَن قَامَ مِن المسلمينَ بِشيءٍ مِن هذه المعاصي فَكُفرُهُ كُفرٌ عَمَليٌّ»[٦].

* * *

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: ٢/ ٢٤٣.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الإيمان، بَاب خَوْفِ الْمُؤْمِنِ من أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ... ١/ ٢٦.

(٣) مسند الإمام أحمد: ٢/ ٢١٥.

(٤) المصدر نفسه: ٤/ ٢٧٨.

(٥) صحيح البخاري: كتاب العلم، بَاب الْإِنْصَاتِ لِلْعُلَمَاءِ، ١/ ٥٦٦.

(٦) السلسلة الصحيحة ٦/ ١١٢ ـ ١١٣.



المبحث الثالث:

الإيمان بأسمائه تعالى وصفاته

تمهيد

إنَّ للإيمانِ بأسماءِ الله وَصِفاتِهِ الأثَرُ العَظيمُ في نَفسِ المسلِم وَتَحقيقِهِ لِعبادَةِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمِن آثارها تِلك المعاني التي يَجِدُها العَبدُ في عُبوديَّتِهِ القَلبيَّةِ التي تُثمِرُ التوكُّلَ على الله تعالى والاعتمادَ عَلَيهِ، وَحِفظِ جَوارِحِهِ وَخَطَراتِ قَلبِهِ، وَضَبطِ هَواجِسِه حتى لا يُفَكِّرَ إلا فيما يُرضي الله تباركَ وتعالى.

هذه المعاني وَغيرِها مما يَتَعلَّقُ بالإيمانِ بِمَعاني الأسماءِ والصِّفاتِ تُثمِرُ العبوديَّةَ الظاهِرَةَ والباطنةَ على تَفاوُتٍ بَين شَخصٍ وآخرَ، وذلكَ فَضلُ الله يؤتِيهِ مَن يَشاءُ.

فلاسمِهِ (الغفَّارِ) الأثرُ العَظيمُ في مَحبَّتِهِ وَعَدمِ اليأسِ مِن رَحمتِهِ، ولاسمِهِ (شَديدُ العِقابِ) الأثرُ الكبيرُ في خَشيَتِهِ وَعَدمِ الجرأةِ على مَحارِمِهِ، وهكذا الآثارُ الأُخرى لبقيَّةِ الأسماءِ والصِّفاتِ، وذلك بِحَسَبِ دِلالاتِها المتَنوِّعةِ في نَفسِ المسلِمِ واستقامتِهِ على شرعِ الله، فَهيَ مِفتاحُ كُلِّ خَيرٍ وأعظمُ عَونٍ للعَبدِ على عِبادتِهِ لِربِّهِ على أكملِ الوجوهِ، إذ الأعمالُ الظاهرةُ تَخِفُّ وَتَثقُلُ على النَّفسِ بِحَسَبِ المحبَّةِ القلبيَّةِ لله تعالى.

فإكمالُ العَمَلِ وَتَحسينُهُ على ما أرادَ الله مَنوطٌ بالمحبَّةِ القلبيَّةِ لله، والمحبَّةُ مَنوطَةٌ بِمَعرفةِ الله بأسمائِهِ وَصِفاتِهِ، ولهذا كان أعظمُ الناس عِبادةً لله رُسُلُ الله الذين هُم أعظمُ الناسِ مَحبَّةً لهُ وأعرفهم بِهِ(١).

أولاً: تَعريفُ الإيمان بالأسماءِ والصفاتِ:

هو إثباتُ ما أثبتهُ الله لنفسِهِ في كِتابِهِ، وما أثبتهُ لَهُ رسولُهُ ﷺ من الأسماءِ والصِّفاتِ، على الوجهِ الذي يَليقُ بِهِ سبحانَهُ وتعالى، والإيمانُ بِها، مِن غَيرِ تَحريفٍ ولا تَعطيلٍ، ولا تَكييفٍ ولا تَمثيلٍ.

ثانياً: المنهجُ في إثباتِهِ: يَقومُ المنهجُ الحقُّ في بابِ الأسماءِ والصِّفاتِ على الإيمانِ الكامِلِ والتَّصديقِ الجازِمِ بما وَصَفَ الله بِهِ نَفسَهُ وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ مِن غَيرِ تَحريفٍ ولا تَعطيلٍ وَمِن غَيرِ تَكييفٍ ولا تَمثِيلٍ(٢).

فالتحريفُ: «وهو التَّغييرُ»(٣)، وهو قِسمانِ:

الأولُ : التَّحريفُ اللفظي: وذلك بالزِّيادَةِ في الكلمَةِ أو النَّقصِ مِنها، ومثالُ ذلك تَحريفُ كَلِمَةِ استوى في قَولِهِ تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] إلى استولى، قالَ الإمامُ ابنُ القيِّمِ في نُونِيَّتِهِ:

نونُ اليهودِ ولامُ جَهميٍّ هُما في وَحيِ ربِّ العَرشِ زائِدَتانِ

قالَ أحمدُ بن عيسى شارِحاً هذا البَيتَ:

«شَرَعَ الناظِمُ ﷺ تعالى في إيضاحِ ما ذَكَرَهُ مِن شَبَهِ المُعطِّلةِ

(١) ينظر: أصول الإيمان ٧٦.

(٢) ينظر: العقيدة الواسطية لابن تيمية: ٦.

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي: ١/ ٨٩.

باليهودِ وأنَّهم وَرِثوا مِنهُم التَّحريفَ، فَذَكَرَ أنَّ اليهودَ قِيلَ لَهُم: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨] فأبَوا وقالُوا: حِنطَة، وكذلكَ الجهميَّةُ قيلَ لَهم: استوى، فأبَوا وقالوا: استولى»[١].

الثاني: التَّحريفُ المعنوي: وذلكَ بِتَفسيرِ اللَّفظِ على غَيرِ مُرادِ الله وَرَسولِهِ مِنهُ، كَمَن فَسَّر (اليدَ) لله تعالى بالقوَّةِ أو النِّعمَةِ، فإنَّ هذا تَفسيرٌ باطِلٌ لا يَدلُّ عليهِ الشَّرعُ ولا اللُّغةُ[٢].

والتعطيل: «إنكارُ ما أثبَتَ الله لِنَفسِهِ مِن الأسماءِ والصِّفاتِ، سواءً كانَ كُليّاً أو جُزئيّاً، وَسَواء كانَ ذلكَ بِتَحريفٍ أو بِجُحُودٍ»[٣].

«وَالفَرقُ بَين التَّحريفِ والتَّعطيلِ: هو أن التَّحريفَ نَفيُ المعنى الصَّحيحِ الذي دَلَّت عَلَيهِ النصوصُ واستبدالُهُ بِمَعنى آخر غَيرُ صَحيح، أما التَّعطيلُ فهو نَفيُ المعنى الصَّحيحِ مِن غَيرِ استبدالٍ لَهُ بِمَعنى آخَرَ»[٤].

والتَّكييفُ: هو ذِكرُ كَيفيَّةِ الصِّفَةِ، والهيئةِ التي تَكونُ عَلَيها، كَفِعلِ مَن يُكيِّفُ صِفاتِ الله تعالى فَيَذكُرُ أنَّ كَيفيَّةَ يَدِهِ كذا وكذا وأن كَيفيَّةَ استوائِهِ كذا وكذا، وهذا باطِلٌ إذ لا يعلَمُ كَيفيَّةَ صِفاتِ الله إلا الله وَحدَهُ، وأما المخلُوقونَ فإنَّهم يَجهَلُونَ ذلكَ وَتَعجَزُ عُقُولُهُم عَن إدراكِهِ[٥].

---

(١) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم لابن عيسى: ٢/٢٦ ـ ٢٧.
(٢) ينظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين: ٢١٥.
(٣) شرح العقيدة الواسطية: ٦٤.
(٤) أصول الإيمان: ٧٨.
(٥) ينظر: شرح العقيدة الواسطية: ٦٨ ـ ٦٩، وينظر: أصول الإيمان: ٧٨.

والتمثيلُ: هو التَّشبيهُ، كَمَن يَقولُ: لله وَجهٌ كوجوهِنا وَسَمعٌ كَسَمعِنا، تعالى الله عن ذلكَ(١).

وَيَنتَظِمُ المنهجُ الحقُّ في بَابِ الأسماءِ والصفاتِ في ثَلاثَةِ أصولٍ مَن حَقَّقَها فَقَد سَلِمَ من الانحرافِ في هذا البابِ:

الأولُ: تَنزيهُ الله جَلَّ وَعلا عن أن يُشبِهَ شيءٌ مِن صِفاتِهِ صِفاتِ المخلوقينَ.

الثاني: الإيمانُ بِما سَمَّى وَوَصَفَ الله بِهِ نَفسَهُ وَبِما سَمَّاهُ وَوَصَفَهُ بِهِ رَسولُهُ ﷺ على الوجهِ اللائِقِ بِجَلالِ الله وَعَظَمَتِهِ.

الثالث: قَطعُ الطَّمَعِ عن إدراكِ حَقيقةِ كَيفيَّةِ صِفاتِ الله تعالى لأن إدراكَ المخلوقِ لِذلكَ مُستَحيلٌ.

فالذي يُحَقِّقُ هذه الأصولَ الثلاثَةَ فَقَد حَقَّقَ الإيمانَ الواجِبَ في بابِ الأسماءِ والصِّفاتِ(٢).

وأمَّا الأدلةُ على تَقريرِ هذا المنهجِ فَهي مِن كِتابِ الله عزَّ وجلَّ(٣):

فَمِن الأدلةِ على الأصلِ الأول: وَهو تَنزيهُ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ عَن مُشابَهَةِ المخلوقينَ؛ قَولُ الله تباركَ وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وَمُقتَضى الآيةِ نَفيُ المماثلَةِ بَين الخالِقِ والمخلوقِ مِن كُلِّ وَجهٍ مَعَ إثباتِ السَّمعِ والبَصرِ للهِ عزَّ وجلَّ، وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ ما يَثبُتُ للمخلوقينَ من هاتَينِ الصِّفتَينِ مَعَ كَثرةِ مَن يَتَّصِفُ

(١) ينظر: شرح العقيدة الواسطية: ٧١.
(٢) ينظر: أصول الإيمان: ٧٨ ـ ٧٧، العقيدة الواسطية ٦ ـ ٧.
(٣) ينظر: أصول الإيمان: ٧٩ ـ ٨٢.

بِهِما من المخلوقينَ، وما يُقالُ في السَّمعِ والبصَرِ يُقالُ في غَيرهِما من الصِّفاتِ، وأقرأ قولَهُ تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١] وَقَد أوردَ ابنُ كثيرٍ في تَفسيرِ هذه الآيةِ قَولَ عائِشَةَ رضي الله عنها:

«سُبحانَ الذي وَسِعَ سَمعُهُ الأصواتَ، والله لَقد جاءَت المُجادِلةُ تَشتَكي زَوجَها إلى رَسولِ الله ﷺ وأنا في جَنبِ البَيتِ وإنَّه لَيَخفى عَلَيَّ بَعضُ كَلامِها، فأنزلَ الله ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾»(١).

وَمِن الأدلةِ قَولُهُ تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، قال ابنُ عَباسٍ رضي الله عنهما في تَفسيرِها: «هَل تعلَمُ للرَّبِّ مَثَلاً أو شَبيهاً»(٢).

وَمن الأدلةِ كذلكَ قولُهُ تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، قال الطَّبريُّ: «وَلَم يكُن لهُ شبيهٌ ولا عدلٌ وَلَيسَ كَمِثلِهِ شيءٌ»(٣).

وَمِن الأدلَّةِ على الأصلِ الثاني: وَهو الإيمانُ بِما جَاءَ في الكتابِ والسُّنَّةِ من الأسماءِ والصِّفات، قَول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢/ ٥٠٤.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي٥/ ٥٣١، وينظر: تفسير الطبري ١٦/ ١٠٦.

(٣) تفسير الطبري: ٣٠/ ٣٦٤.

عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣] وقولُه تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢ ـ ٢٤].

وَمِن السُّنةِ: حَديثُ أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: كانَ رسول اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُنَا إذا أَخَذْنَا مَضْجَعَنَا أَنْ نَقُول: (اللَّهم رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الأرض وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيم رَبَّنَا وَرَبَّ كل شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ؛ أَعُوذُ بِكَ من شَرِّ كل شَيْءٍ أنت آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهم أنت الْأَوَّلُ فَلَيْس قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْس بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْس دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا من الْفَقْرِ)[1].

وأما الأصلُ الثالِثُ: وهو قطعُ الطمعِ عن إدراكِ كيفيَّةِ صِفاتِ الله تعالى فَقَد دلَّ عَليهِ قَولُهُ تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، قال الشيخُ محمد الأمين الشنقيطيّ: «لا إحاطةَ للعلمِ البشريِّ بربِّ السماواتِ والأرضِ فينفي جِنسَ أنواعِ الإحاطةِ عن كيفيَّتِها»[2].

ومن الأدلةِ عليهِ قولُهُ تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] قالَ ابنُ أبي العزِّ الحنفيّ:

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، بَاب ما يقول عِنْدَ النَّوْمِ وَأَخْذِ الْمَضْجَعِ ٤/ ٢٠٨٤.

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشنقيطي ٤٣.

«وهذا يَدلُّ على كَمالِ عَظمتِهِ وأنَّهُ أكبرُ مِن كُلِّ شيءٍ وأنَّه لِكَمالِ عَظَمَتِهِ لا يُدرَكُ بِحَيثُ يُحاطُ بِهِ، فإنَّ الإدراكَ هو الإحاطةُ بالشيءِ وَهو قَدْر زَائِد على الرُّؤيَةِ... فالربُّ تَعالى يُرى ولا يُدرَكُ كما يُعلَمُ ولا يُحاطُ بِهِ عِلماً وهذا هو الذي فَهِمَهُ الصَّحابةُ والأئِمَّةُ من الآيةِ»(١).

فَيَنبَغي للمُسلِمِ أن يَعلَمَ أنَّ لِلعَقلِ حَدّاً يَصِلُ إليهِ ولا يَتَعَدَّاهُ، كما أنَّ للسَّمعِ والبَصَرِ حَدّاً يَنتَهيانِ إليهِ، فَمَن تَكلَّفَ ما لا يُمكِنُ أن يُدرَكَ بالعَقلِ كالتَّفكيرِ في كَيفيَّةِ صِفاتِ الله، فهو كالذي يَتَكلَّفُ أن يُبصِر ما وَراءَ الجِدارِ أو يَسمَعُ الأصواتَ من الأماكِنِ البَعيدَةِ عَنهُ.

ثالثاً: مَوقِفُ الشيخِ الألبانيِّ مِن الصِّفاتِ:

إنَّ مَذهبَ الشيخِ الألبانيِّ رَحِمَهُ اللهُ مِن آياتِ وأحاديثِ الصِّفاتِ هو عَينُ مَذهبِ السَّلفِ ـ رحمهم الله ـ بَل إنَّه قَرَّرَ مَذهَبَهُم وانتَصَرَ لَهُ في كَثيرٍ مِن كُتبِهِ وَمَجالسِهِ، قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

«فإنَّ من المنهجِ الذي سَلَكَهُ هؤلاءِ الخَلَفُ خِلافاً لِمَنهَجِ السَّلَفِ هو: تأويلُ الآياتِ وَعَدَمُ اتِّباعِها كما جاءت دُونَ تأويلٍ وَدُونَ تعطيلٍ، فالسَّلفُ رضي الله عنهم وَمِنهم الائمةُ الأربعةُ قَد ذَهَبوا في مَوقِفِهِم من آياتِ الصِّفاتِ وأحاديثِ الصِّفاتِ إلى الإيمانِ بِحَقائِقِ مَعانِيها، دُونَ تَشبيهٍ وَدُونَ تَعطيلٍ.

التَّشبيهُ مِن مَذهبِ المُشبِّهةِ، والتَّعطيلُ مِن مَذهَبِ المؤوِّلَةِ، أما السَّلَفُ فَقَد جَمَعوا إثباتَ مَعاني الصِّفاتِ على حَقائِقِها، مَعَ تَنزيهِ الله تبارك وتعالى عَن مُشابَهَتِهِ الحوادِثِ، والنَّصُّ القُرآنيُّ في ذلكَ صَريحٌ كَما تَعلَمونَ، ألا وَهوَ قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٢٠٨.

﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، لَيسَ كَمِثلِهِ شيءٌ: تَنزيهٌ فَوقَعوا في التَّعطيلِ، وَهو إنكارُ صِفاتِ الله عزَّ وجلَّ إلى عِبادِهِ حينَما وَصَفَ نَفسَهُ ببعضِ الآياتِ، وَفي بعضِ الأحاديثِ، فَعَطَّلَ الخَلَفُ مَعانيَ هذِهِ الآياتِ، لإخراجِها عَن مَعانيها الظاهِرَةِ.

زَعَموا أَنَّهم فَعلوا ذلكَ مِن بابِ التَّنزيهِ، فَخالَفوا الآياتِ، وَخالَفوا السَّلَفَ الصالِحَ الذين كانوا يُمِرُّونَها على مَعانِيها الظاهرةِ المعروفةِ في اللُّغةِ العَرَبيَّةِ، مَعَ تَنزيهِ الله تبارك وَتَعالى عَن مُشابَهَتِهِ للمَخلوقاتِ. . . فإذاً مَذهَبُ السَّلَفِ: الإيمانُ بآياتِ الصِّفاتِ على المعنى اللُّغويِّ، دُونَ تأويلٍ لأنَّهُ تَعطيلٌ، وَدُونَ تَشبيهٍ لأنَّهُ يُنافي التنزيهَ المصرَّحَ بِهِ في قَولِهِ تَعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]»(١).

وَقالَ أيضاً: «الحقُّ الذي عَليهِ السَّلَفُ والأئمةُ: إثباتُ الصِّفاتِ بِدونِ تَشبيهٍ، وَتَنزيهٌ بِدونِ تَعطِيلٍ»(٢).

وقالَ مُعلِّقاً على قَولِ الإمامِ الطَّحاويِّ في عَقيدَتِهِ: «نَقولُ في تَوحيدِ الله. . .» قال مُعلِّقاً:

«هذا أصلٌ مِن أصولِ التَّوحيدِ وهو أنَّ الله تعالى لَيسَ كَمِثلِهِ شيءٌ لا في ذاتِهِ ولا في صِفاتِهِ ولا في أفعالِهِ، ولكن الـمُبتَدِعةَ والمتأوِّلَةَ قَد اتَّخذوهُ أصلاً لإنكارِ كَثيرٍ مِن صِفاتِ الله تباركَ وَتَعالى، فَكُلَّما ضَاقت قُلوبُهُم عن الإيمانِ بِصِفَةٍ مِن صِفاتِهِ عَزَّ وجلَّ سلَّطوا عَلَيها مَعاوِلَ التأويلِ

(١) التعليقات السنية: ٥٣ ـ ٦١.
(٢) السلسلة الصحيحة: ١/ ٩.

والـهَدم فـأنـكـروهـا واستَدَلُّوا عـلى ذلـكَ بِـقـولِـهِ تَـعـالـى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ مُتَجاهِلينَ تَمامَ الآيةِ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فَهيَ قَد جَمَعت بَينَ التنزيهِ والإثباتِ، **فمن أرادَ السلامةَ في عَقيدتِهِ** فَعَلَيهِ أن يُنزِّه الله تعالى عَن مُشابَهَتِهِ للحَوادِثِ دون تأويلٍ أو تَعطيلٍ وأن يُثبِتَ لَهُ عزَّ وجلَّ مِن الصِّفاتِ كُلَّ ما أثبَتَهُ لِنَفسِهِ في كِتابِهِ أو حَديثِ نَبيِّهِ دُونَ تَمثيلٍ، **وهذا هو مَذهَبُ السَّلَفِ** وَعَليه المصنِّفُ رحمه الله تَبعاً لأبي حَنيفةَ وسائرِ الأئمةِ، كما تَراهُ مُفَصَّلاً في الشَّرحِ ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]»(١).

وَسُئِلَ الشيخُ الألبانيُّ رحمه الله:

ما القولُ في قَولِهِ تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]، وَقَولُهُ: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩] وأمثالِها مِن الآياتِ المتشابِهَةِ؟

فأجابَ رحمه الله:

«السَّلَفُ كانوا يَقُولونَ في مِثلِ هذهِ الآيةِ وأشباهِها: أمِرُّوها كَما جاءَت، وَهُم لا يَعنُونَ أمِرُّوها بلا فَهمٍ، ولكن أمرُّوها كما جاءَت بِفَهمٍ صَحيحٍ، وَبِدون تَشبيهٍ وَتكييفٍ، أو تأويلٍ وَتَعطيلٍ.

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فَفي هذه الآيةِ تَنزيهٌ، وَفيها إثباتٌ لِصِفَتي السمعِ والبصرِ، فَمَعنى التنزيهِ: أَنَّنا نُثبِتُ الصِّفَةَ التي وَصَفَ الله بِها نَفسَهُ، أو وَصَفَهُ بِها رَسُولُهُ، كَما يَليقُ بِعَظَمَتِهِ سُبحانَهُ وَتَعالى، ولا نُكيِّفُ ذلك فَنَقولُ: سَمعُهُ كَسَمعِنا، وَبَصَرُهُ كَبَصَرِنا، كَما أَنَّنا لا نَتأوَّلُ ذلكَ كَما فَعَلَ بَعضُ غُلاةِ المعتزلةِ؛

(١) العقيدة الطحاوية شرح وتعليق الألباني ١٠.

حَيث أوَّلوا السمعَ والبَصَرَ بالعِلمِ، معَ أنَّ الله قَد وَصَفَ نَفسَهُ في غَيرِ ما آيةٍ في القرآنِ الكريمِ بالعِلمِ، فَتأويلُ أولئكَ للسَّمعِ والبصرِ بالعلمِ تَعطيلٌ، الذي قالَ عَنهُ العُلماءُ: المعطِّلُ يَعبُدُ عَدَماً، والـمُجَسِّمُ يَعبُدُ صَنَماً.

وعلى هذا نَقولُ في الآيتينِ السابِقَتَينِ الوارِدَتَينِ في السؤالِ: مِن استِهزاءِ الله عزَّ وجلَّ وَسُخريَتِهِ، إنَّه استهزاءٌ وَسُخرِيَةٌ يَليقُ بالله عزَّ وجلَّ»(١).

* * *

نَقضُ الشيخِ الألبانيِّ رحمه الله لِقولِ بَعضِ المتَكلِّمينَ بأنَّ مَذهبَ السَّلفِ أسلمُ وَمَذهبُ الخَلَفِ أعلَمُ وأحكَمُ

تكلَّمَ الشيخُ الألبانيُّ على هذهِ القاعدةِ مُناقَشَةً وَنَقداً، فَقالَ رَحِمَهُ اللهُ:

«أنتُم تَسمَعونَ في كَثيرٍ مِن المناسباتِ أقوالاً يَتَلَفَّظُ بِها بَعضُ من يَنتمي إلى العِلمِ، وَلكن ليسَ هذا هو العِلمُ الذي طَريقُهُ ما ذكرتُهُ آنِفاً، الكتابُ والسنةُ وما كانَ عَلَيهِ الصحابَةُ، وإنَّما يَعنُونَ بالعِلمِ ما يَفهَمونَهُ من الكتابِ والسُّنةِ دونَ أن يَرجِعوا إلى العِصمةِ التي تَحفَظُهُم مِن أن يَكونوا مِن الفِرَقِ الضَّالَّةِ.

لذلك تَجِدونَ وَتَسمَعونَ في بَعضِ ما يُنشَرُ ويُطبَعُ في العَصرِ الحاضِرِ مِن رَسائِلَ أو مِن مَقالاتٍ؛ أنَّ كثيراً من هؤلاءِ الذينَ يَدَّعونَ العِلمَ أو ينتمونَ إلى العلمِ، أو يَزعُمُ الجماهيرُ أنَّهم من أهلِ العِلمِ، تَسمَعونَ مِنهُم مَن يَقولُ ـ مُخالِفاً لِكُلِّ هذهِ الأدلَّةِ التي ذكرنا آنِفاً ـ :

---

(١) المنهج السلفي: ١٢٢ ـ ١٢٣.

«مَذهَبُ السَّلَفِ أسلَمُ، وَمَذهَبُ الخَلَفِ أعلَمُ وأحكَمُ»، هذا إعلانٌ صَريحٌ مَفضوحٌ بأنَّ هذا القائِلَ وأمثالهُ لا يَرجِعونَ إلى ما ذَكَرنا من النُّصوصِ التي توجِبُ عَلَيهِم أن يَلتَفِتوا إلى ما كَانَ عليهِ السَّلفُ أصحابُ النبيِّ ﷺ من الهُدى والنُّورِ.

فَقَولُ هؤلاءِ: إنَّ عِلمَ السَّلفِ أسلَمُ وعِلمُ الخَلَفِ أعلَمُ وأحكَمُ؛ معنى ذلكَ: أنَّهم أعرضوا عن اتِّباعِ السلفِ الذينَ أَمَرَ النبيُّ ﷺ باتِّباعِ سُنَّتِهِم»[(١)].

وقالَ في موضِعٍ آخَرَ بَعدَ أن بيَّن ضلالَ بعضِ المتأخِّرينَ الذين تأوَّلوا الصفاتِ على غَيرِ مَذهَبِ السَّلَفِ، قالَ رَحِمَهُ اللهُ:

«ومِن مِثل هذا يَتبيَّن للقارئ اللَّبيبِ: أنَّ مَذهَبَ السَّلَفِ أسلَمُ وأعلَمُ وأحكَمُ، خِلافاً لما اشتُهِرَ عِندَ المتأخِّرينَ مِن عُلَماءِ الكَلامِ»[(٢)].

هل آياتُ الصِّفاتِ من المتشابِهاتِ أم من المُحكَماتِ؟

أجابَ عن ذلك الشيخُ الألبانيُّ بِقَولِهِ:

«هي مِن جِهةٍ من المتشابِهاتِ، وذلكَ فيما يَتَعلَّقُ بالكيفيَّاتِ، وَلَيسَت مِن جِهةٍ أخرى من المتشابِهاتِ مِن حَيثُ إنَّ لها مَعنى ظاهراً، أي إنَّ لَها مَعانيَ مَعروفَةً باللغةِ العربيَّةِ.

فهي إذن باعتبارِ الكيفيَّةِ مُتَشابِهَةٌ، لأنَّهُ لا يُمكِنُ أن نَعرِفَ كيفيَّةَ ذاتِ الله، فبالتالي لا يُمكِنُ أن نَعرِفَ كَيفيَّةِ صِفاتِهِ عزَّ وجلَّ.

---

(١) المنهج السلفي: ١٠٥ ـ ١٠٦.

(٢) السلسلة الضعيفة: ١١/ ٥٠٧.

ولهذا قال بعضُ أئمَّةِ الحديثِ ـ وهو أبو بكر الخطيب ـ :

«يُقالُ في الصِّفاتِ ما يُقالُ في الذَّاتِ»[١]؛ سَلباً وإيجاباً، فَكما أنَّنا نُثبِتُ الذَّات ولا نَنفيها، فإن هذا النَّفيَ هو الجَحدُ المُطلَقُ، كذلك نَقولُ في الصِّفاتِ: نُثبِتُها ولا نَنفيها، ولكنَّنا كما لا نُكيِّفُ الذَّات، لا نُكيِّف الصفات»[٢].

نقضُ الشيخِ الألبانيِّ لعقيدَةِ «التفويضِ» الفاسِدَةِ:

وهذا المذهبُ ـ أعني التفويضَ ـ سارَ عليهِ الكثيرونَ قَديماً وَحَديثاً، بِحُجَّةِ الخروجِ مِن الخِلافِ، وَهو غَيرُ تفويضِ السَّلَفِ؛ فإن التَّفويضَ عِندَ أهلِ السنةِ هوَ تَفويضُ الكيفيَّةِ بَعدَ إثباتِ الصِّفَةِ، وَمَعرِفَةِ مَعناها مِن لُغَةِ العَرَبِ، وأما مُفوِّضَةُ المعنى فَلا طائِلَ وَراءَ إثباتِهِم إلا إثباتَ اسمِ الصِّفَةِ، وأما معناها فلا يَخوضُونَ فِيهِ، وهذا مُخالِفٌ لِمَذهَبِ السَّلفِ[٣]، قَالَ شيخُ الإسلامِ ابن تيميَّة:

«فَتبيَّن أنَّ قولَ أهلِ التفويضِ الذين يزعُمونَ أنَّهم مُتَّبِعونَ للسُّنَّةِ والسَّلفِ مِن شَرِّ أقوالِ أهلِ البِدعِ والإلحادِ»[٤].

قالَ الشيخُ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ :

«وهنا يَجِبُ أن تَنتَبِهوا إلى أنَّ كَثيراً مِن الدُّعاةِ الإسلاميينَ اليومَ مِمَّن لَم يؤتَوا حَظّاً مِن العِلم بالكتابِ والسنةِ، يَتَحاشَونَ الخَوضَ في

---

(١) ينظر كلام أبي بكر الخطيب: العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها للذهبي ٢٥٣.

(٢) المنهج السلفي ١١٩.

(٣) ينظر لتفصيل المسألة: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١/ ٢٠٤ ـ ٢٠٨.

(٤) المصدر نفسه١/ ٢٠٥.

اتِّباعِ السَّلفِ. . . وهو اتِّباعُهُم في إيمانِهِم بآياتِ وأحاديثِ الصِّفاتِ على المفهومِ العربيِّ مَع التَّنزيهِ، إنَّهم لا يُريدُونَ أن يكونوا سَلَفيِّينَ، ولا يُريدونَ أن يَكونوا مِن المعتزِلةِ، فَيَقولونَ: نَحنُ نُفوِّضُ هذه المعاني التي جاءَت في آياتِ الصِّفاتِ وفي أحاديثِ الصِّفاتِ، فَسُمُّوا بـ«المفوِّضَةِ»، وَمَعنى المفوِّضَةِ هنا: هو الجَهلُ بِعَشَراتِ الآياتِ والأحاديثِ التي جاءت عن النبي ﷺ، والتي كَما قُلنا آنِفاً تَعَرَّفَ بِها إلى عِبادِهِ، عَرَّفَهُم بِبَعضِ صِفاتِ غَيب الغُيوبِ إن صَحَّ التَّعبيرُ، وهو الله تبارك وتعالى، فَجهِلوا هذهِ المعاني كُلِّها، قالوا: الله أعلَمُ بِمُرادِهِ»(١).

وَقالَ رَحِمَهُ اللهُ في موطِنٍ آخرَ:

«والظنُّ الذي أتى مِنهُ المخالِفونَ هوَ مِما يُكَرِّرُ ذِكرَهُ بَعضُ المؤيِّدينَ لِمَذهَبِ الخَلَفِ على مَذهَبِ السلفِ ويَتَوَهَّمُ صِحَّتَهُ بَعضُ الكُتَّابِ الإسلاميِّينَ الذينَ لا عِلمَ عِندهم بأقوالِ السَّلفِ وَيُسَمُّونَهُ بـ (التفويضِ)»(٢).

ثم قال بعد أن ذَكرَ أقوالَ بَعضِ المخالفينَ المعاصِرينَ لهُ:

«ثم إنَّ عَجَبي لا يَكادُ يَنتَهي من الكوثريِّ وأمثالِهِ الذينَ يَنسِبونَ السَّلفَ الصالحَ في آياتِ الصِّفاتِ إلى التَّفويضِ وَعَدَمِ البحثِ عن المرادِ مِنها كما سَبَقَ النَّقلُ الصَّريحُ بِذلكَ عَنهُ، فإنَّه إن لَم يَجِد في قَلبِهِ من التَّعظيمِ للسَّلفِ وَعِلمِهِم ما يَزَعُهُ عَن التَّلَفُّظِ بِها بِما يَمَسُّ مَقامَهُم في المعرفةِ بالله تعالى وَصِفاتِهِ، أفَلَم يَقِف على ما نَقَلَهُ العُلماءُ عَنهم من

---

(١) المنهج السلفي ١٢٤ ـ ١٢٥.

(٢) مختصر العلو للعلي الغفار للذهبي اختصار الألباني ٣٥.

العباراتِ المختلفةِ لَفظاً والمتَّحِدَةِ مَعنى، وكلُّها تَلتَقي حَولَ شيءٍ واحِدٍ وهو إثباتُ الصِّفاتِ مَعَ الرَّدِّ على الـمُعطِّلةِ النَّافينَ لها والـمُمَثِّلَةِ المشبِّهينَ لَها بِصِفاتِ الخَلقِ، وإليك بَعضَ النُّصوصِ في ذلكَ مما سَتَراهُ في الكتابِ في تَراجُمِهِم إن شاءَ الله تعالى»(١).

ثمَّ إنَّه رَحِمَهُ اللهُ نَقَلَ بَعضَ الأقوالِ عَن السَّلفِ في الصِّفاتِ وَمِنها الاستواءُ، وَكَيفَ أنَّهم أثبتوا مَعانِيها وَنَفَوا الكيفيَّةَ والتَّشبيهَ عَنها، ثُمَّ قالَ بَعدَ ذلكَ:

«قُلتُ: فهذا قِلٌّ مِن جُلٍّ من النصوصِ التي سنَراها في الكِتابِ وَهيَ كُلُّها متَّفِقَةٌ على أن السَّلَفَ كانوا يَفهَمونَ آياتِ الصِّفاتِ وَيُفسِّرونَها ويُعيِّنُونَ المعنى المرادَ مِنها على ما يليقُ بِهِ تبارَكَ وتعالى.

فَلِماذا لا يَرفَعُ الكوثريُّ وأمثالُهُ من الخَلَفِ رؤوسَهُم إلى هذِهِ النُّصوصِ وَيَظلُّونَ يُصرُّونَ على أنَّ السَّلَفَ كانوا لا يَفهمونَها وإنَّما كانوا يُجرونَها على ألسِنَتِهِم فَقَط دونَ تَدَبُّرٍ لَها وَبَيَانٍ لِمَعناها؟!»(٢).

رابعاً: أمثلةٌ تطبيقيةٌ لإثباتِ الأسماءِ والصِّفاتِ:

لَقَد دَلَّ الكِتابُ والسُّنَّةُ على إثباتِ الأسماءِ والصِّفاتِ للرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ في مَواطِنَ كَثيرَةٍ مِن أوجُهٍ مُتَعَدِّدَةٍ وفي سِياقَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ.

والأسماءُ والصِّفاتُ الثابتةُ في الكتابِ والسُّنةِ كَثيرةٌ جِداً دُوِّنَت فيها الكُتُبُ والمصنَّفاتُ، وَعَدَّ أهلُ العِلمِ الكَثيرَ مِنها، وَذَكَرَ الشيخُ الألبانيُّ أنَّ لله عزَّ وجلَّ أسماء غَيرِ التسعةِ والتِّسعينَ اسماً وأنَّ قَولَ النبيِّ ﷺ:

---

(١) مختصر العلو ٣٦.

(٢) المصدر نفسه ٣٨.

(لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا مَن حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ)[١]، لا يَنفي وُجُودَ غَيرِ هذهِ الأسماءِ[٢].

فَمِن أسماءِ الله تعالى على سَبيلِ التَّمثيلِ لا الحصرِ:

١ ـ الحيُّ القيُّومُ:

وَقَد دَلَّ على هذينِ الاسمَينِ الكتابُ والسُّنةُ، فَمِن الكِتابِ قَولُ الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَمِن السُّنةِ حَديثُ أنسِ بنِ مالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ النبي ﷺ في حَلَقَةٍ وَرَجُلٌ قائِمٌ يُصلِّي فَلمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ تَشَهَّدَ وَدَعا فَقَالَ في دُعائِهِ: اللَّهم إني أسألُكَ بأنَّ لَكَ الحمدُ لا إله إلا أنتَ بديعُ السماواتِ والأرضِ يا ذا الجلالِ والإكرامِ يا حَيُّ يا قيُّومُ فَقالَ النبيُّ ﷺ: **(لَقد دَعا باسم اللهِ الأعظمِ الذي إذا دُعيَ بِهِ أجابَ وإذا سُئِلَ بِهِ أعطى)**[٣].

٢ ـ الحميدُ:

وَقَد دَلَّ عَليهِ قَولُهُ تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، ومِن السُّنَّةِ حديثُ كَعبِ بنِ عُجرةَ في التشهُّدِ أنَّ النبي ﷺ عَلَّمَهم أن يقولوا: (اللَّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كما صَلَّيْتَ على إبراهيم وَعَلَى آلِ إبراهيم إِنَّكَ حَميدٌ مَجيدٌ...)[٤].

---

(١) صحيح مسلم: كِتَاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَاب في أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَفَضْلِ من أَحْصَاهَا ٤/ ٢٠٦٢.

(٢) ينظر: مختصر صحيح مسلم: ٤٨٨.

(٣) المستدرك: ١/ ٦٨٣.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، بَاب يزفون النسلان في المشي ٣/ ١٢٣٣.

٣ ـ الرحمنُ الرحيمُ:

وَقَد دَلَّ عَليهِما قولُهُ تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٢ ـ ٣]، وَمِن السُّنةِ أمرُ النبيِّ ﷺ كاتِبَهُ يومَ الحديبية عِندَ كِتابَةِ الصُّلحِ بَينَهُ وَبَينَ المشركينَ أن يَكتُبَ: (بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ)(١).

٤ ـ الحليمُ:

وَدَليلُهُ مِن القرآنِ قَولُهُ تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]، وَمِن السنَّةِ حديثُ ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما أنَّ رَسولَ الله ﷺ كانَ يَقُولُ عِندَ الكَربِ: (لَا إِلَهَ إلا الله الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ...)(٢).

ومن صفاتِ الله عزَّ وجلَّ:

١ ـ العُلوُّ:

وَهو صِفَةٌ ذاتيةٌ(٣) ثابتةٌ بالكتابِ والسُّنَّةِ، والأدلَّةُ عَليهِ كَثيرةٌ ظَاهرةٌ، قَالَ الله تعالى: ﴿سَبِّحِ حَدِيثُحَدِيثُحَدِيثُحَدِيثُ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] وقالَ

---

(١) المصدر نفسه: كِتَاب الشُّرُوطِ، بَاب الشُّرُوطِ في الْجِهَادِ وَالْمُصَالَحَةِ مع أَهْلِ الْحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ ٢ / ٩٧٤.

(٢) المصدر نفسه: كِتَاب الدَّعَوَاتِ، بَاب الدُّعَاءِ عِنْدَ الْكَرْبِ ٥/ ٢٣٣٦.

(٣) تنقسم صفات الله إلى قسمين: ثبوتية: وهي ما أثبتها الله لنفسه كالحياة والعلم، وسلبية: وهي التي نفاها سبحانه عن نفسه كالظلم.
وتنقسم الصفات الثبوتية إلى قسمين: ذاتية: وهي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها كالسمع والبصر، وفعلية: وهي التي تتعلق بمشيئته إذا شاء فعلها وإذا شاء تركها كالاستواء على العرش والمجيء، وربما تكون الصفة ذاتية وفعلية باعتبارين كالكلام. ينظر: لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لابن قدامة بشرح الشيخ محمد بن عثيمين ٢٥ ـ ٢٦.

تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وأما الأحاديثُ في إثباتِ عُلوِّ الله عزَّ وجلَّ أكثر من أن تُحصى، وَلَعلَّ مِن أشهرِها حَديث مُعاويةِ بن الحكم السُّلَميِّ رضي الله عنه قالَ: كَانَتْ لي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْم فإذا الذِّيبُ قد ذَهَبَ بِشَاةٍ من غَنَمِهَا وأنا رَجُلٌ من بني آدَمَ آسَفُ كما يَأْسَفُونَ لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَعَظَّمَ ذلك عَلَيَّ، قلت: يا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟ قال: **ائْتِنِي بها**، فَأَتَيْتُهُ بها فقال لها: **أَيْنَ الله**؟ قالت: في السَّمَاءِ، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول اللَّهِ قال: **(أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ)**(١).

وقد كانَ للشيخِ الألبانيِّ رحمه الله جُهودٌ كبيرةٌ في الدِّفاعِ عَن العَقيدةِ السَّلفيَّةِ في إثباتِ هذه الصِّفةِ العَظيمةِ لِرَبِّ العالمينَ، وَمِن ذلك تَحقيقُهُ لكتابِ (العلوّ) للحافِظِ الذَّهبيِّ؛ وَوَضَعَ لَهُ مُقدِّمةً في نَحوِ ثمانينَ صَفحة مَلأها الشيخُ بالدِّفاعِ عن عَقيدَةِ السَّلَفِ **وَقالَ فيها مُعرِّفاً بِكتابِ العُلوِّ للحافِظِ الذهبيِّ**:

«اعلم أيها القارئُ الكريمُ أنَّ هذا الكِتابَ قَد عَالَجَ مسألةً هي من أخطرِ المسائِلِ الاعتقاديةِ التي تَفرَّقَ المسلمونَ حَولَها مُنذُ أن وُجِدَت المعتزِلَةُ حتى يومِنا هذا ألا وهيَ مَسألةُ عُلوِّ الله عزَّ وجلَّ على خَلقِهِ، الثابتةِ بالكتابِ والسنةِ المتواترةِ، المدَعَّم بِشاهِدِ الفِطرةِ السَّليمةِ، وما كانَ لِمُسلِمٍ أن يُنكِر مِثلَها في الثُّبوتِ لولا أنَّ بعضَ الفِرَقِ المنحرِفَةِ عن السُّنَّةِ فَتَحوا على أنفُسِهم وعلى الناسِ مِن بَعدِهِم بابَ التأويلِ، فَلَقَد كَادَ الشيطانُ بِهِ لِعَدوِّهِ الإنسانِ كَيداً عَظيماً وَمَنَعَهُم بِهِ أن يَسلُكوا صِراطاً

---

(١) صحيح مسلم: كِتَاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَاب تَحْرِيمِ الْكَلَامِ في الصَّلَاةِ وَنَسْخِ ما كان من إباحة ١/ ٣٨١.

مُستقيماً، كَيفَ لا وهُم قد اتَّفقوا على أنَّ الأصلَ في الكلامِ أن يُحمَلَ على الحقيقةِ وأنَّهُ لا يَجوزُ الخُروجُ عنها إلى المجازِ إلا عِندَ تَعَذُّرِ الحقيقةِ أو لِقَرينَةٍ عَقليَّةٍ أو عُرفيَّةٍ أو لَفظيَّةٍ، كما هو مُفصَّلٌ في مَحلِّهِ، وَمَعَ ذلكَ فإنكَ تَراهُم يُخالِفونَ هذا الأصلَ الذي أصَّلُوهُ لأتفهِ الأسبابِ وأبعَدِ الأمورِ عَن مَنطِقِ الإنسانِ المؤمنِ بِكَلامِ الله وَحَدِيثِ نَبيِّهِ حَقاً»(١).

وقال رَحِمَهُ اللهُ **في موضِعٍ آخرَ**:

«الآياتُ القرآنيةُ والأحاديثُ النَّبويةُ والآثارُ السَّلفيةُ مُتَّفِقةٌ كُلُّها على أنَّ الله تعالى فَوقَ عرشِهِ بِذاتِهِ بائِناً مِن خَلقِهِ وهوَ مَعَهُم بِعِلمِهِ، وَسَترى إن شاءَ الله تعالى أن أئمةَ المذاهِبِ الـمُتَّبَعَةِ وأتباعَهَم الأوَّلينَ وَمَن سَارَ على نَهجِهِم من التَّابِعين لَهُم حتى أواخِرِ القرنِ السادِسِ من الهِجرةِ قَد اتَّفَقَت فتاواهُم وَكَلِماتُهُم على إثباتِ الفَوقيَّةِ لله تَعالى على عَرشِهِ وَخَلقِهِ وعلى كُلِّ مَكَانٍ، وأنَّ ذلكَ كَما أنَّهُ مُتَواتِرٌ عَن رَسولِ الله ﷺ فَهوَ مُجمَعٌ عَلَيهِ مِن السَّالِفينَ والأئمَّةِ الماضينَ مِن المحدِّثين والفُقهاءِ والمفسِّرينَ واللُّغويينَ وَغَيرِهِم، وَسَتَراهُم بأسمائِهِم وأقوالِهِم الثَّابتةِ عَنهُم في ذلكَ حتَّى قَاربوا في عَدَدِهِم المائتينِ وَهُم في الواقع يَبلُغُونَ المئاتِ، ولكنَّ ذلكَ ما تَيَسَّر جَمعُهُ للمؤلِّفِ رحِمه الله تعالى، فإذا وقَفَ الطَّالِبُ المُخلِصُ للحقِّ على كَلِماتِهِم تيَقَّن أنهُ يَستَحيلُ أن يكونوا قد أجمَعوا على الضَّلالِ ولَعَلِمَ أن مُخالِفهُم هو في الضَّلالِ»(٢).

ثم إنَّ الشيخَ الألبانيَّ رَحِمَهُ اللهُ ذَكَرَ الشبهاتِ التي أورَدَها الخَلَفُ على مَن أثبتَ الفوقيَّةَ لله تعالى، فَقالَ:

---

(١) مختصر العلو: ٢٢.

(٢) مختصر العلو: ٥٠ ـ ٥١.

«لَقد اشتُهر عند الخلفِ نِسبةُ كُلِّ مَن يُثبِتُ الفوقيَّةَ لله تعالى إلى أنَّهُ مُشَبِّهٌ أو مُجَسِّمٌ أو إلى أنَّه يَنسِبُ لله الجهةَ والمكانَ؛ فَهذهِ ثلاثةُ أمورٍ لا بُدَّ مِن إزالةِ الشُّبَهِ عَنها»(١).

ثُمَّ تَكَلَّم عَن هذهِ الشُّبَهِ وَرَدَّها رَدّاً نَقليّاً وَعَقليّاً، والنَّاظِرُ فيها يَرى أنَّ الشيخ رَحِمَهُ اللهُ كانَ على جانِبٍ كَبيرٍ مِن قُوَّةِ الحُجَّةِ والدَّليلِ، وَكانَت لَهُ قَدَمٌ راسِخةٌ في العِلمِ وَثَباتٌ كَبيرٌ على مَنهَجِ السَّلفِ(٢).

٢ ـ الاستواءُ:

وَهو من الصِّفاتِ الفعليةِ الثابتةِ لله عزَّ وجلَّ بالكتابِ والسُّنةِ، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وَعَن قَتادَةَ بن النُّعمانِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قالَ: سَمِعتُ رَسولَ الله ﷺ يَقولُ: (لما فَرَغَ الله من خلقِهِ استوى على عَرشِهِ)(٣).

ومعنى الاستواء في لُغَةِ العَربِ: العُلوُّ والارتفاعُ، والاستِقرارُ والصُّعودُ، واستواءُ الله تعالى على عَرشِهِ استواءٌ يَليقُ بِجَلالِهِ.

وقد أشبَعَ الشيخُ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ الكَلامَ في إثباتِ هذهِ الصِّفةِ للهِ عزَّ وجلَّ سائراً على مَذهَبِ السَّلَفِ وَرَدَّ على مَن تأوَّلَ هذِهِ الصِّفَةَ الثابِتَةَ، فَقَالَ بَعدَ أن أفاضَ في الرَّدِّ على أهلِ الأهواءِ في هذا البابِ:

«وأما المثالُ الآخرُ فَقولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وَقولُهُ

---

(١) المصدر نفسه: ٦٧.
(٢) ينظر لتفصيل المسألة: المصدر نفسه: ٦٧ ـ ٧٦.
(٣) العلو للذهبي: ٦٣، وقال: رواته ثقات.

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢]، فقد تأوَّل الخَلفُ الاستواءَ المذكورَ في هاتينِ الآيتينِ وَنَحوِهما بالاستيلاءِ وَشَاعَ عِندَهُم في تَبريرِ ذلكَ إيرادُهُم قَولَ الشاعِرِ:

قَد استوى بِشرٌ على العراقِ ... بِغَيرِ سيفٍ وَدَمٍ مِهراقِ

متجاهلينَ اتِّفاقَ كَلِماتِ أئمةِ التَّفسيرِ والحديثِ واللُّغَةِ على إبطالِهِ وعلى أن المُرادَ بالاستواءِ على العَرشِ إنما هو الاستِعلاءُ والارتفاعُ عَلَيهِ كما سَتَرى أقوالَهُم مَرويَّةً في الكِتابِ عَنهُم بالأسانيدِ الثَّابتَةِ قَرناً بَعدَ قَرنٍ وَفيهم مَن نَقلَ اتِّفاقَ العلماءِ عليهِ، مثلَ الإمامِ إسحاق بن راهويه (الترجمة ٦٧) والحافظ ابنِ عبدِ البرِّ (الترجمة ١٥١) وَكَفى بِهما حُجَّةً في هذا البابِ.

وَمَع ذلكَ فإنَّنا لا نَزالُ نَرى عُلماءَ الخَلَفِ ـ إلا قليلاً مِنهُم ـ سائرينَ في مُخالفَتِهم للسَّلفِ في تَفسيرِهم لآيةِ الاستواءِ وَغَيرِها مِن آياتِ الصِّفاتِ وأحادِيثِها.

وَقَد يَتَساءلُ بَعضُ القُرَّاءِ عَن سَبَبِ ذلكَ فأقولُ: لَيسَ هو إلا إعراضُهُم عن اتِّباعِ السَّلفِ، ثم فَهمُهُم ـ خطأ ـ الاستعلاءَ المذكورَ في الآياتِ الكريمةِ أنَّه الاستِعلاءُ اللائِقُ بالمخلوقِ، ولَمَّا كانَ هذا مُنافياً للتَّنزيهِ الواجبِ لله اتِّفاقاً فَرُّوا مِن هذا الفَهمِ إلى تأويلِهم السَّابقِ ظَنّاً مِنهُم أنَّهم بِذلكَ نَجَوا مِن القَولِ على الله تعالى بما لا يَليقُ بِهِ سُبحانَه.

وَلَقَد كانَ مِن كِبارِ هؤلاءِ العُلماءِ القائلينَ بالتأويلِ المذكورِ بُرهَةً مِن الزَّمنِ جَماعَةٌ مِن أهلِ العلمِ، مِنهُم الإمامُ أبو الحسن الأشعريُّ كما سيأتي بَيانهُ في تَرجمتِهِ من الكتاب (١٢٠)، وَمِنهُم العلامةُ الجَليلُ أبو مُحمَّد الجوينيُّ الشافعيُّ والد إمامِ الحرمَينِ المتوفى سنة (٤٣٨) ثُمَّ هَداهُ

الله تعالى إلى اتِّباعِ السَّلفِ في فَهمِ الاستواءِ وسائرِ الصِّفاتِ، ثُمَّ ألَّفَ في ذلك رِسالةً نافِعَةً قَدَّمَها نَصيحَةً لإخوانِهِ في الله كما صَرَّحَ بذلكَ في مُقدِّمَتِها، وَقَد وَصَفَ فيها وَصفاً دَقيقاً تَحَيُّرَهُ وَتَرَدُّدَهُ في مَرحَلةٍ من مَراحِلِ حياتِهِ العِلميَّةِ بين اتِّباعِ السلفِ وبين اتِّباعِ عُلماءِ الكلامِ في عَصرِهِ الذين يؤولون الاستواءَ بالاستيلاءِ»[١].

ثم إنَّ الشَّيخَ الألبانيَّ رحمه الله ساقَ كَلامَ الجوينيِّ بِتَمامِهِ في هذهِ المسألَةِ وهوَ ذِكرُ بَعضِ الآياتِ في الاستواءِ والفَوقيَّةِ والأحاديثِ في ذلكَ، ثُمَّ بَيانِ السَّببِ الذي حَمَلَ عُلماءَ الكلامِ في عَصرِهِ على تأويلِ الاستواءِ بالاستيلاءِ، وَبَيانِ غَلَطِهم في ذلكَ، **ثم قالَ الشيخُ الألبانيُّ بعدَ ذلكَ**:

«قُلتُ: لَقَد وَضَحَ مِن كلامِ الإمامِ الجوينيِّ رحِمهُ الله تعالى السبَبَ الذي حَمَلَ الخَلفَ ـ إلا من شاءَ الله ـ على مُخالَفَةِ السَّلفِ في تَفسيرِ آيةِ (الاستواءِ) وهو أنَّهم فَهِموا منهُ ـ خطأً كما قُلنا ـ استواءً لا يَليقُ إلا بالمخلوقِ وهذا تَشبيهٌ، فنَفَوهُ بتأويلهم إيَّاهُ بالاستيلاءِ، وَمِن الغَريبِ حَقّاً أنَّ الذي فرُّوا منهُ بالتأويلِ قَد وَقَعوا بِهِ فيما هوَ أَشَرُّ منه بكثيرٍ وَيُمكِنُ حَصرُ ذلكَ بالأمورِ الآتيةِ:

الأول: التَّعطيلُ وهو إنكارُ صِفَةِ عُلوِّ الله على خَلقِهِ عُلوّاً حقيقيّاً يَليقُ بِهِ تعالى، وَهو بَيِّنٌ في كَلامِ الإمامِ الجوينيِّ.

الثاني: نِسبَةُ الشريكِ لله في خَلقِهِ يُضادهُ في أمرِهِ، فإنَّ الاستيلاءَ لُغةً لا يَكُونُ إلا بَعدَ المغالَبَةِ كما سَتَراهُ في تَرجمةِ الإمامِ اللُّغويِّ ابن الأعرابيِّ فَقد جَاءَ فيها:

---

(١) مختصر العلو: ٢٥ ـ ٢٦.

أنَّ رَجُلاً قَال أمامَهُ مُفسِّراً الاستواءَ مَعناهُ: استولى؛ فَقَالَ لَهُم الإمامُ: اسكت؛ العربُ لا تَقولُ للرَّجُلِ: (استولى على الشيءِ حتَّى يَكونَ لَهُ فيهِ مُضادٌّ، فأَيُّهما غَلَبَ قيلَ: استولى، والله تعالى لا مُضادَّ لَهُ)، وَسَنَدُهُ عَنهُ صَحيحٌ كما بيَّنتُهُ هناك في التَّعليقِ (٢١٠)، واحتَجَّ بِهِ العلامَةُ نَفطَوَيه النَّحويّ في (الردِّ على الجهميَّةِ) كما سَتَراهُ في تَرجمتِهِ.

فَنسأَلُ المتأوِّلَةَ: مَن هُوَ المضادُّ لله تعالى حتى تَمكَّنَ الله تعالى من التَّغَلُّبِ عليهِ والاستيلاءِ على مُلكِهِ عَنهُ؟ وهذا إلزامٌ لا مَخلَصَ لهم مِنهُ إلا بِرفضِهِم لتأويلِهِم وَرجوعِهِم إلى تَفسيرِ السَّلفِ، ولما تَنبَّهِ لهذا بَعضُ مُتكلِّميهِم جاءَ بباقِعةٍ أخرى وذلكَ أنهُ تأوَّلَ (الاستيلاءَ) الذي هوَ عِندَهُم المرادُ من (الاستواءِ) بأنَّهُ استيلاءٌ مُجَرَّدٌ عن مَعنى المُغالَبةِ.

قلتُ: وهذا مَعَ كَونِهِ مُخالِفاً لُغةً كما سبَقَ عن ابن الأعرابيِّ فإنَّ أحسنَ ما يُمكِنُ أن يُقالَ فيهِ: إنَّهُ تأويلٌ للتأويلِ، وَلَيتَ شِعري ما الذي دَخلَ بِهم إلى هذه المآزِقِ، أليسَ كانَ الأولى بِهِم أن يَقولوا: استعلى استعلاءً مُجرَّداً عن المشابَهةِ، هذا لَو كانَ الاستعلاءُ لُغةً يَستَلزِمُ المشابَهَةَ فَكَيف وهي غَيرُ لازِمَةٍ، لأنَّ الاستواءَ في القرآنِ فَضلاً عن اللُّغةِ قَد جاءَ مَنسوباً إلى الله تعالى كما في آياتِ الاستواءِ على العَرشِ، وَقَد مَضَى بَعضُها، كما جَاءَ مَنسوباً إلى غَيرِهِ سُبحانهُ، كما قال في سَفينَةِ نُوحٍ: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤]، وفي النَّباتِ: ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٩] فاستواءُ السفينةِ غيرُ استواءِ النباتِ، وكذلكَ استواءُ الإنسانِ على ظَهرِ الدَّابةِ، واستواءُ الطَّيرِ على رأسِ الإنسانِ، واستواؤهُ على السَّطحِ، فَكُلُّ هذا استواءٌ، ولكن استواءُ كُلِّ شيءٍ بِحَسَبِهِ، تَشتَرِكُ في اللَّفظِ وَتَختَلِفُ في الحقيقةِ،

فاستواءُ الله تعالى هو استواءٌ واستعلاءٌ يَليقُ بِهِ تعالى لَيسَ كَمِثلِهِ شيءٌ.

وأما الاستيلاءُ فَلم يأتِ إطلاقُهُ على الله تعالى مُطلَقاً إلا على ألسِنَةِ المتكلِّمينَ، فتأمَّل ما صَنَعَ الكلامُ بأهلِهِ: لَقَد زَيَّنَ لَهُم أن يَصِفوا الله بشيءٍ هو مِن طَبيعَةِ المخلوقِ واختِصاصِهِ، وَلَم يَرضَوا أن يَصِفوهُ بالاستعلاءِ الذي لا يُماثِلُهُ شيءٌ وَقَد قَالَ بِهِ السَّلفُ، فَلا عَجَبَ بَعدَ ذلكَ أن اجتمعوا على ذَمِّ الكلامِ وأهلِهِ»[1].

ثمَّ قالَ الشيخُ الألبانيُّ بعدَ ذلكَ:

«وَبَعدُ فإنَّ ضرَرَ التأويلِ على أهلِهِ وَحَملِهِ إياهُم على الانحِرافِ عن الشَّرعِ مما لا حُدُودَ لَهُ في نَظَري، فَلَولاهُ لَم يَكُن للقائلينَ بوحدَةِ الوجودِ اليومَ وُجودٌ، ولا لإخوانِهِم القَرامِطَةِ الباطنيَّةِ مِن قَبلُ الذينَ أنكَروا الشَّريعَةَ وَكُلَّ ما فيها مِن حَقائِقَ كالجنةِ والنارِ والصلاةِ والزكاةِ والصيامِ والحجِّ وَيَتأوَّلونَها بتآويلَ مَعروفَة... وَنَحوهم طائفةُ القاديانيَّة اليوم الذينَ أنكروا بِطَريقِ التأويلِ كَثيراً مِن الحقائِقِ الشرعيَّةِ المُجمَعِ عَليها بَينَ الأمَّةِ كَقولِهِم بِبَقاءِ النبوَّةِ بَعدَ النبيِّ ﷺ مُتأسِّينَ في ذلكَ بِنَبيِّهِم ميرزا غُلام أحمد وَمِن قَبلِهِ ابنِ عَربي في (الفتوحاتِ المكيَّةِ) وتأوَّلوا قَولَهُ تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] بأنَّ المعنى زينَةَ النبيينَ، وليس آخرُهم، وَقولُهُ ﷺ: (لا نبيَّ بعدي)[2] بِقولِهِم: أي مَعي، وأنكروا وُجُودَ الجنِّ مع تَردُّدِ ذِكرِهِم في القرآنِ الكريمِ فَضلاً عَن السُّنةِ وَتَنوُّعِ صِفاتِهِم

(١) مختصر العلو: ٣٠ ـ ٣١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، بَاب ما ذُكِرَ عن بَنِي إِسْرَائِيلَ ٣/ ١٢٧٢.

فِيهِما، وَزَعَموا أنَّهُم طائِفَةٌ من البَشَرِ، على غيرِ ذلكَ مِن ضَلالاتِهِم، وَكُلُّها مِن بَرَكاتِ التأويلِ الذي أخَذَ بِهِ الخلفُ في آيةِ الاستواءِ وَغيرِها مِن آياتِ الصِّفاتِ»[١].

٣ ـ الكلامُ:

وَهوَ صِفَةٌ ذاتيَّةٌ باعتبارِ النَّوعِ، وَصِفَةٌ فِعليَّةٌ باعتبارِ أفرادِ الكلامِ، فَهوَ سبحانهُ يتكلَّمُ متى شاءَ وكيفَ شاءَ بكلامٍ مسموعٍ[٢]، وَقد دَلَّ على هذهِ الصِّفةِ الأدلةُ من الكِتابِ والسُّنةِ، فَمِن الكِتابِ قولُهُ تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] وقولُه سُبحانه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ومن السُّنةِ حَديثُ جابرِ بن عبدِ الله ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: (**يُحْشَرُ الناس يَوم الْقِيَامَةِ أو قال الْعِبَادُ عُرَاةً غُرْلاً بُهْماً**، قال: قُلْنَا: وما بُهْماً؟ قال: **ليس مَعَهُمْ شيءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ من بَعُدَ كما يَسمَعُه من قَرُبَ أنا الْمَلِكُ أنا الدَّيَّانُ**)[٣]، وَكذلك حديثُ أبي هريرةَ ﷺ قَالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: (**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى فقال لَهُ مُوسَى: أنت آدَمُ الذي أَخْرَجَتْكَ خَطِيئَتُكَ مِن الْجَنَّةِ، فقال له آدَمُ: أنت مُوسَى الذي اصْطَفَاكَ الله بِرِسَالاتِهِ وَبِكَلامِهِ**...)[٤].

قال الشيخُ الألبانيُّ ﷺ مُثبِتاً هذهِ الصِّفةَ وَرَادّاً على الـمُخالِفينَ للسَّلفِ في إثباتِها:

«إنَّ مِن أكبَرِ الفِتنِ التي أصابت بَعضَ الفِرقِ الإسلاميةِ بِسَبَبِ عِلمِ

---

(١) المصدر نفسه: ٣٢.

(٢) ينظر لزيادة التفصيل: لمعة الاعتقاد بشرح العثيمين ٧٠ ـ ٧٦.

(٣) مسند الإمام أحمد: حديث عبد اللّهِ بن أُنَيسٍ ﷺ ٣/ ٤٥٩.

(٤) صحيح البخاري: كتاب القدر، بَاب تَحَاجَّ آدَمُ وَمُوسَى عِنْدَ اللّهِ ٦/ ٢٤٣٩.

الكلامِ أنَّهُ انحرَفَ بِهِم عن الإيمانِ بأن القرآنَ الكريمَ هُوَ كَلامُ رَبِّ العالمينَ حَقيقَةً لا مَجازاً، أما المعتزلةُ الذينَ يَقولونَ بأنَّهُ مَخلوقٌ فأمْرُهُم في ذلكَ واضِحٌ مَفضُوحٌ، لكنَّ هناكَ طائفةً تَنتَمي إلى السُّنةِ وَتَرُدُّ على المعتزِلَةِ هذا القَولَ وَغيرَهُ مما انحرَفَ فيهِ عن الإسلامِ ألا وهم الأشاعِرةُ والماتُريدِيَّةُ فإنَّهم في الحَقيقَةِ مُوافِقونَ للمعتزِلَةِ في قَولِهِم بِخَلقِ القرآنِ وأنَّهُ لَيسَ مِن قَولِ رَبِّ العالمينَ، إلا أنَّهم لا يُفصِحون بذلكَ وَيَتَستَّرونَ وَراءَ تَفسيرِهِم للكلامِ الإلهيِّ بأنَّهُ نَفسيٌّ قَديمٌ غَير مَسموعٍ مِن أحدٍ من الملائكةِ والمرسلينَ وأنَّهُ تَعالى لا يَتَكلَّمُ إذا شاءَ وأنَّهُ مُتكَلِّمٌ مُنذُ الأزَلِ»[1].

٤ ـ الصوتُ:

وَهو صِفَةٌ ثابِتَةٌ لله عزَّ وجلَّ، وَمِن الأدلةِ على إثباتِهِ قَولُهُ ﷺ: (يقولُ الله عزَّ وجلَّ يوم الْقِيَامَةِ: يا آدَمُ. فيقول: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ. **فَيُنَادَى بِصَوْتٍ**: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخرِجَ من ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إلى النَّارِ. قال: يا رَبِّ وما بَعْثُ النَّارِ؟ قال: من كلِّ أَلْفٍ أُرَاهُ قال: تسعمائة وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا وَيَشِيبُ الْوَلِيدُ...)[2].

فَقَد أورَدَ الشَّيخُ الألبانيُّ رحمه الله هذا الحَديثَ في السلسِلةِ الصحيحةِ وَعَنوَنَ لَهُ: «الصوتُ الإلهيُّ والإيمانُ بِهِ»[3]، ثمَّ استشهدَ لَهُ بِحَديثٍ آخرَ وَردَّ على البيهقيِّ قَولَهُ أنَّ لَفظَ الصَّوتِ لَم يَثبُت في حَديثٍ صَحيحٍ عن

(١) العقيدة الطحاوية شرح وتعليق الألباني ٥٧.
(٢) صحيح البخاري: كتاب التفسير، بَاب وَتَرَى الناس سُكَارَى ٤/ ١٧٦٧.
(٣) السلسلة الصحيحة: ٧/ ٧٥٦.

النبيِّ ﷺ، وتأويلُهُ لهذا الحديثِ بأنَّ الصَّوتَ راجِعٌ إلى مَلَكٍ أو غَيرِهِ، **ثُم قالَ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ بعدَ ذلكَ:**

«قلتُ: وهذا باطِلٌ مخالِفٌ لِنُصوصٍ كَثيرةٍ، وَحَسبُكَ مِنها قولُ الله تبارَكَ وتعالى في مُكالمتِهِ لموسى ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: ١٣]. . . بل الإيمانُ، كما نؤمِنُ بسائِرِ صفاتِهِ، مَعَ تَفويضِ حَقائِقِها إلى المتَّصِفِ بِها سُبحانَهُ وتعالى كَما قَالَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]»(١).

٥ ـ المجيءُ:

وَهُو صِفَةٌ فِعليَّةٌ ثابِتَةٌ لله عزَّ وَجلَّ، وأنَّهُ يَجيءُ للفَصلِ بَين عِبادِهِ يَومَ القيامةِ، ومِن الأدلَّةِ عَليهِ قَولُهُ تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وقولُهُ ﷺ: **(حَتى إذا لم يَبْقَ إلا مَن كان يَعْبُدُ اللَّهَ من بَرٍّ أو فَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ. . .)**(٢).

وقد أثبتَ الشيخُ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ هذه الصِّفةَ لله عزَّ وجلَّ، فقالَ بَعدَ أن رَدَّ حديثاً مَوضوعاً؛ وهو ما يُروى عن النبي ﷺ أنَّه قالَ: (لا تَتفكَّروا في الله، فإنهُ لا مِثلَ لَهُ، ولا شَبيهَ ولا نَظيرَ، ولا تَضرِبوا لله الأمثالَ، ولا تَصِفوهُ بالزوالِ، فإنَّه بِكُلِّ مكانٍ)، قالَ بعد أن بيَّنَ أنَّ هذا الحديث حديثٌ مَوضوعٌ:

«وأما سائِرُ الحديثِ، وَبِخاصَّةِ الجملةَ الأخيرةَ منهُ فإنَّها باطِلةٌ، وهي مِن وَضعِ الجهميَّةِ والمعطِّلةِ لِصِفاتِ الله عزَّ وجلَّ، الذين يتأوَّلونَها

---

(١) المصدر نفسه: ٧/ ٧٥٧ ـ ٧٥٨.

(٢) صحيح البخاري: كتاب التفسير، بَاب (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) يَعْنِي زِنَةَ ذَرَّةٍ ٤/ ١٦٧١.

غَيرَ تأويلِها المعروفِ عِندَ السَّلفِ، وَيعبِّرون عَن المجيءِ المصرَّحِ بِهِ في القرآنِ والنُّزولِ المتواتِرِ عن النبيِّ ﷺ بالزَّوالِ. . .ثُمَّ يَقولونَ: هذا مِن صِفاتِ المخلوقاتِ؛ فَلا يَجوزُ وَصفُ الله بذلكَ، والحقيقةُ أنَّ المجيءَ والنُّزولَ لا يَجوزُ تأويلُهُ بما ذَكروا، وَهو صِفَةٌ لله؛ وَصَفَ بِها نَفسَهُ، نَصِفُهُ بِها دُونَ تَشبيهٍ ولا تَعطيلٍ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فَهم وَقَعوا حينَ عَبَّروا بما تَقَدَّمَ في التشبيهِ، فَفرُّوا مِنهُ إلى التَّعطيلِ»(١).

٦ ـ الضحكُ والعجبُ:

وَهو صِفةٌ فعليةٌ ثابتةٌ لله عزَّ وجلَّ، ومن الأدلةِ عَليهِ حديثُ أبي هريرةَ رضي الله عنه: (أَنَّ رَجُلاً أتى النبي ﷺ فَبعَثَ إلى نِسَائِهِ، فَقُلْنَ: ما مَعنَا إلا الْمَاءُ. فقال رسول اللَّهِ ﷺ: **مَن يَضُمُّ أو يُضِيفُ هذا**؟ فَقال رَجُلٌ من الأَنْصَارِ: أنا. فَانْطَلَقَ بِهِ إلى امْرَأَتِهِ، فقال: أَكْرِمِي ضَيْفَ رسول اللَّهِ ﷺ. فقالت: ما عِنْدَنَا إلا قُوتُ صِبْيَانِي! فقال هَيِّئِي طَعَامَكِ وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إذا أَرَادُوا عَشَاءً. فَهَيَّأَتْ طَعامَهَا وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَها وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلانِ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فلما أَصْبَحَ غَدَا إلى رسول اللَّهِ ﷺ، فقال **ضَحِكَ الله اللَّيْلَةَ أو عَجِبَ من فَعَالِكُمَا**. فَأَنْزَلَ الله ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩])(٢).

قالَ الشَّيخُ الألبانيُّ رحمه الله عقِبَ إيرادِ الحديثِ:

---

(١) السلسلة الضعيفة: ١٣/ ٧٣٤ ـ ٧٣٥.

(٢) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، بَاب قَوْلِ اللَّهِ (وَيُؤْثِرُونَ على أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كان بِهِمْ خَصَاصَةٌ) ٣/ ١٣٨٢.

«تنبيهٌ هامٌّ: ذكَرَ البيهقيُّ في (الأسماءِ) قُبيلَ هذا الحديثِ وبُعيدَهُ عن الخطَّابيِّ أنَّهُ قالَ: «قالَ البخاريُّ: معنى الضَّحك: الرحمة» ! فأقولُ: في هذا العزوِ للبخاريِّ نَظَرٌ؛ لأنَّهُ مُعلَّقٌ مُنقطِعٌ، لَم يَذكُرِ الخطابيُّ ولا البيهقيُّ مُستَنَدَهُ في ذلكَ، ولأنَّ أعلَمَ النَّاسِ بالبخاريِّ ـ ألا وهو الحافِظُ العسقلانيُّ ـ لَم يَقِف عَلَيهِ فَقَد قَالَ عَقِبهُ:

«قُلتُ: ولم أَرَ ذلكَ في النُّسخِ التي وَقَعت لنا من البُخاريِّ»[1]، وإنَّ مما يؤكِّدُ عَدَمَ ثُبوتِ ذلك عن البخاريِّ: أننا نَعلَمُ يَقيناً أنَّه مِن كِبارِ أئمةِ الحديثِ، وأن هؤلاءِ مُجمِعونَ على اتِّباعِ السلفِ في الإيمانِ بِحَقائِقِ الصِّفاتِ الإلهيةِ اللائقةِ بِهِ تباركَ وتعالى: إثباتٌ بلا تَمثيلٍ، وتَنزيهٌ بِلا تَعطيلٍ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

واعلم أنَّ الشكَّ المذكورَ في الحديثِ ـ بين الضَّحِكِ والعجبِ ـ لا يضرُّ في ثُبوتِهِما، لأنَّ كلّاً مِنهُما جاءَ في أحاديثَ كثيرةٍ في سياقاتٍ مُتعدِّدَةٍ في كُتُبِ السنةِ، وبخاصةٍ منها كتب التوحيدِ والعقيدةِ»[2].

ثم إنَّ الشيخَ الألبانيَّ أوردَ في صحيحتِهِ حديثَ أبي رُزَينٍ رضي الله عنه عنِ النبيِّ ﷺ أنهُ قالَ: (**ضَحِكَ ربُّنا عزَّ وجلَّ مِن قُنوطِ عِبادِهِ وقُربِ غِيَرِهِ**، فقالَ أبو رُزين: أوَيضحَكُ الربُّ عزَّ وجلَّ؟ قالَ: **نَعَم**، فقالَ: لَن نَعدِمَ خَيراً مِن رَبٍّ يَضحَكُ)[3]، وقد ذكَرَ الشيخُ الألبانيُّ أنَّ ابنَ حِبان لم يُخَرِّج هذا الحديثَ عن أبي رُزين فقالَ:

---

(١) ينظر: فتح الباري ٨/ ٦٣٢.

(٢) السلسلة الصحيحة: ٧/ ٨٠٧ ـ ٨٠٨. وينظر: المصدر نفسه: ٦/ ٧٣٨.ومختصر صحيح البخاري اختصار الألباني: ٣/ ١٩٨.

(٣) مسند الطيالسي: ١٤٧.

«وهو عَجيبٌ مِنهُ خَالَفَ فيهِ الجماعَةَ مع أنَّهُ على شَرطِهِ، وأخشى ما أخشاهُ أن يكونَ الصَّارِفُ لَهُ عَنهُ هوَ أنَّهُ صريحٌ في إثباتِ صفَةِ الضَّحِكِ لله تعالى بحيث لا يُمكِنُ تأويلُهُ كما فَعَلَ بِحديثِ: (ضحِكَ الله من رجُلينِ قَتَلَ أحدهما صاحِبهُ وكلاهُما في الجنةِ) فَقَد تأوَّلهُ تأويلاً متكلَّفا قبيحاً، خَالَفَ فيهِ طريقَةَ السلفِ في الإثباتِ مع التنزيهِ»[١].

٧ ـ الدنوُّ والقُربُ:

الدُّنوُّ والقُربُ من الصفاتِ الفِعليةِ لله عز وجل، ومن الأدلةِ على إثباتِ هذهِ الصِّفةِ قولُهُ ﷺ: (ما مِن يَوْمٍ أَكْثَرَ من أَنْ يُعْتِقَ الله فيه عَبْدًا من النَّارِ من يَوْمِ عَرَفَةَ **وَإِنَّهُ لَيَدْنُو** ثُمَّ يُبَاهِي بِهِم الْمَلَائِكَةَ فيقول ما أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟)[٢].

قال الشيخُ الألبانيُّ معلِّقاً على الحديثِ:

«. . . ما عَليهِ السلفُ أنَّ الدنوَّ صِفَةٌ حَقيقيةٌ لله تعالى كالنزولِ، فَهو يَنزِلُ كَما يَشاءُ، وَيَدنو مِن خَلقِهِ كَما يَشاءُ، لا يُشبِهُ نزولُهُ وَدُنوُّهُ نُزولَ المخلوقاتِ وَدُنوَّهُم»[٣].

وَمِن الأدلةِ كَذلكَ قولُهُ ﷺ:

(يَقولُ الله تَعالَى أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وأنا معه إذا ذَكَرَنِي فَإِنْ

(١) صحيح مسلم: كتاب الحج، بَاب في فَضْلِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَيَوْمِ عَرَفَةَ ٢/ ٩٨٢.

(٢) السلسلة الصحيحة: ٦/ ٧٣٢ ـ ٧٣٣.

(٣) صحيح الترغيب والترهيب للألباني ٢/ ٣٤. وينظر: المصدر نفسه ٣/ ٢٢٢، ومختصر صحيح مسلم اختصار الألباني ١٧٢.

ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي في ملأ ذَكَرْتُهُ في ملأ خَيْرٍ منهم وَإِنْ تَقَرَّبَ إلي شبراً تَقَرَّبْتُ إليه ذِرَاعًا وَإِنْ تقرَّبَ إلي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إليه بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً)[١].

قال الشيخُ الألبانيُّ معلِّقاً على الحديثِ:

«اشتَهَرَ عِندَ المتأخِّرينَ من عُلماءِ الكلامِ ـ خِلافاً للسلفِ ـ تأويلُ هذهِ الصفاتِ المذكورةِ في الحَديثِ؛ مِن (النَّفسِ) و(التَّقرُّبِ) و. . . وما ذلكَ إلا لِضيقِ عَطَنِهِم وَكَثرةِ تأثُّرِهِم بِشُبُهاتِ المعتزِلةِ وأمثالِهِم من أهلِ الأهواءِ والبِدعِ، فَلا يَكادُ أحدُهُم يَطرُقُ سمعهُ هذهِ الصفات إلا كانَ السابِقَ إلى قُلُوبِهِم أنَّها كصِفاتِ المخلوقاتِ، فَيقَعونَ في التَّشبيهِ، ثُمَّ يَفرُّونَ مِنهُ إلى التأويلِ ابتغاءَ التنزيهِ بِزَعمِهِم، ولو أنَّهُم تَلَقَّوها حِينَ سَماعِها مُستَحضِرينَ قَولَهُ تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، لَما رَكنوا إلى التأويلِ، ولآمنوا بِحقائِقِها على ما يَليقُ بِهِ تعالى، شأنُهُم في ذلكَ شأنُهُم في إيمانِهِم بِصِفَتي السمعِ والبصرِ وَغَيرِهِما من صِفاتِهِ عزَّ وجلَّ، مَعَ تَنزيهِهِ عَن مُشابَهَتِهِ للحوادِثِ، لَو فَعلوا ذلكَ هُنا لاستَراحوا وأراحوا، وَلَنَجَوا مِن تَناقُضِهِم في إيمانِهِم بِرَبِّهِم وَصِفاتِهِ، فاللَّهمَّ هُداكَ»[٢].

٨ ـ النزولُ:

وَهو صِفَةٌ فعليةٌ ثابتةٌ لله عزَّ وجلَّ، ومن الأدلَّةِ عليهِ قولُهُ ﷺ:

---

(١) صحيح البخاري: كتاب التوحيد، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (وَيُحَذِّرُكُمْ الله نَفْسَهُ)... ٦/ ٢٦٩٤.

(٢) صحيح الترغيب الترهيب: ٢/ ٢٠٢.

(يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حين يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يقول من يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ له من يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ من يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ له)(١).

وقد أطالَ الشيخُ الألبانيُّ رحمه الله الكلامَ على إثباتِ هذهِ الصِّفةِ لله على الوَجهِ اللائِقِ بِهِ سبحانَهُ في كَثيرٍ مِن كُتُبِهِ وَمؤلَّفاتِهِ، وَرَدَّ على مَن تأوَّلَ هذهِ الصِّفةَ وَجانَبَ طريقَ السَّلفِ في إثباتِها وَتَفويضِ كَيفيَّتِها إلى اللهِ تعالى، **فَقَالَ**:

«ثُمَّ اعلم أنَّ نُزولَ الرَّبِّ سُبحانَهُ وتعالى إلى السماءِ الدنيا كُلَّ لَيلةٍ هو صِفَةٌ مِن صِفاتِ أفعالِهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ كاستوائِهِ على عَرشِهِ وَمَجيئِهِ يَوم القيامةِ، الثابِتَينِ في نُصوصِ القرآنِ الكريمِ، يَجِبُ الإيمانُ والإذعانُ لَهُ على ما يَليقُ بِذاتِهِ تعالى دونَ تَعطيلٍ أو تَشبيهٍ؛ إذ الصِّفَةُ يُقالُ فيها ما يُقالُ في ذاتِهِ تعالى؛ فكما أنَّنا نؤمِنُ بِذاتِهِ دونَ أن نُكيِّفَها، فَكَذلكَ نؤمِنُ بِصِفاتِهِ كُلِّها - وَمِنها النزولُ وَغيرُه - دونَ أن نُكيِّفَها، فَمَن نَفى نُزولَهُ تَعالى حَقيقةً على ما يَليقُ بِهِ بِطَريقِ التأويلِ؛ لَزِمَهُ أن يَنفيَ وُجودَ ذاتِ الله تعالى بِنَفسِ الطَّريقِ، وإلا؛ فَهوَ متناقِضٌ... وإذا عَرَفتَ هذا؛ فَعَلَيكَ بِطَريقَةِ السَّلفِ فإنَّها أعلمُ وأحكمُ وأسلمُ، وَدَعْ طَريقةَ التأويلِ التي عليها الخلفُ الذينَ زَعَموا: «إنَّ طريقةَ السَّلفِ أسلمُ، وطريقةُ الخلَفِ أعلَمُ وأحكَمُ»! فإنَّهُ باطِلٌ مِن القَولِ، وَفيهِ ما لا يَخفَى مِن نِسبَةِ الجهلِ إلى السَّلفِ، والعِلمِ إلى الخَلَفِ!! وسبحانَ الله كَيفَ يَصدُرُ مِثلُ هذا القولِ

(١) صحيح البخاري: كتاب الكسوف، بَاب الدُّعَاءِ والصلاة من آخِرِ اللَّيْلِ... ١/ ٣٨٤.

مِمَّن يؤمِنُ بِفَضائِلِ السَّلفِ التي لا تَخفى عَلى أحدٍ»[١].

وَقَد رَدَّ الشَّيخُ الألبانيُّ على بَعضِ أهلِ البِدعِ افتراءَهم على شيخِ الإسلامِ ابنِ تيمية أنَّهُ شَبَّهَ نزولَ الله بِنُزولِ المخلوقِ فقالَ:

«وإن افتراءهُم على شَيخِ الإسلامِ ابن تيميَّة أنَّه قَالَ بَعدَ أن روى قَولَهُ ﷺ: (يَنزِلُ الله إلى السَّماءِ الدُّنيا. . .): كَنُزولي هذا، مَعروفٌ، وَقَد بَيَّن بُطلانَ هذهِ الفِريةِ شيخي في الإجازةِ الشيخُ راغبُ الطبَّاخ في بَعضِ أعدادِ مَجلَّةِ الـمجمع العِلميِّ بِدِمَشق، ثُمَّ صديقُنا العلامَةُ الأستاذُ الشيخ مُحمَّد بهجة البَيطار في كِتابِهِ (ترجمة شيخِ الإسلامِ ابن تيميَّة»)[٢].

هَل يَخلو العَرشُ عِند النزولِ الإلٰهيِّ، والى متى يَستَمرُّ النُّزولُ؟

قالَ الشيخُ الألبانيُّ رحمه الله:

«فائِدةٌ: في قولِ إسحاقَ رحمهُ الله تعالى: «يَقدِرُ أن يَنزِلَ مِن غيرِ أن يَخلوَ مِنهُ العرشُ»[٣] إشارةٌ مِنهُ إلى تَحقيقِ أنَّ نُزولَهُ تعالى لَيسَ كَنُزولِ المخلوقِ، وانَّهُ يَنزِلُ إلى السماءِ الدنيا دونَ أن يخلوَ منهُ العرشُ وَيَصيرُ العَرشُ فَوقَهُ، وهذا مُستَحيلٌ بالنسبةِ لِنزولِ المخلوقِ الذي يَستَلزِمُ تَفريغَ مَكانٍ وَشُغل آخر، وهذا الذي أشارَ إليهِ إسحاقُ هو المأثورُ عَن سَلفِ الأمةِ وأئِمَّتِها؛ أنَّه تعالى لا يَزالُ فَوقَ العرشِ، وَلا يَخلو مِنهُ العَرشُ، مَعَ

---

(١) السلسلة الضعيفة ٨/ ٣٦٢ ـ ٣٦٤. وينظر: صحيح الترغيب والترهيب ١/ ١١٥، والسلسلة الضعيفة ٨/ ٥٥، ٦٥و ١٣/ ٧٣٥، ٧٤٤، ومختصر صحيح البخاري ١/ ٣٣٩، ووجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة للألباني ٤٥.

(٢) مختصر العلو ٧٢.

(٣) ينظر نقول إسحاق: المصدر نفسه ١٩٢.

دُنوِّهِ وَنُزولِهِ إلى السَّماءِ»(١).

وأما وَقتُ انقضاءِ النزولِ الإلٰهيِّ هو إلى طُلُوعِ الفَجرِ وهذا الذي اختارَهُ ورجَّحهُ الشيخُ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ(٢).

٩ ـ الساقُ:

وَهو مِن الصِّفاتِ الثابتةِ لله بالكِتابِ والسُّنةِ، فَمِن الكِتابِ قَولُه تَعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]، وَمِن السُّنةِ قَولُهُ ﷺ: **(يَكْشِفُ رَبُّنَا عن سَاقِهِ فَيَسْجُدُ له كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ ويبقى كُلُّ من كان يَسْجُدُ في الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا)**(٣).

قال الشيخُ الألبانيُّ معلِّقاً على هذا الحديثِ:

«لا يَلزَمُ مِن إثباتِ ما أثبَتَهُ الله لِنَفسِهِ مِن الصِّفاتِ شيءٌ مِن التَّشبيهِ أصلاً، كما لا يَلزمُ من إثباتِ ذاتِهِ تعالى التَّشبيهَ، فكما أنَّ ذاتَهُ تعالى لا تُشبِهُ الذَّواتِ، وهي حقٌّ ثابِتٌ، فَكذلكَ صفاتُهُ تعالى لا تُشبِهُ الصِّفاتِ وهي أيضاً حَقائِقُ ثابتَةٌ تَتَناسَبُ مع جَلالِ الله وَعَظَمَتِهِ وَتَنزيهِهِ، فَلا مَحذُورَ مِن نِسبةِ السَّاقِ إلى الله تعالى إذا ثَبَتَ ذَلكَ في الشَّرعِ، وأنا وإن كُنتُ أرى أنَّ مِن حَيث الرواية أنَّ لفظَّ «ساق» أصحُّ مِن لَفظِ «ساقِهِ» فإنَّهُ لا فَرقَ بَينَهُما عِندي مِن حَيثُ الدِّراية، لأنَّ سياقَ الحديثِ يَدُلُّ على أنَّ المعنى هوَ سَاقُ الله تَباركَ وتعالى، وأصرَحُ الرواياتِ في ذلكَ رواية هِشام عِندَ الحاكِمِ بِلَفظ:

---

(١) المصدر نفسه ١٩٢ ـ ١٩٣.

(٢) ينظر: تمام المنة ١٨٢ ـ ١٨٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، بَاب (يوم يُكْشَفُ عن سَاقٍ) ٤/ ١٨٧١.

(هَل بينَكُم وبينَ الله من آيةٍ تَعرِفونَها؟ فَيَقولونَ: نَعَم السَّاقُ، فَيَكشِفُ عَن ساقٍ...)[١].

قُلتُ: فهذا صَريحٌ أو كالصَّريحِ بأنَّ المعنى إنما هو ساقُ ذي الجلالةِ تَبارَكَ وَتَعالى»[٢].

* * *

(١) المستدرك ٤/٦٢٦.

(٢) السلسلة الصحيحة ٢/١٢٧، وينظر: صحيح الترغيب والترهيب ٣/ ٤١٩، ومشكاة المصابيح للتبريزي بتحقيق الألباني ١٥٢٩.



الخاتمــة

الخاتمةُ والنتائِجُ

وَبَعدُ. . .فَعَن جُهودِ الشيخِ الألبانيِّ في بَيانِ عَقيدَةِ السلفِ في الإيمانِ بالله كانَ موضوعُ هذا البحثِ، وسأوجِزُ أهَمَّ النتائِجِ التي تَوصَّلتُ إليها؛ وهيَ:

١ ـ اهتمَّ الشيخُ الألبانيُّ كَثيراً بمبدأ (التصفيةِ والتربيةِ) واستفرَغَ وُسعَهُ في العملِ من أجلِهِ والدَّعوةِ إليهِ.

٢ ـ بيَّنَ الشيخُ الألبانيُّ بأنَّ المستقبَلَ لِدِينِ الإسلامِ وأنَّهُ لا بُدَّ أن يظهَرَ على الدِّينِ كُلِّهِ، مُعتمِداً في ذلكَ على أدلَّةٍ من الكِتابِ والسُّنةِ.

٣ ـ ما تَركَهُ الشيخُ الألبانيُّ من آثارٍ ومُؤلَّفاتٍ؛ وهذا العَدَدِ مِن طَلَبتِهِ يدلُّ على أنَّهُ كانَ صاحِبَ صَبرٍ ومُثابرةٍ وإخلاصٍ في عَمَلِهِ، وأنَّهُ في عِدادِ العُلماءِ الربَّانيِّينَ.

٤ ـ لَم يَخرُج الشيخُ الألبانيُّ في حدِّ الإيمانِ وَتَعريفِهِ عَن مَذهَبِ السَّلَفِ رحمهم الله في ذلكَ، بَل كانَ مِن المقرِّرينَ لَهُ والذَّابِّينَ عَنهُ.

٥ ـ اتِّهامُ الشيخِ الألبانيِّ بالإرجاءِ اتِّهامٌ باطِلٌ لا يَستَنِدُ إلى دَليلٍ ولا بُرهانٍ، ولا يُوجَدُ كَلامٌ للألبانيِّ وافَقَ فيهِ المرجئةَ إطلاقاً، بَل كَانَ جَميعُ كَلامِهِ في الإيمانِ مُناقِضاً لأصولِ المرجئة وأقوالِهِم.

٦ ـ الذين اتَّهمُوا الشيخَ الألبانيَّ بالإرجاءِ هم الذينَ يُريدون تَكفِيرَ

المسلمينَ بِما لَم يُكفِّرْهُمُ بِهِ الله ولا رَسُولُهُ؛ وبالتالي استِحلالَ دِمائِهِم، فَلَمَّا بيَّنَ الألبانيُّ باطِلَهُم اتَّهمُوه بالإرجاءِ تَنفيراً للنَّاسِ مِنهُ.

٧ ـ قولُ الشيخِ الألبانيِّ بأنَّ الأعمالَ شَرطُ كَمالٍ لا يَعني أنَّه يُخرِجُ الأعمالَ عن مُسمَّى الإيمانِ، بِدليلِ أنَّهُ يَقولُ في مَواضِعَ كَثيرةٍ بأنَّ الأعمالَ مِن الإيمانِ وَيؤكِّدُ عَلى مَسأَلَةِ التَّلازُمِ بَينَ الظَّاهِرِ والباطِنِ.

٨ ـ الذي رَأيتُهُ راجِحاً هو أنَّ الأعمالَ شَرطٌ لِصحَّة الإيمانِ فلا يُتَصَوَّرُ وُجودُ إيمانٍ صَحيحٍ مَعَ تَخَلُّفِ العَمَلِ.

٩ ـ الاختلافُ بينَ العُلماءِ حاصِلٌ في كُلِّ زَمَانٍ، وَلكنَّهُ لا يُفسِدُ الوُدَّ بَينَهُم، فَتَراهُم يُحِبُّ بَعضُهم بَعضاً وَيَدعو بَعضُهُم لبعضٍ، وهذِه أخلاقُ الباحثينَ عَن الحقِّ، خِلافاً للمُجادِلينَ بالباطِلِ.

١٠ ـ الخصوماتُ بينَ الرُّسُلِ وأقوامِهِم كانت في تَوحيدِ الألوهيَّةِ، وتوحيدُ الربوبيَّةِ لا يكفي للنَّجاةِ من النَّارِ وَدُخولِ الجنَّةِ، حَتى يَكونَ مَعَهُ توحيدُ الألوهيَّةِ.

١١ ـ ردَّ الشيخُ الألبانيُّ على كثيرٍ مِن أهلِ الضَّلالِ من الصوفيَّةِ وغيرِهِم تفسيرَهُم الخاطِئَ لمعنى لا إله إلا الله بتوحيدِ الربوبيَّةِ، وأنَّهُ لا ربَّ إلا الله؛ وبيَّنَ أنَّها تعني (لا معبودَ حَقٌّ إلا الله)، أي أنَّها توحيدُ الألوهيَّةِ، وأن أهلَ الجاهليةِ في زمنِ النبيِّ ﷺ كانوا يَفهمُون معنى لا إله إلا الله أكثرَ مِمَّا يفهمُها كثيرٌ من المسلمينَ اليومَ، وبيَّنَ الألبانيُّ أنَّ أولَّ واجِبٍ على الدُّعاةِ اليومَ هو تَبصيرُ النَّاسِ بمعنى لا إله إلا الله.

١٢ ـ ردَّ الشيخُ الألبانيُّ على القائلينَ بِعدَمِ إمكانيَّةِ دُخُولِ الجانِّ بَدَنَ الإنسانِ، ورَدَّ عَليهِم بِثُبُوتِ ذلكَ في الكِتابِ والسُّنَّةِ وأقوالِ العُلماءِ.

١٣ ـ أنكَرَ الشيخُ الألبانيُّ بَعضَ الرُّقى الموجودَةِ اليومَ وَهي المعروفةُ بـ (الطب الروحانيّ) أو (التنويم المغناطيسيّ)، وعَدَّ ذلكَ من الرُّقى الممنوعَةِ شَرعاً، وكذا نَبَّهَ على كثيرٍ مِن المخالفاتِ التي تَكونُ مُصاحِبَةً للرُّقيةِ المعروفةِ اليومَ بـ(رُقيةِ المسِّ)، مثلَ ضَربِ المصرُوعِ بالعِصيِّ واستحضارِ الجنِّ والتَّكلُّمِ مَعَهُ ونَحوِ ذلكَ.

١٤ ـ يَرى الشيخُ الألبانيُّ جَوازَ التبرُّكِ بآثارِ النبيِّ ﷺ مِن شَعرٍ وفضلاتٍ وَنَحوِهِ، وَلكنَّهُ يَستَبعِدُ أن تَكونَ مَوجودَةً الآنَ لِبُعدِ العَهدِ بِتِلكَ الآثارِ الشريفَةِ.

١٥ ـ يرى الشيخُ الألبانيُّ العَمَلَ بِقاعِدَةِ سَدِّ الذَّرائِعِ لِحَسمِ مادَّةِ الشِّركِ وَقَطعِ الوسائِلِ التي قَد تُفضِي إليهِ، كما فَعَلَ عُمَرُ رضي الله عنه بِقَطعِ الشَّجَرةِ.

١٦ ـ بيَّنَ الشيخُ الألبانيُّ اتِّفاقَ العُلماءِ على كَراهَةِ الصَّلاةِ في المساجِدِ المبنيَّةِ على القُبُورِ.

١٧ ـ فَرَّقَ الشيخُ الألبانيُّ بَينَ التوسُّلِ المشروعِ والتوسُّلِ الممنوعِ، وَبيَّنَ أقسامَ كُلِّ نَوعٍ مِنهُما، وَرَدَّ على الشُّبُهاتِ التي أُثيرت في بابِ التوسُّلِ.

١٨ ـ مَوقِفُ الشيخِ الألبانيِّ من آياتِ وأحاديثِ الصِّفاتِ هوَ عَينُ مَوقِفِ السَّلَفِ، وهُوَ الإيمانُ بِها، مِن غَيرِ تَحريفٍ ولا تَعطيلٍ، ولا تَكييفٍ ولا تَمثيلٍ.

١٩ ـ نَقَضَ الشيخُ الألبانيُّ قاعِدَةَ (التفويضِ) الفاسِدةِ التي قالَ بِها بَعضُ الخَلَفِ، وكذا رَدَّ على مَن قَالَ بأنَّ مذهَبَ السَّلفِ أسلمُ وَمَذهَبُ الخلفِ أعلمُ وأحكمُ، وأثبَتَ أنَّ مذهَبَ السَّلفِ أسلمُ وأعلمُ وأحكمُ.

وسُبحانَكَ اللَّهمَّ وبحمدِكَ أشهَدُ ألا إلهَ إلا أنتَ

أستغفِرُكَ وأتوبُ إليكَ



المصادر والمراجع


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المصادر والمراجع

- الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات، العلامة نعمان بن المفسر الشهير محمود الآلوسي، ت١٣١٧هـ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط٤، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ.
- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطه العكبري الحنبلي، ت٣٨٧هـ، تحقيق عثمان عبد الله آدم الأثيوبي، ط٢، دار الراية للنشر، ١٤١٨هـ.
- الأحاديث المختارة، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي، ت٦٤٣هـ، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط١، مكتبة النهضة الحديثة ـ مكة المكرمة، ١٤١٠ هـ.
- أحكام الجنائز وبدعها، محمد ناصر الدين الألباني، ت١٤٢٠هـ، ط١، مكتبة المعارف، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
- الأسئلة القطرية في مسائل الإيمان والتكفير المنهجية وأجوبة الشيخ محمد بن صالح العثيمين عليها، ضبط وتعليق علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، ط١، ١٤٢٥ ـ ٢٠٠٤.
- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو فضل العسقلاني الشافعي، ت٨٥٢هـ، تحقيق علي محمد البجاوي، ط١، دار الجيل ـ بيروت، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
- اعتقاد أئمة الحديث، لأبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، ت٣٧١هـ، تحقيق محمد بن عبد الرحمن الخميس، ط١، دار العاصمة ـ الرياض، ١٤١٢هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ت١٢٠٥هـ، دار الهداية.

- تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، ت٤٦٣هـ، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخاري الجعفي، ت٢٥٦هـ، تحقيق السيد هاشم الندوي، دار الفكر.
- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين، طاهر ابن محمد أبو المظفر الأسفراييني، ت٤٧١هـ، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط١، عالم الكتب ـ لبنان، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي، ت٧٤٣هـ، دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة، ١٤١٣هـ.
- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، محمد ناصر الدين الألباني، ت١٣٢٠هـ، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، ت١٣٥٣هـ، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
- تذكرة الحفاظ، أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، ت٧٤٨هـ، ط١، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، ت١٥٤١هـ، ط٤، دار الكتاب العربي ـ لبنان ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
- التصفية والتربية وحاجة المسلمين إليهما، محمد ناصر الدين الألباني، ت١٤٢٠هـ، ط١، المكتبة الإسلامية، ١٤٢١هـ.
- التعريف والتنبئة بتأصيلات العلامة الشيخ الإمام أسد السنة الهمام محمد ناصر الدين الألباني في مسائل الإيمان والرد على المرجئة، علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، ط٢، من إصدارات مشروع الدعوة إلى الله، مسجد إبراهيم الخليل ـ دبي.
- تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله، ت٢٩٤هـ، تحقيق د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، ط١، مكتبة الدار ـ المدينة المنورة ١٤٠٦هـ.

- التعليقات على الأربعين النووية، محمد بن صالح العثيمين، ت١٤٢١هـ، اعتنى به علي عبد العال الطهطاوي، ط١، مكتبة الصفا ـ القاهرة، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.
- تفسير القرآن العظيم، الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، ت٧٧٤هـ، دار الفكر ـ بيروت ١٤٠١.
- تقريب التهذيب، الحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ت٨٥٢هـ، تحقيق محمد عوامة، ط١، دار الرشيد ـ سوريا ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
- تمام المنة في التعليق على فقه السنة، محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، دار الراية للنشر، ١٤٠٩هـ.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، ت٤٦٣هـ، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ـ محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.
- التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي العتمي اليماني، ت١٣٨٦هـ، تحقيق وتعليق محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، مكتبة المعارف ـ الرياض، ١٤٠٦هـ.
- تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، ت٣١٠هـ، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني ـ القاهرة.
- التوحيد أولاً يا دعاة الإسلام، محمد ناصر الدين الألباني، ت١٤٢٠هـ، المكتب الإسلامي.
- التوسل أنواعه وأحكامه، محمد ناصر الدين الألباني، تنسيق محمد عيد العباسي، ط١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ـ الرياض، ١٤٢١هـ.
- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، أحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق زهير الشاويش، ط٣، المكتب الإسلامي ـ بيروت ١٤٠٦هـ.

- الثمر المستطاب من فقه السنة والكتاب، محمد ناصر الدين الألباني، ت١٤٢٠هـ، ط١، غراس للنشر والتوزيع.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، ت٣١٠هـ، دار الفكر ـ بيروت، ١٤٠٥هـ.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ت٣٨٠هـ، دار الشعب ـ القاهرة.
- الحق الواضح المبين في توحيد الأنبياء والمرسلين، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ت١٣٧٦هـ، ط١، دار المنهاج، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ت٤٣٠هـ، ط٤، دار الكتاب العربي ـ بيروت، ١٤٠٥هـ.
- حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه، تصنيف محمد بن إبراهيم الشيباني، ط١، الدار السلفية ـ الكويت، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
- خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، ت١٠٩٣هـ، ط١، تحقيق محمد نبيل طريفي ـ إميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٩٩٨م.
- خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه، محمد ناصر الدين الألباني، ت١٤٢٠هـ، ط١، مكتبة المعارف ـ الرياض، ١٤٢١هـ.
- درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن تيمية، ت٧٢٨هـ، تحقيق عبد اللطيف بن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، ت١٣٩٢هـ، ط٧، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٢م.
- الدرر المتلألئة بنقض الإمام العلامة محمد ناصر الدين الألباني فرية موافقته المرجئة، علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، ط١، مكتبة الفرقان الإمارات ـ عجمان ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، ت٩١١هـ، دار الفكر ـ بيروت، ١٩٩٣م.
- دلائل البرهان على مناقضة الشيخ الألباني للمرجئة في مسائل الإيمان، محمد بن موسى بن محمد بن علي آل شريف، ط١، دار الإمام المجدد، ٢٠٠٥م.
- الذب الأحمد عن مسند الإمام احمد، محمد ناصر الدين الألباني، ت١٤٢٠هـ، ط٢، دار الصديق، مؤسسة الريان، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.
- رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، ت١١٨٢هـ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط١، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، ت١٢٧٠هـ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
- رياض الصالحين، للإمام النووي، ت٦٧٧هـ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، ت٧٥١هـ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، عبدالقادر الأرنؤوط، ط١٤، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت ـ الكويت ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.
- سر الفصاحة، الأمير أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، ت٤٦٦هـ، ط١، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف ـ الرياض، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، مكتبة المعارف ـ الرياض، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.
- السنة، عمر بن أبي عاصم الضحاك الشيباني، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط١، المكتب الإسلامي ـ بيروت، ١٤٠٠هـ.

- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، ت٢٧٥هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
- سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، ت٤٥٨هـ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز ـ مكة المكرمة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، ت٢٧٩هـ، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
- السنن الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، ت٣٠٣هـ، تحقيق د.عبد الغفار السليمان البنداري ـ سيد كسروي حسني، ط١، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، ت٧٤٨هـ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، ط٩، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ١٤١٣هـ.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، هبة الله بن الحسين بن منصور اللالكائي أبو القاسم، ت٤١٨هـ، تحقيق أحمد سعد حمدان، دار طيبة ـ الرياض، ١٤٠٢هـ.
- شرح أصول الإيمان، محمد بن صالح بن عثيمين، ت١٤٢١هـ، ط١، دار الوطن ـ الرياض، ١٤١٨ هـ.
- شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح بن عثيمين، ت١٤٢١هـ، ط٢، دار الثريا للنشر ـ الرياض، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
- شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، ت٥١٦هـ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ـ زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط٢، دمشق ـ بيروت، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
- شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ت٧٥٢هـ، تحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني، ط١، دار الكتاب العربي ـ بغداد، ٢٠٠٥ م.

- شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح العثيمين، ت١٤٢١هـ، دار الثريا للنشر، ط٢، ١٤٢٤ ـ ٢٠٠٣.
- الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين الآجري، ت٣٦٠هـ، تحقيق د. عبد الرحمن بن عمر سليمان الدميجي، ط٢، دار الوطن ـ الرياض، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، ت٣٥٤هـ، تحقيق شعيب الارنؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
- صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، ت٣١١هـ، تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ت٢٥٦هـ، تحقيق مصطفى ديب البغا، ط٣، دار ابن كثير، اليمامة ـ بيروت ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
- صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، ت١٤٢٠هـ، ط١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ـ الرياض، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠ م.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، ت٢٦١هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
- صفة صلاة النبي ﷺ من التكبير إلى التسليم كأنك تراها، محمد ناصر الدين الألباني، ت١٤٢٠هـ، مكتبة المعارف، الرياض.
- طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل، ت٩١١هـ، ط١، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤٠٣هـ.
- طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنروي، تحقيق سليمان بن صالح الخزي، ط١، مكتبة العلوم والحكم ـ السعودية، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
- ظاهرة الإرجاء في العالم الإسلامي، سفر بن عبد الرحمن الحوالي.

- العقيدة الطحاوية شرح وتعليق، محمد ناصر الدين الألباني، ت١٤٢٠هـ، ط٢، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤١٤هـ.
- العقيدة الواسطية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ت٧٢٨هـ، تحقيق محمد بن عبد العزيز بن مانع، ط٢، الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء، الرياض، ١٤١٢هـ.
- العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ت٧٤٨هـ، تحقيق أبي محمد أشرف بن عبد المقصود، ط١، مكتبة أضواء السلف - الرياض، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ت٨٥٢هـ، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت.
- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي الدمشقي المعروف بابن رجب، ت٧٩٥هـ، تحقيق أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، ط١، دار ابن الجوزي.
- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، ت٤٢٩هـ، ط٢، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ١٩٧٧م.
- الفوائد، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ت٧٥١هـ، تحقيق الدكتور محمود مطرجي، ط١، دار الجيل، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- القواعد الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ت١٣٧٦هـ، ط١، دار ابن رجب، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- الكاشف في من له رواية في الكتب الستة، حمد بن أحمد أبو عبد الله الذهبي الدمشقي، تحقيق محمد عوامة، ط١، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علو - جدة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، إعداد نخبة من العلماء، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤٢١هـ.

- كتاب الإيمان، أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، ت٢٣٥هـ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
- كتاب الإيمان، لابن تيمية، خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، ط٥، المكتب الإسلامي، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.
- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، ت٣١١هـ، تحقيق عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، ط٥، مكتبة الرشد ـ الرياض، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
- الكلم الطيب، لابن تيمية، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط٦، المكتب الإسلامي، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، ت٧١١هـ، ط١، دار صادر.
- لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ت٨٥٢هـ، تحقيق دائرة المعارف النظامية الهند، ط٣، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، ت٦٢٠هـ، شرح محمد بن صالح العثيمين، ط٢، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ت٧٢٨هـ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، دار التقوى للنشر والتوزيع.
- مختصر العلو للعلي الغفار، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ت٧٤٨هـ، اختصار وتحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، المكتب الإسلامي، ١٤١٢هـ ١٩٩١م.
- المختصر المفيد في بيان دلائل أقسام التوحيد، عبد الرزاق عبد المحسن العباد البدر، دار الإمام احمد، ١٤٢٥ ـ ٢٠٠٤.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب

الزرعي أبو عبد الله، ت٧٥١هـ، تحقيق محمد حامد الفقي، ط٢، دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم، ت٤٠٥هـ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠ م.
- مسند الإمام احمد، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، ت٢٤١هـ، مؤسسة قرطبة ـ مصر.
- مسند أبي داود الطيالسي، سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي، ت٢٠٤هـ، دار المعرفة ـ بيروت.
- مسند الشاميين، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، ت٣٦٠هـ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.
- مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي،ت٧٣٧هـ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، المكتب الإسلامي ـ بيروت، ١٩٨٥م.
- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي،ت٢٣٥هـ، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط١، مكتبة الرشد ـ الرياض، ١٤٠٩هـ.
- المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ت٢١١هـ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، المكتب الإسلامي ـ بيروت، ١٤٠٣هـ.
- المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت٣٦٠هـ،تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين ـ القاهرة ١٤١٥هـ.
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، ت٣٦٠هـ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، مكتبة الزهراء ـ الموصل، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٩٣م.
- المغرب في ترتيب المعرب، أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن

المطرز، تحقيق: محمود فاخوري، عبد الحميد مختار، ط١، مكتبة أسامة بن زيد ـ حلب، ١٩٩٧م.

- مقالات الألباني، جمعها وصححها واعتنى بها نور الدين طالب، ط٢، دار أطلس، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١ م.
- مقتطفات من حياة فقيدي الأمة الألباني وابن باز، منشورات مشروع النشر الإسلامي، الكويت.
- الملل والنحل، محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، ت٥٤٨هـ، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ـ بيروت، ١٤٠٤هـ.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ت٦٧٧هـ، ط٢، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ١٣٩٢هـ.
- المنهج السلفي عند الشيخ ناصر الدين الألباني، عمرو عبد المنعم سليم، دار السلف الصالح ـ جدة.
- منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، محمد الأمين الشنقيطي، ط٤، الدار السلفية ـ الكويت، ١٤١٤هـ ـ ١٩٨٤م.
- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ت١٢٥٥هـ، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي، ت١٠٥٠هـ، دار الكتُب العلمية ـ بيروت، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
- وجوب الأخذ بحديث الآحاد في الأحكام والعقائد، محمد ناصر الدين الألباني، ت١٤٢٠هـ، المكتب الإسلامي.

المحتويات

الفصل الأول
حياة الألباني ومعنى الإيمان عنده وموقفه من الإرجاء

الفصل الثاني
الإيمان باللّه تعالى

الخاتمـة

المصادر والمراجع


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com